

١٥٨٥٦٩٧٥

١٣/٢٦/٧

١٦١٥٧٦

المثل السار

في أدب المكاتب والشاعر
بِضمِّياءِ الدَّينِ بْنِ الأَشْيَرِ

قدّمه وحَقَّه وَلَاقَ عَلَيْهِ

دُكْنُورُ أَحْمَدُ الْخُوَفِيُّ وَ دُكْنُورُ زَبَدُوكَ طَبَانِيُّ

القسمان



مكتبة قطر الوطنية

QATAR NATIONAL LIBRARY

عضو في مؤسسة قطر

Member of Qatar Foundation

ملف رقم الطبع والنشر
مكتبة فخرية رصيف بالفجالة
١٨ شارع كامل صدقى

PJ
7510
.I243
1960
vol. 3



رابط بديل
lisanerab.com

www.lisanarb.com

المُشَل السَّارِر

في أدب الكاتب والشاعر
إضياء الدين بن الأشيم

قدّمه وحققه وعلق عليه

دكتور أحمد الخوبي و دكتور زياد طبانة

القسم الثالث

مطبعة نهضة مصر
الجيزة . مصر

النوع السابع عشر

في التكرار

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار المعرف ، جوما [أشبه] ذلك بما يختلط بهذا النوع الذي هو « تكرر المعنى والأفاظ » .

واعلم أن هذا النوع من مفاتيل علوم البيان ، وهو دقيق المأخذ .

وحله هو : دلالة الألفاظ على المعنى مرددا ، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة وبالتطويل أخرى . وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الإطناب^(١) فلا حاجة إلى إعادته هنا .

وأما التكرير فقد عرفت كه ، وهو ينقسم إلى قسمين :

أحدهما يوجد في الألفاظ والمعنى .

والآخر يوجد في المعنى دون الألفاظ . فاما الذي يوجد في الألفاظ والمعنى فكذلك لمن تستدعيه « أسرع أسرع » ومنه قول أبي الطيب المتنبي^(٢) : « لَمْ أَرَ مِثْلَ حِيرَانِي وَمِثْلِي لِمَنْ لِي عَنْهُ مَثْلُهُمْ مَوْقَمُ ». واما الذي يوجد في المعنى دون الألفاظ فكذلك لمن : « أطفي ولا تصبني ». فإن الأمر بالطاعة نهى عن المقصبة .

(١) انظر صفحة ٣٥٧ من القسم الثاني من هذه الطبعة .

(٢) ديوان المتنبي ٤/٧٩ من قصيدة في مدح المغيرة بن علی العجلي ، ومطلعها :

فَوَادَ مَا تَسْلِيَهُ الدَّامَ وَعَرَ مِثْلَ مَا تَهَبُ الْمَئَامَ

وكل من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد، وغير مفيد :

ولا أعني بالمفيد هنا ما يعنيه النحوة، فإنه عندهم عبارة عن الألفاظ المركب، إما من الاسم مع الاسم، بشرط أن يكون الأول بالمعنى علاقة معنى يسع مكتفياً جملة، وإما من الاسم مع الفعل القائم للتصرف على الشرط أيضاً، وإنما من حرف النداء مع الاسم، فهذا هو المفيد عند النحوة.

وأنا لست أقصد ذلك هنا، بل مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى، وغير للغيد أن يأتي لغير معنى.

واعلم أن المفيد من التكثير يأتي في الكلام تأكيداً له وتشديداً من أمره، وإنما ينبع ذلك للدلالة على الصياغة بالشيء الذي كررت فيه كلامك؛ إما مبالغة في مدحه، أو في ذمه أو غير ذلك، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشيء المقصود الذكر، والوسط عاز عنه، لأن أحد الطرفين هو المقصود بالبالفة، إما بمحرر أو ذم أو غيرها، والوسط ليس من شرط المبالغة، وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عيناً وخطلاً من غير حاجة إليه.

[التكثير في الألفاظ والمعنى]

أما الأول، وهو الذي يوجد في الألفاظ والمعنى، فإنه ينقسم إلى ضربين: مفيد، وغير مفيد.

الأول المفيد، وهو فرعان :

الأول : إِذَا طَهَ الرَّكْرَبُ فِي الْأَفْطَرِ وَالْمَعْنَى يُرَأَلُ عَلَى رَهْبَى وَامْرَدِ وَالْمَصْوَدِ بِهِ

غَرْضَاهُ مُخْتَلِفَاهُ :

كَفُولَهُ تَعَالَى ﴿٤﴾ وَإِذْ يَعْدُكُمْ أَفْهَ إِحْدَى الطَّارِئَتَيْنِ أَنَّهُ لَكُمْ ،
وَتَوَدُونَ أَنْ تَغْيِرَ ذَاتَ الشَّوْكَةَ تَكُونَ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّ
الْحَقُّ بِكَلَامَاهِ وَيُقْطِعَ دَامِرَ الْكَافِرِينَ ، يُحَقِّ الْحَقُّ وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرُمُونَ ^(١) .

هذا تكرير في الفظ و المعنى ، وهو قوله « يتحقق الحق و لا يتحقق الحق » .
وإنما جيء بها هنا لاختلاف المراد ، وذاك أن الأول تمييز بين الإرادتين ،
والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوككة على غيرها ، وأنهما نصر لهم
وخذل أولئك إلا لئلا يتحقق الغرض .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينُ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أُولَ الْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلْ
اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝ قَاعِدُ وَمَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ^(٢) .

فكسر قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينُ »
وقوله « قُلْ أَفْهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي » المراد به غرضان مختلفان ، وذلك أن

(١) سورة الأنفال : الآيات ٧ و ٨ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والإخلاص في دينه ، والثاني إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته ، ملخصا له دينه ، ولدلايته على ذلك قدم المعهود على فعل العبادة في الثاني ، وأخره في الأول ، لأن الكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانياً فيما يمكن فعل الفعل من أجله ، ولذلك رتب عليه « فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ وَنِنْ دُونِهِ ».

وعليه ورد قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكُمْ أَوْ أَئِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

وظاهر الأول والثاني أنهم سواء في المعنى ، وليس كذلك ، لأن الثاني فيه تخصيص غير موجود في الأول ، إلا ترى أنا إذا قلنا « زيد الأفضل » وقلنا « الأفضل زيد » كان في الثاني تخصيص له بالفضل ، وهذا التخصيص لا يوجد في القول الأول الذي هو « زيد الأفضل » ويجوز أن تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضدتها ، فيقال « زيد الأجمل » أو « زيد الأقبح » وإذا قلنا « الأفضل زيد » وجوب تخصيصه بالنفس ، ولم يكن تغيير عنده .

وكذلك يجري الحكم في هذه الآيات ، فإن الله تعالى قال : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ثم قال : « لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » « فَوَصَفَهُمْ بِالامْتِنَاعِ عَنِ الْفَهَابِ إِلَيَّا ذُنُوبَهُ ، وَهَذِهِ صَفَةٌ يَحْجُرُ أَنْ تَبْدَلَ بِغَيْرِهَا

من الصفات . كما قال تعالى في موضع آخر ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا﴾^(١) .

فيجاء بهذه صفة غير تلك الصفة . ولما قال : « إنَّ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » وجب تخصيصهم بذلك الوصف دون غيره ، وهذا موضع حسن في تكرير المعنى .

وما يعده من هذه الآية قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا قَبْلَذُتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٢) .

وقد ظنَّ قومٌ أنَّ هذه الآية تكريرٌ لا فائدة فيه ، وأنَّه لا إِلَهَ إِلَّا مَرْ كَذِيلُكَ ، فإنَّ معنى قوله « لَا أَعْبُدُ » يَعْنِي في المستقبلِ مِنْ عبادةِ آلهتكم ، وَلَا أَنْتُمْ تَعْلُونَ فيه ما أَطْلَبْتُه مِنْكُمْ من عبادةِ إِلَهِي ، « وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ » . أَيْ : وما كنتُ عابداً قَطُّ فِيمَا سَلَفَ مَا عَبَدْتُمْ ، يَعْنِي أَنَّه لم يَعْمَدْ مِنْيْ عبادةُ صَنْعِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي وَقْتٍ مَا ، فَكَيْفَ يُرْجَى ذَلِكَ مِنْيِ فِي الإِسْلَامِ؟ « وَلَا أَنْتُمْ طَابِدُونَ » فِي الْمَاضِي فِي وَقْتٍ مَا مَا أَنَا عَلَى عبادَتِه الْآنِ .

وَمَا يَجْزِي هَذَا الْجَرَى قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٣) .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٦ .

(٢) سورة الكافرون .

(٣) سورة فاتحة الكتاب : الآيات ١ و ٢ و ٣ .

فَكَرِّرَ « الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » مَرَّتَينَ ، وَالْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأُولَى يَقْعُدُنَّ
بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، وَالثَّانِي بِأَمْرِ الْآخِرَةِ .

فَمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا يُرْجَعُ إِلَى خَلْقِ الْعَالَمَيْنَ فِي كَوْنِهِ خَلْقًا كُلُّا مِنْهُمْ
عَلَى أَكْمَلِ صَفَةٍ ، وَأَعْطَاهُ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى الْبَقَةَ وَالذَّابِ . وَقَدْ يُرْجَعُ
إِلَى غَيْرِ الْخَلْقِ كَإِدَرَارِ الْأَرْزَاقِ وَغَيْرِهَا .

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الرِّحْمَةِ الثَّانِيَةِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
لَذِي دُوَّيْمُ الدِّينِ .

وَبِالْجُمُلَةِ فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَكْرَرٌ لَا فَائِدَةَ فِي تَكْرِيرِهِ ،
فَإِنْ رَأَيْتَ شَيْئًا مِنْهُ تَكْرِيرًا مِنْ حِيثُ الظَّاهِرِ فَأَنْتَمْ نَظَارُكَ فِيهِ فَانظُرْ إِلَى سُوَابِقِ
وَوَاحِدِيقِهِ ، اتَّسِعْ كَشِيفَ الْكَفَائِدَ مِنْهُ .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَكْرَرًا قَوْلُهُ تَعَالَى : « كَذَّبَتْ قَوْمٌ نُوحَ
الْمُرْسَلِيْنَ » • إِذْ قَالَ رَبُّهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَقَوَّنَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوْنِ • وَمَا أَنْأَيْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أُجْرٍ إِنَّ أُجْرَى
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمَيْنَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوْنِ (١) .

فَكَرِّرَ قَوْلُهُ : « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوْنِ (٢) » لِيُؤْكِدَهُ عِنْدَهُمْ ، وَيَقْرَأُهُ
فِي نَفْوِهِمْ ، مَعَ تَعْلِيقٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمُلْكِهِ ، فَجَعَلَ عِلْمَةَ الْأُولَى كَوْنَهُ أَمِينًا
فِيهَا بِيَدِنَّهُمْ ، وَجَعَلَ عِلْمَةَ الثَّانِي حَسْنًا طَمَعَهُ فِيهِمْ ، وَخَلَوْهُمْ مِنَ الْأَغْرَاضِ
فِيهَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ .

(١) سورة الشوراء : الآيات ١٠٠ - ١١٠ .

(٢) زيادة عن الأصل يقتضيها السياق .

ومن هذا التّحْوِيْلُ قُولُهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ
ذُو الْأُوتَادِ وَهَمُودٌ وَنَوْمٌ لُوطٌ وَاصْحَابُ الْأَيْكَافِ أُولَئِكَ لِأَخْرَابٍ ۚ هَلْ إِنْ كُلَّ
إِلَّا كَذَبَ الرَّسُولُ فَتَحَقَّقَ عِقَابٌ ﴾^(١))

وإِنَّمَا كَثُرَ تَكْرِيرُهُمْ فَاهْنَاكَ لَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ ، بَلْ تَنْوِيعٍ
فِيهِ بِضُرُوبٍ مِنَ الصَّنْعَةِ ، فَذَكَرَهُ أَوْلًا فِي الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْإِنْهَامِ ،
ثُمَّ جَاءَ بِالْجُمْلَةِ الْاسْتِئْنَافِيَّةِ ، فَأَوْضَحَهُ بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَحْزَابِ كَذَبَ
جُمِيعَ الرَّسُولِ ، لَأَنَّهُمْ إِذَا كَذَبُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ كَذَبُوا جُمِيعَهُمْ . وَفِي تَكْرِيرِ
الْتَّكْرِيرِ وَإِيْضَاحِهِ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ ، وَالتَّنْوِيعِ فِي تَكْرِيرِهِ بِالْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ أَوْلًا ،
وَبِالْاسْتِئْنَافِيَّةِ ثَانِيًّا ، وَمَا فِي الْاسْتِئْنَافِ مِنَ الْوَضْعِ هُلَى وَجْهِهِ التَّوْكِيدُ وَالتَّخْصِيصُ
لِلْبَالَّةِ الْمُسْجَلَةِ عَلَيْهِمْ بِاسْتِحْقَاقِ أَشَدِ الْمَذَابِ وَأَبْلَغِهِ .

وَهَذَا بَابٌ مِنْ تَكْرِيرِ الْأَفْظَرِ وَالْمَعْنَى حَسَنٌ غَامِضٌ ، وَبِهِ تُعزَفُ مَوْاقِعُ
الْتَّكْرِيرِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ ، فَإِنْ فَهِمْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الفرع الثاني من المضرب الرُّؤُلِ^(٢) :

إِذَا كَانَ الْتَّكْرِيرُ فِي الْأَفْظَرِ وَالْمَعْنَى يَدْلُلُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْمَرْادُ بِهِ غَرضٌ
وَاحِدٌ ، كَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرْهُمْ فُتُلَ كَيْفَ قَدَرْهُمْ ﴾^(٣) .

وَالْتَّكْرِيرُ دَلَالَةُ النَّهْجَبِ مِنْ تَقْدِيرِهِ ، وَإِصَابَتِهِ الغَرَّضِ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ :
« قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْبَحَهُ أَوْ مَا أَشْهَرَهُ أَوْ مَا أَشْعَرَهُ » .

(١) سورة مريم : الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ .

(٢) أَيُّ التَّكْرِيرِ الْمُفِيدِ .

(٣) سورة المدثر : الآيات ١٩ و ٢٠ .

وعايه وردَّ قولُ الشاعِرِ :

« أَلَا يَا إِسْلَمِيْ ثُمَّ إِسْلَمِيْ ثُمَّتَ إِسْلَمِيْ »^(١).

وَهَذَا مِنْ الْفَةِ فِي الدُّعَاءِ لِهَا بِالسَّلَامَةِ، وَكُلُّ هَذَا يُجَاهَ بِهِ لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى الْمَرْادِ إِلَيْهَا هُوَ .

وَعَلَيْهِ وَرَدَ الْحَدِيثُ الْفَبُويُّ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ بَنِي دِشَامَ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوْنِي أَنْ يُنْهِيَ كِبَرَهُمْ عَلَيْهِمْ فَلَا آذَنَ، ثُمَّ لَا آذَنَ، ثُمَّ لَا آذَنَ، إِلَّا أَنْ يَطْلُقَ عَلَيْهِ ابْنَتِي وَيَنْهَا كِبَرَهُمْ ». ^(٢)

فَقَوْلُهُ « لَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ » مِنَ التُّكْرِيرِ الْمُدْعَى إِلَيْهِ تَكْرِيرُ الْقَوْلِ فِي مَنْعِهِ عَلَيْهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ التَّزْوِيجِ بِابْنَةِ أُبِي جَمْلٍ بْنِ دِشَامَ .

وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَوْلَى لَكَ وَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى »^(٢) .

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » لَأَنَّ قَوْلَنَا « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » مِثْلُ قَوْلِنَا « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وَهَا فِي الْمَعْنَى سَوَاءُ، وَإِنَّمَا كَرِزَنَا الْقَوْلَ فِيهِ لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى وَلِإِبْرَاهِيمَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُخَالِفُ فِيهِ كَالْفَصَارَى وَالثَّنَوِيَّةَ .

(١) صدر بيت وعجره * ثلاث تحيات وإن لم تكن مكتملة * والبيت في ديوان الخامسة ١٣٧/٢ وابن ناثن ثلاثة أبيات رواها أبو تمام ، ولم ينسبها لاصحابها ، والأبيات هي :

وَلَا غَرُو إِلَّا مَا يُخْبِرُ سَامِيْ بْنَ ابْنِ اشْبَاهِهِ نَذَرُوا دِيْ دِيْ
وَمَالِيْ مَنْ ذَنْبَ لِلَّهِ عَلِمَتْهُ سَوَى أَنِّي قَدْ قَلْتَ يَا سَرِحةَ إِسْلَمِيْ
ثُمَّ فَاسِلَمِيْ ثُمَّ إِسْلَمِيْ ثُمَّتَ إِسْلَمِيْ

(٢) سورة القيامة : الآياتان ٤٣ و ٤٥ :

والتكريز في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز ، وأحسن وأشد موقعاً .

ومما جاء في مثل هذا قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرُّبَاعَ فَتَهِيْرَ مَحَاجِجَ
فَيَنْسُطُهُ فِي السَّمَااءِ كَيْفَ يَسَأَهُ ، وَيَجْعَلُهُ كَيْفَ فَتَرَى الْدَّقَّ بَخْرُوجُهُ مِنْ خَلَالِهِ ،
إِذَا أَصَابَهُ بِهِ مَنْ يَسَأَهُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشُرُونَ هُوَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يُبَلِّسُهُمْ﴾ (١) .

فقوله : « مِنْ قَبْلِهِ » بعد قوله : « مِنْ قَبْلِ » فيه دلالة على أن عدمهم
بالمطر قد بعده وتطاول ، فاستحقهم ، وتمادي إبلاتهم (٢) ، فكان
الاستفهام شار على قدر اغترابهم بذلك .

وعلى ذلك ورد قوله تعالى : ﴿فَأَنْتُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَلَا يُحْرِمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدْيُنُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ (٣) .

فقوله : « لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يقظة مقام قوله
« وَلَا يَدْيُنُونَ دِينَ الْحَقِّ » ، لأنَّ من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين
دين الحق ، وإنما كسر هاهنا للخطب على المأمور بقتالهم ، والتبجيل عليهم
بالدم ، ورجحهم بالعظائم ، ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحرثهم .

وقد قلنا : إن التكريز إنما يأتي لما أهمن من الأمر ، بصرف العناية إليه
ليثبت ويتهاقر .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَهَجَبْ قَوْلُهُمْ أَمْذَكْنَا كُنْـا

(١) سورة الروم : الآياتان ٨ و ٩ .

(٢) الإبلس اليأس ، يقال : أبلس إذا بشّ .

(٣) سورة التوبة الآية ٢٩ .

قُرَاً بِمَا أَنْتَأَنَّا لَنِي خَلَقْتِ جَدِيداً ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ الْأَغْنَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١)

فَتَكْرِيرٌ لِفَظَةِ « أُولَئِكَ » مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ ، لِسَكَانِ شَدَّةِ الْكَبِيرِ ، وَإِغْلَاطِ الْعَقَابِ بِسَبَبِ إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ .

وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْمَرُونَ^(٢) » .

فَإِنَّهُ إِنَّمَا تَكْرَرَتْ لِفَظَةُ « هُمْ » لِلإِيْذَانِ بِتَحْقِيقِ الْخَسَارَ ، وَالْأَصْلُ فِيهَا وُهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْأَخْمَرُونَ ، لِكِنْ لَمَّا أُرِيدَ تَأْكِيدُ ذَلِكَ جِئَ بِتَكْرِيرِ هَذِهِ الْأَفْظَاتِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنْهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا^(٣) » .

وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْقَصَصِ :

﴿ فَأَضَبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَارِفًا يَتَرَقبُ ، ثَمَّ إِذَا أَلْذِي اسْتَدْنَصَرَهُ بِالْأُمِّسِ يَسْتَغْسِرُ خَمْرًا قَالَ ، أَهُمْ مُؤْمِنُونَ إِنَّكَ أَغْوَى مُجِينًا • فَلَمَّا أَنْ أَرَادَهُنَّ يَمْهِلُشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأُمِّسِ^(٤) .

(١) سورة الرعد : الآية ٥ .

(٢) سورة التحريم : الآية ٥ .

(٣) سورة الحشر : الآية ١٧ .

(٤) سورة القصص : الآيات ١٨ و ١٩ .

«قوله تعالى «فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ» بتكرير «أَنْ» مرتين دليل على أن مُؤمِنٍ - عليه السلام - لم تكن مساعدةه إلى قتل الثاني كما كانت مساعدةه إلى قتل الأول، بل كان عنه إبطاله في بسط يده إليه، فبُر القرآن عن ذلك في قوله تعالى «فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ».

وَجَرَتْ يَابِي وَبْنَ رَجِلٍ مِنَ النَّحْوَيْنِ مُفَارِضَةً فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: إِنَّ (أَنْ) الْأُولَى زَانِدَةٌ، وَلَوْ حُذِفَتْ فَقِيلَ: فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ، لَكَانَ الْمَعْنَى سَوَاءً، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ} (١).

وَقَدْ اتَّفَقَ النَّحَاةُ عَلَى أَنَّ «أَنْ» الْوَارِادَةَ بَعْدَ «لَمَّا» وَقْبَلَ الْفَعْلِ زَانِدَةً.

فَقَلَتْ كَهْ: النَّحَاةُ لَا فَتَيَّبَا لَهُمْ فِي مَوْاقِعِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَلَا عِنْدَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِأَسْرَارِهِمْ مِنْ حَيْثَ إِنَّهُمْ نُحَاةٌ، وَلَا شَكٌ أَنَّهُمْ وَجَدُوا «أَنْ» تِرَدُّدًا بَعْدَ «لَمَّا» وَقْبَلَ الْفَعْلِ فِي الْقَرآنِ الْكَرِيمِ وَفِي كَلَامِ فُصَحَّائِ الْعَرَبِ، فَظَنَّوْا أَنَّ الْمَعْنَى بِوْجُودِهَا كَالْمَعْنَى إِذَا أُسْقِطَتْ، فَتَلَوْا: هَذِهِ زَانِدَةٌ. وَلَيْسَ الْأَسْرُ كَذَلِكَ، بَلْ إِذَا وَرَدَتْ «لَمَّا» وَوَرَدَ الْفَعْلُ بَعْدَهَا بِإِسْقاطٍ «أَنْ» دَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْفَورِ، وَإِذَا أَمْ تَسْقَطَ لَمْ يَدْلِفَا ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْفَعْلَ كَانَ عَلَى الْفَورِ، وَإِنَّمَا كَانَ فِيهِ تِرَاجٍ وَإِبْطَاءً.

وَبِيَانٍ ذَلِكَ مِنْ وَجَهِينَ:

أَحَدُهَا: أَنِّي أَقُولُ: فَائِدَةٌ وَضْحَى الْأَفَاظُ أَنْ تَكُونُ أَدَلةً عَلَى الْمَعْنَى، فَإِذَا وَرَدَتْ لَفْظَةٌ مِنَ الْأَفَاظِ فِي كَلَامِ مُشْهُودٍ لَهُ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، فَالْأُولَى

أن تُحْمَلَ تلَكَ اللفظةُ عَلَى مَعْنَى ، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ مَعْنَى بَعْدَ التَّقْيِيدِ وَالتَّقْفِيرِ .
وَالْبَحْثُ الطَّوِيلُ قَيْلُ : هَذِهِ زَانِدَةُ ، دُخُولُهَا فِي الْكَلَامِ كَخَروجِهَا مِنْهُ .

وَلَمَّا نَظَرَ أَنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجَدْتُ لَفْظَةً « أَنْ » الْوَارِدَةَ بَعْدَ « لَا »
وَقَبْلَ الْفِعْلِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى ، وَإِذَا كَانَتْ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى فَكَيْفَ يَسْوَغُ
أَنْ يُقَالُ إِنَّهَا زَانِدَةٌ ؟ .

فَإِنْ قَيْلَ : إِنَّهَا إِذَا كَانَتْ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى فَيُجُوزُ أَنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى
خَيْرٍ مَا أَشْرَتْ أَنْتَ إِلَيْهِ .

قَاتُ فِي الجَوابِ : إِذَا ثَبَتَ أَنَّهَا دَالَّةً عَلَى مَعْنَى فَالَّذِي أَشْرَتْ إِلَيْهِ مَعْنَى
مَنَاسِبٌ وَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ، وَإِذَا كَانَ مَنَاسِبًا وَاقِعًا فِي مَوْقِعِهِ فَقَدْ حَصَلَ الْمَرْادُ مِنْهُ ،
وَدَلُّ الدَّلِيلِ حِينَئِذٍ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِزَانِدَةٍ .

الْوَجْهُ الْآخَرُ : أَنْ هَذِهِ الْلَّفْظَةُ لَوْ كَانَتْ زَانِدَةً لَكَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي كَلَامِ
الله تَعَالَى ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُونُ قَدْ نَطَقَ بِزِيَادَةٍ فِي كَلَامِهِ لِحَاجَةِ إِلَيْهَا ، وَالْمَعْنَى
يَتَبَعُ بِدُورِهَا ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ كَلَامُهُ مُثْبِرًا ، إِذْ مِنْ شَرْطِ الإعْجَازِ عَدُمُ
الْتَّطْوِيلِ الَّذِي لَا حَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ التَّطْوِيلُ عِيبٌ فِي الْكَلَامِ ، فَكَيْفَ
يَكُونُ مَا هُوَ عِيبٌ فِي الْكَلَامِ مِنْ بَابِ الإعْجَازِ ؟ هَذَا مَحَالٌ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ » فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ
فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُعَاخِذَةً مِنْذُ الْقَوْهُ فِي الْجُبُّ إِلَى أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ إِلَى أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجِدَأْنَهُ كَانَ ثُمَّ إِبْطَاءً بَعِيدًا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ
فِي طُولِ تلَكَ الْمَدَّةِ ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ ثُمَّ مَدَّةً بَعِيدَةً وَمَدَّةً مَتَطَوِّلَةً مَا جَيَّءَ بَعْدَ
« لَمَّا » وَقَبْلَ الْفِعْلِ ، بَلْ كَانَتْ تَكُونُ الْآيَةَ : فَلَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ .

وهذه دفائقٌ ورموزٌ لا تُؤخذُ من النحاة، لأنها ليست من شأنيهم.

واعلم أنَّ مِنْ هذَا النَّوْعِ قِسْمًا يَكُونُ الْمَعْنَى فِيهِ مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَفْظُرِ، وَذَلِكَ يَأْتِي فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ.

وقد وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَاسْتُغْنِيَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آبَائِنَاهُ مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِجْزِ أَلْيَمٍ﴾^(١) وَالرُّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ.

وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ^(٢) .

سُوْضٌ بِثَنْيِ الْوَبْءِ مُضْطَلِعٌ بِهِ وَإِنْ عَظَمْتُ فِيهِ الْخَطُوبُ وَجَلْتَ وَالثَّقْلُ هُوَ الْوَبْءُ، وَالْوَبْءُ هُوَ الثَّقْلُ .

وَكَذِلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْبُحَتْرَى^(٣) .

وَيَوْمَ كَشَدْتُ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمْتُ بَعْيَنِينَ مَوْصُولاً بِلِحِظَمَا السَّخْرِيِّ
تَوَهَّنْتُهَا الْوَرَى رَأَجْفَانْهَا الْكَرَى
كَرَى النَّوْمِ أَوْ مَاكَتْ رَبَاعَطَافِهَا الْخَمْرُ
فَإِنَّ الْكَرَى هُوَ النَّوْمُ .

(١) سورة سباء : الآية ٥ .

(٢) ديوان أبي تمام . من قصيدة له يمدح فيها حبيش بن المعاف ، ومطلعها .

نَائِلُهَا أَيُّ الْمَوَاطِنِ حَلَّتْ وَأَيُّ بَلَادْ أَوْطَانِهَا وَأَيْتْ

(٣) ديوان البختري ١/٤٥ من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها :

مَنْ لَاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلْلٌ قَرْ جَرَى مُسْتَهْلٌ لَا يَكُنْ وَلَا نَزَرْ

وَرُبَّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مُقْتَطِعِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، وَخَلَقَهُ
هَمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ الْفَائِدَةُ فِيهِ هِيَ الَّتِي كَيْدَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ
وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ.

أَمَا الْآيَةُ فَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ » أَيْ : عَذَابٌ مُضَاعَفٌ
مِنْ عَذَابٍ . وَأَمَا يَتَ بِأَبِي تَمَامٍ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْمَدْوُحِ
مَحْمَلَهِ الْأَهْمَالِ .

وَأَمَّا يَتَ بِأَبِي الْبَحْتَرِيِّ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشَبِّهَ طَرْفَهَا لِفَتُورِهِ بِالنَّاثِمِ ، فَكَرَرَ
الْمَعْنَى عَلَى طَرِيقِ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ تَأْكِيدًا لَهُ ، وَزِيادةً فِي بِيَانِهِ .

وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُذَبِّهِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ .

وَلَرَبِّنَا أَذْخُلْ فِي التَّسْكِيرِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مَا لِيَسَ مِنْهُ وَهُوَ مَوْضِعٌ لَمْ يَذَبِّهِ
عَلَيْهِ أَيْضًا أَحَدٌ سِوَايَ .

فَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ نَعَمْ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَكِيرَةٍ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ »^(١) فَلَمَّا تَسْكَرَرَ
« إِنَّ رَبَّكَ » مِرْتَبَيْنَ عُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَدَلُّ عَلَى الْمَغْفِرَةِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى <sup>﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتَّنُوا
إِنَّمَا جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ »</sup>^(٢)

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ^{﴿ لَا تَحْسِبُنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَلَا يُحِبُّونَ}

(١) سورة النحل : الآية ١١٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ١١٠ .

أَنْ يُحَمِّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبُهُمْ رَبِّيْقَارِيْهِ مِنَ الْمَذَابِ (١) .

وهذه الآيات يُظَانُ أَنَّها من باب التكثير، ولبت كذلك.

وقد أَنْتَمْتُ نَظَرِي فِيهَا فَرَأَيْتُهَا خارجَةً عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَطَالَ الْفَصْلَ مِنَ الْكَلَامِ، وَكَانَ أَوَّلُهُ يُعْتَقِرُ إِلَى ثَمَامِهِ لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِهِ، فَالْأُولَى فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يُعَادَ افْتَظُّ الْأُولَى مَرَّةً ثَانِيَةً، لِيَكُونَ مُقَارِنًا لِثَمَامِ الْفَصْلِ، كَمَا لَا يَجِدُ الْكَلَامُ مَنْثُورًا لَا سِيمًا فِي «إِنْ وَأَخْوَانَهَا» .

فَإِذَا وَرَدَتْ «إِنْ» وَكَانَ بَيْنَ اسْمِهَا وَخَبَرِهَا فُسْحَةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الْكَلَامِ فِي اعْتَادَهُ «إِنْ» أَحْسَنُ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ، كَمَا ذَيْتَ تَقْدِيمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ .

وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ بُشِّرِيْهِمْ مِنْ شِعْرِهِ الْحَمَاسَةِ (٢) .

أَسْجِنَاهُ وَقَيْدَاهُ وَاشْتِيَاقاً وَغَرَبَةً وَنَائِيَ حَبِيبِ إِنْ ذَا لَعْظِيمِ وَإِنْ امْرَأً دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ كُلَّ مِثْلٍ هَذِهِ إِنَّهُ لِكَرِيمٌ (٣)
فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ اسْمِ إِنْ وَخَبَرِهَا أُعِيدَتْ «إِنْ» مَرَّةً ثَانِيَةً، لَأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ: وَإِنْ امْرَأً دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَرِيمِ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٢) ديوان الحماسة ٢/١٠٥ ولم ينسبها أبو تمام .

(٣) روایة البيت الثاني في ديوان الحماسة :

وَإِنْ امْرَأً دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلٍ مَا فَاسِيْتَهُ لِكَرِيمٍ
وَعَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ لَا يَكُونُ الْبَيْتُ مَوْضِعًا لِلْاَسْتَشْهَادِ، لَأَنَّهُ لَا تَكْرَارٌ فِيهِ .

لَكِنْ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ الْحَبَرِ مُدَّى طَوِيلٌ ، فَإِذَا لَمْ تُعَدْ « إِنْ » مَرَّةً ثَانِيَةً لَمْ يَأْتِ
عَلَى الْكَلَامِ بِهِجَةٍ وَلَا رَوْقَةٍ .

وَهُدَا لَا يَتَفَجَّرُ لَا سَتِيعَاهُ إِلَّا الْفَصَحَاءُ إِيمَانًا طَبِيعًا وَإِيمَانًا عَلَمًا .

* * *

وَكَذَلِكَ يَحْرُى الْأَمْرُ إِذَا كَانَ خَبَرُ « إِنْ » عَامِلاً فِي مَعْمُولٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ ،
فَإِنْ إِعْادَةُ الْخَبَرِ ثَانِيَةً هُوَ الْأَحْسَنُ .

وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُم
لِي سَاجِدِينَ ^(١) .

فَلَمَّا قَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ » ثُمَّ طَالَ النَّصْلُ كَانَ الْأَخْسَنُ أَنْ يُعِيدَ لَهُ نَظَرَ
الرُّؤْيَا فَيَقُولَ « رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » .

وَكَذَلِكَ جَاءَتِ الْآيَةُ الْمَذَكُورَةُ هَاهُنَا مُمَثَّلَةً هَذِهِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ
الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ^(٢) ﴾ « فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ النَّصْلُ أَعْدَادَ قَوْلَهُ ^(٣) فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْمَذَابِ ^(٤) ﴾ قَاعِلُمْ ذَلِكَ وَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهِ .

وَكَذَلِكَ الْآيَةُ الْتِي قَبْلَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ أَعْمَلُوا الشَّوَّءَ
بِعِنْدِكَ ^(٥) ﴾ .

(١) سورة يوسف : الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٣) سورة النحل : الآية ١١٩ .

وَكَذِلِكَ الْآيَةُ الْأُخْرَى وَهِيَ : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ
مَا فَتَنُوا » .

وَمِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ فِي الْأَفْظَادِ وَالْمَعْنَى الدَّالِّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَقَالَ الَّذِي آتَنَّ يَأْوِيْمِ أَتَبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرُّشَادِ ۝ يَا قَوْمَ إِنَّمَا هَذِهِ
الْأُذْنِيْكَ مَقَاتِعٌ وَمَا الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾^(١) .

فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرِرَ ذِلِكَ لِذَاهِبِ قَوْمِهِ هَا هُنَا لِرِيَادَةِ التَّذَبِيْهِ لَهُمْ وَالْإِيقَاظِ مِنْ سَيِّئَاتِ
الْغَفْلَةِ ، وَلَا نَهُمْ قَوْمٌ وَعَشِيرَتُهُ ، وَهُمْ فِيهَا يَوْمَ يَقْهَمُونَ مِنَ الضَّلَالِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ
وَجْهَ خَلَاقِهِمْ ، وَنَصِيبَتْهُمْ عَلَيْهِ وَاجِبَاتٌ ، فَهُوَ يَتَعَزَّزُ لَهُمْ ، وَيَقْلِطُ بِهِمْ ،
وَيَسْتَدِعِي مَذِلَّاتَ أَلَا يَتَمَمُوهُ ، فَإِنَّ مُرْوَزَهُمْ مُرْوَرَهُ ، وَغَمَّهُمْ غَمَّهُ ، وَأَنَّ
يُنْزِلُوا عَلَى نَصِيبِهِ لَهُمْ .

وَهَذَا مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبَاغٌ مِنَ الْإِبْحَازِ ، وَأَشَدُ مَوْقِعًا مِنَ الْأَخْتِصَارِ ،
غَاعِرٌ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَعَلَى نَحْوِهِ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْقَمَرِ : « فَذَوْلُوا عَذَابِي وَنُذَرُ ۝
وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِي كَرِرَ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴾^(٢) .

فَإِنَّهُ قَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي السُّورَةِ كَثِيرًا ، وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُجَدِّدُ وَاَعْنَدَ اسْتِعْمَاعَ
كُلِّ ذِيْنِ أَنْجَاهُ الْأَوَّلِينَ إِذْ كَارُوا إِيقَاظًا ، وَأَنْ يَسْتَأْنِفُوا تَذَبُّهُمْ وَاسْتِدِيقَاظًا ،
إِذَا سَمِعُوا الْحَثَّ عَلَى ذَلِكَ وَالْبَعْثَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ تُفْرَغَ لَهُمْ الْأَصَاصَاتِ ،
لَهُلَا يَغْلِبُهُمُ السُّمْوُ ، وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِمُ الْغَفْلَةُ .

(١) سورة المؤمن : الآياتان ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة القمر : الآياتان ٣٩ و ٤٠ .

وَهَكْذَا حُكْمُ النَّسْكِرِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ : هُنَّ فَبَائِيَ الْأَوَّلِ
رَبُّكُمْ أَتُكَذِّبُكُمْ بِأَنْ .

وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ عَدَّهَا عَلَى عِبَادِهِ .

وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرٌ .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ شَعْرًا قَوْلُ بَعْضِ شُعَرَاءِ الْخَامِسَةِ (١) :

إِلَى مَعْدِنِ الْعِزَّةِ الْمُؤْتَلِ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزْلُ (٢)
فَقَوْلُهُ « هُنَاكَ هُنَاكَ » مِنَ التَّسْكِرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيجَازِ ، لِأَنَّهُ
مَعْرُضٌ مَدْحُونٌ ، فَهُوَ يَقْرُرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا عَدَّهُ الْمَدْوُحُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصافِ
الْمَذْكُورَةِ مُشِيرًا إِلَيْهَا ، كَأَنَّهُ قَالَ أَدْلَكُمْ هَلِي مَعْدِنٌ كَذَا وَكَذَا
وَمَقْرُوْ وَمَقَادِي .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِرِ بْنِ هِنْدِ (٣) :

جَزَى اللَّهُ عَنِي غَالِبًا مِنْ عَشِيرَةِ إِذَا حَدَّثَنِي الدَّهْرُ نَابَتْ نَوَافِيهِ (٤)

(١) نَسْبَهُ أَبُو تَعَامُ إِلَى خَلَفِ بْنِ خَلِيفَةِ مُولَى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَهُوَ شَاعِرُ إِسْلَامِيٍّ بِحِمْدَةِ مَقْلِ نَاصِرِ جَرِيرًا وَالْفَرِزَدقَ ، وَيُعْرَفُ بِالْأَقْصَعِ ، لِأَنَّهُ قَطَمَتْ يَدَهُ بِسَرْقَةِ اتِّهَامِ بَهَا .

(٢) رَوْاْيَةُ دِيْوَانِ الْخَامِسَةِ ٣٣٦/٢ « الْمَؤْتَلُ » مَوْضِعُ « الْمُؤْتَلُ » وَالْبَيْتُ مِنْ جَمِيلَاتِ أُولَاهَا :

عَدْلَتْ إِلَى فِخْرِ الْمُشَيْرَةِ وَالْمُهْوِيِّ إِلَيْهِمْ وَفِي تَعْدَادِ بَجْدَهُمْ شَغَلَ

(٣) هُوَ أَبْنَى قَيْسِ بْنِ زَهْرَةِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ رَوَاحَةَ ، هَكَذَا قَالَ التَّبَرِيزِيُّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ شَاعِرُ إِسْلَامِيٍّ مَقْلِ نَاصِرِ جَرِيرًا وَالْفَرِزَدقَ .

(٤) بَعْدَ هَذِينِ الْبَيْتَيْنِ بِيَتَانَ ، وَهُنَّا :

إِذَا قَلْتَ عُودُوا عَادَ كُلُّ شَمَرْدَلٍ أَشْمَمُ مِنَ الْفَتَيَانِ جَزْلٌ مَوَاهِبُهِ
إِذَا أَخْذَتْ بَزْلَ الْمَخَاضِ سَلَاحَهَا تَجْرِدَ فِيهَا مُتَلَّفٌ الْمَالُ كَابِهِ
رَاجِعٌ دِيْوَانَ الْخَامِسَةِ ٢٩١/٢ . رَلَمْ يَنْسَبْ أَبُو تَعَامُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْمَسَاوِرِ ، وَلَكِنَّهُ
رَوَاهَا بَعْدَ أَبْيَاتِ الْمَسَاوِرِ أُولَاهَا :

فَدَأْ لَبَنِي هِنْدَ غَدَةَ دَعْوَتِهِمْ بِجَوْ وَبَالَ النَّفْسِ وَالْأَبْوَاتِ
لَمْ رُوَى بَعْدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ ، وَنَسْبَهَا لِآخَرَ . وَرَوْاْيَةُ الْخَامِسَةِ فِي الْبَيْتِ
الْأَوَّلِ « جَزَى اللَّهُ خَيْرًا غَالِبًا »

فَكَمْ دَأَفُوا مِنْ كُرْبَةٍ فَدْ تَلَاحَتْ عَلَى وَمَوْجٍ قَدْ عَلَقْتِي غَوَارِبُهُ^(١)

فصدق الـبيـتـ الثـانـيـ وعـبرـهـ يـدـ لـآنـ عـلـىـ مـعـنـىـ وـاـحـدـ ،ـ لـأـنـ قـلـاحـمـ الـكـربـ عـلـيـهـ كـتـعـالـيـ المـوـجـ مـنـ فـوـقـهـ .ـ وـإـنـماـ سـوـغـ ذـالـكـ لـأـنـهـ مـقـامـ مـدـحـ وـإـطـرـاءـ ،ـ أـلـاـ تـرـسـىـ أـنـهـ يـصـيـفـ إـخـسانـ هـؤـلـاءـ الـقـوـمـ عـنـدـ حـدـثـانـ دـهـرـ وـفـيـ الـتـكـرـيرـ ،ـ وـفـيـ قـبـاتـهـ لـوـ كـانـ الـقـائـلـ هـاجـيـاـ ،ـ فـإـنـ الـهـجـاءـ فـيـ هـذـاـ كـالـمـدـحـ ،ـ وـالـتـكـرـيرـ إـنـماـ يـخـمـنـ فـيـ كـلـاـ الـطـرـقـينـ لـأـ فـيـ الـوـسـطـ .ـ

وـاعـلـمـ أـنـهـ إـذـاـ وـرـدـتـ «ـإـنـ»ـ الـمـكـسـورـةـ الـخـفـفـةـ قـبـلـ «ـمـاـ»ـ كـانـ بـعـنـاهـاـ سـوـاءـ .ـ

أـلـاـ زـرـىـ إـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـإـنـ هـمـ إـلـاـ كـلـأـنـعـامـ»ـ فـ«ـإـنـ»ـ وـ«ـمـاـ»ـ بـعـنـىـ وـاـحـدـ ،ـ وـإـدـاـ أـورـدـتـ مـنـ بـعـدـ «ـمـاـ»ـ كـانـ مـنـ بـابـ الـتـكـرـيرـ كـقـوـلـهـ :ـ «ـمـاـ إـنـ كـذـاـ وـكـذـاـ»ـ ،ـ أـئـىـ :ـ مـاـ يـكـونـ كـذـاـ وـكـذـاـ ،ـ وـإـدـاـ وـرـدـتـ فـيـ الـكـلامـ فـإـنـماـ تـرـدـ فـيـ مـثـلـ مـاـ أـفـرـزـنـاـ إـلـيـهـ مـنـ الـتـكـرـيرـ ،ـ فـإـنـ اـسـتـهـمـلـتـ فـيـ غـيـرـ مـاـ يـكـونـ مـنـهـ إـلـفـائـدـةـ يـفـتـجـهـاـ تـكـرـيرـهـاـ كـانـ اـسـتـهـمـلـهـاـ لـغـوـاـ لـفـائـدـةـ فـيـهـ .ـ

وـقـدـ زـعـمـ قـوـمـ مـنـ مـدـعـىـ هـذـهـ الصـنـاعـةـ أـنـ أـبـاـ الطـيـبـ الـمـتـنـيـ أـتـىـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ بـتـكـرـيرـ لـاـحـاجـةـ بـهـ إـلـيـهـ ،ـ وـهـوـ قـوـلـهـ^(٢)ـ :

الـعـارـضـ الـهـنـيـ اـبـنـ الـعـارـضـ الـهـنـيـ اـبـنـ .ـ بـنـ الـعـارـضـ الـهـنـيـ اـبـنـ الـعـارـضـ الـهـنـيـ

(١) الغوارب أعلى الموج وأعلى الظاهر .

(٢) ديوان المتنى ٤/٢٠٩ من قصيدة له في مدح أبي عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي الأذفاكي، ومطلعها:

وَلَيْسَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ تَكْرِيرٍ، فَإِنَّهُ كَفَوْا لَكَ « الْمَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا
أَيْنُ، الْمَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا » أَيْ : أَنَّهُ عَرِيقٌ الْأَسْبِ فِي هَذَا الْوَضْفِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبِيُّ مُثْلُ ذَلِكَ، كَمَا قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي وَصْفِ يُوسُفَ الصَّدِيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ
يَهُوَبِ بْنِ إِشْحَاقِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » .

وَلَقَدْ فَأَوْضَحَ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ، وَأَخَذَ يَطْعَنُ
مِنْ جِهَةِ تَكْرِارِهِ، فَوَقْفَتْهُ عَلَى مَوَاضِعِ الصَّوَابِ فِيهِ، وَعَرَفْتُهُ أَنَّهُ كَانَ لِبِرِّ
النَّبِيِّ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى سَوَاءً بِسَوَاءٍ، لَكِنَّ لَفْظَهُ لَيْسَ بِعَرَضٍ طَلَى هَذَا
الْوَجْهِ الَّذِي قَدْ اسْتَغْفِلَ فِيهِ، فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ إِذَا كَانَتْ حِسَانًا فِي حَالٍ أَنْفَادِهَا
فَإِنَّ اسْتِعْلَامَهَا فِي حَالِ التَّرْكِيبِ يُزِيدُهَا حُسْنًا عَلَى حُسْنِهَا، أَوْ يُذْهِبُ
الْحُسْنَ عَنْهَا .

وَقَدْ تَقدَّمَ الْكَلَامُ طَلَى ذَلِكَ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى مِنَ الصَّفَاعَةِ الْلَّفْظِيَّةِ (١) .

وَلَوْ تَهِيئَ لِأَيِّ الطَّبِّ الْمُتَنَبِّيَ أَنْ يَبْدُلْ لَفْظَةً « الْعَارِضُ » بِلَفْظَةِ
« السَّحَابُ » أَوْ مَا يَنْجُرِي بِحِرَاها - كَانَ أَحْسَنَ .

وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ « الْهَنَنِ » (٢) فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِمُرْضِيَّةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَلَفْظَةُ « الْعَارِضُ » وَإِنْ كَانَتْ قَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ ،

(١) انظر صفة (٢١١) من القسم الأول من هذه الطبعة .

(٢) العارض السحاب يفترض في الأفق ، ومنه قوله تعالى « عارض بمطرنا » .

(٣) هنت الماء تهنت هتنا وتهتنا وتهتنا ، وتهانت : انصبت ، أو هو فوق
المطال ، أو الضيف الدائم ، أو مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود ، وسحاب هاتن وتهتون .

وَهِيَ لِفْظَةٌ حَسَنَةٌ، قَالَ فَرْقٌ بَيْنَ وُرُودِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوُرُودِهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ ظَاهِرٌ.

وقد تقدم الكلام على مثلها من آية وبيت لأبي الطيب أيضاً، وهو في المقالة الفوضية عند الكلام على الألفاظ المفردة فلما وخذ من هناك^(١).

وَكَثِيرًا مَا يَقْعُدُ الْجَهْنَمُ فِي مَثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، وَهُمُ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

وَكَذَا كُلُّ أَخِي حَذَّلَةٍ مَا مَشَى فِي يَابِسٍ إِلَّا زَلَقَ

فَتَرَى أَحَدُهُمْ قَدْ جَمَعَ نَفْسَهُ، وَظَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ أَنَّهُ عَالِمٌ، فَيُسْرِعُ فِي وَصْفِ كَلَامٍ بِالإِبْحَازِ، وَكَلَامٍ بِالْقَطْوَبِلِ، أَوْ مَا تَكْرِيرِ، وَإِذَا طُولَبَ بِأَنْ يُبَدِّي سَبِيلَ مَا ذَكَرَهُ لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُ مِنَ الْقُولِ شَيْءٌ، إِلَّا تَحْكُمَ مَخْضَمًا صَادِرًا عَنْ جَهَنَّمِ تَخْضُنِ.

الغريب الثاني من الذكر في اللفظ والمهمي :

وَهُوَ غَيْرُ الْمُقْبَدِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ الْأَصْغَرِ^(٢) :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبَّذَا نَجْدًا عَلَى النَّأَيِّ وَالْبُعْدِ اَنْظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَغْدَادَ دُونَهَا أَمَّلَ أَرَى نَجْدًا وَهَيَّاهَا مِنْ نَجْدٍ

وهذا من العيُّ الضعيف، فإنه كرد ذِكر « نَجْدٍ » في البيت الأول ثلاثة،

(١) انظر صفحة (٤٣) من القسم الأول من هذه الطبعة، وقد وازن فيها بين استعمال كلمتي « العسل » و « الشهد » في شهر الماء عرج ولأبي الطيب وآية من القرآن الكريم.

(٢) هو أبو السبط مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة، وهو مروان الأصغر، ويقال لجده مروان بن أبي حفصة مروان الأكبر. كان شاعرًا ساقط الشعر، عاصر الواقف والمتوكل، وله قصائد عدة في المتوكل وأحمد بن أبي دواد.

وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي ثَلَاثَةُ، وَسُرَادُهُ فِي الْأُولَى الْمُقَاءَمَةُ عَلَى نَجْدِهِ، وَفِي الثَّانِي أَنَّهُ تَلَفَّتَ إِلَيْهَا نَاظِرًا مِنْ بَعْدَادَ، وَذَلِكَ سَرَّاجٌ بَعِيدٌ.

وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَثَلٍ هَذَا التَّكْرِيرُ.

أَمَّا الْبَيْتُ الْأُولُ فَيُحْكَمُ عَلَى الْجَاهِزِ مِنَ التَّكْرِيرِ، لَأَنَّهُ مَقَامٌ تَشْوِقُ وَمَحْزُونٌ وَمَوْجَدٌ بِفَرَاقِ نَجْدٍ. وَلَا كَانَ كَذَلِكَ أُجِيزَ فِيهِ التَّكْرِيرُ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُنْكِفُهُ أَنْ يَصُوغَ هَذَا الْمَعْنَى الْوَارِدُ فِي الْأَبْيَاتِ مِمَّا مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَأْتِي بِهِذَا التَّكْرِيرِ الْمُتَقَابِعُ سِتَّ مَرَّاتٍ.

وَعَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسِ^(١) :

أَقْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَنَافَنَا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْجُلِ خَامِسٌ^(٢)

وَسُرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَقَمُوا بِهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، وَيَا عَجَّالَهُ يَأْتِي بَعْدَهُ هَذَا الْبَيْتُ السُّعِيفُ الدَّالُّ عَلَى الْعَيْنِ الْفَاحِشِ فِي ضِمْنِ تِلْكَ الأَبْيَاتِ الْمَعْجِيَّةِ الْحُسْنِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرَهَا فِي بَابِ الْإِبْجَازِ^(٣)، وَهِيَ :

وَدَارَ نَدَامِي عَطَلُوهَا وَأَدْلَجُوا

وَمِنْ هَذَا الْبَيْكِ أَيْضًا مَا أُورَدَنَاهُ فِي صَدِيرِ هَذَا النُّوعِ، وَهُوَ قَوْلُ

أَبِي الطَّيْبِ :

(١) دِيوانُ أَبِي نُوَاسِ (٢٩٥) مِنْ جَلَّهُ أَبْيَاتٍ مِنْ خَرِيَّاتِهِ أَوْلَاهَا.

وَدَارَ نَدَامِي عَطَلُوهَا وَأَدْلَجُوا بِهَا أُثْرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارَسٌ

(٢) رِوَايَةُ الْدِيْوَانِ فِي هَذَا الْبَيْتِ :

أَقْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمَيْنِ بَعْدِهِ وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْجُلِ خَامِسٌ

(٣) رَاجِمُ صَفَحَةِ (٣٤٦) مِنَ الْقَسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْطَّبْعَةِ.

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمُثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ^(١)
فَهذا هو التكثير في الفاحش الذي يُؤْثِرُ في الْكَلَامِ تَفْصِيلًا.

الآتَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي فِي سُوْءِ الْجَوَارِ ، وَلَا مِثْلَ فِي
مُصَابَرَتِهِمْ وَمُقَابِلِعِنْدِهِمْ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَيْدَتِ مَرَّتَيْنِ .

وَقَلَمَتُ مَا لَهُمْ الَّذِي قَلَمَلَ الْحَسْنَاءَ فَلَاَقِلَّ عِدِّيْسَ كَلْهُنَّ فَلَاَقِلُّ

(التكثير في المعنى دون اللفظ)

وأما القسم الثاني من التكثير ، وهو الذي يوجد في المعنى دون القفيظ .
فذلك يضر بآن : مفید وغيره مفید .

الضمير والدُّول : المفهوم

وَهُوَ نُوعَانٌ :

الرُّولِيْلِ اذَا طَهَرَ الْكَرْبَرَ فِي الْمَهْنَى بِرَلٍ عَلَى مَهْنَيْجَنِيْنِ مَحْدَانْجَنِيْنِ :

وهو موضع من التكثير مشكل ، لأنَّه يُسبِّقُ إلى الوهم أنه تكثير يدلُّ على معنى واحد .

فِيمَا بَحَثَ عَنْهُ حَدِيثُ حَاطِبٍ بْنِ أَبِي بَلْقَاءِ^(٤) فِي غَزْوَةِ الْفَتحِ ، وَذَلِكَ

(١) من قصيدة الى اولها :

فؤاد ما تسلية المدام وعمر مثل ما تهب اللئام
وقد سبق في صفحة (٣) من هذا القسم الثالث.

(٤) هو حاطب بن أبي بلتعة الالخمي ، حليف قريش ، ويقال إنه من مذحج وقيل هو حليف الزبير بن العوام . شهد بدر والحدبية، ومات سنة ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خس وثنين سنة ، وصلى عليه عثمان ، وقد شهد الله لحاطب بالإعان في قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم أولياء ... ». وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَلَيْهِ بَنُو أَبِي طَالِبٍ وَالزَّبِيرِ^(١) وَالْمَقْدَادَ^(٢)
— رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ — فَقَالَ : « إِذَا هَبُوا إِلَى رَوْضَةِ خَاجَ^(٣) ، فَإِنَّ بَهَا ظَعِيفَةً
مَعْهَا كِتَابٌ ، فَأَتُوْنِي بِهِ » قَالَ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : نَحْرَجْنَا تَعْوَادَى بِنَا خَيْلَنَا ،
حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، وَإِذَا فَيْمَا الظَّعِيفَةُ ، فَأَخْذُنَا الْكِتَابَ مِنْ عِقَاصِهِمْ^(٤) ، وَأَتَيْنَا
بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ حَاطِبَ بْنِ أَبِي بَلَّةَ إِلَى نَاسٍ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِعِصْمَ شَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ
لَهُ : مَا هَذَا يَا حَاطِبَ ؟ فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَبْجَلْ عَلَيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ أَمْرًا
مُلْصِقًا فِي قُرَبَشَ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » ، وَكَانَ مِنْ مَعْكَ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ لَهُمْ
فَرَآءَةٌ يَخْمُونَ بِهَا أَمْوَاهُهُمْ وَأَهْلِيَّهُمْ بِمَكَّةَ ، فَأَحْبَبْتُ إِذَا فَانَى ذَلِكَ مِنَ
الْأَسَبِرِ أَنْ أَتَخْذِي عَذَافُهُمْ بَدَأْ يَخْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي ، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا
وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِيْنِي ، وَلَا رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ » .

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى ، أمه صفية
بنت عبد المطلب بن هاشم عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة
سنة ، ولم يتخaf عن غزوة غزها رسول الله ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن
الستة الذين هم أهل الشورى ، ومات مقتولا في فتنة الجمل يوم الخميس لعشرين خلون من جادى الأولى
سنة ست وثلاثين .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراوى ، من بحراة من قباء ،
وفيل هو كندي من كندة ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، وكان من الفضلاء النجباء الكبار
الم الخيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، ودفن في أرضه بالجرف ،
خمل إلى المدينة ، ودفن بها ، وصلى عليه عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين .

(٣) خاج : موضع بين الحسين ، به روضة خاج ، بقرب حراء الأسد من المدينة ،
قال الأحوص .

ليست لياليك من خاج بعائدة كما عهدت ولا أيام ذي سلم

(٤) العيقضة : الصفيحة ، وبعقص الشعر ضفره على الرأس .

فقوله « ما فعَلتْ ذلِكَ كُفُرًا ، وَلَا ارْتِدَادًا عَنِ دِينِي ، وَلَا رِضاً بِالْكُفُرِ بَعْدَ إِسْلَامِهِ » من التكثير في الحسن .

وبعض الجهل يظنه تكثيراً لا فائدة فيه ، فإن الكفر والارتداد عن الدين سواء ، وكذا الرخصة بالكفر بعد الإسلام ، وليس كذلك . والذى يدل عليه اللفظ هو أنى لم أفعل ذلك وأنا كافر ، أي : باق على الكفر ، ولا مرتد ، أي : أنى كفرت بعد إسلامي ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، أي : ولا إيماناً لجانب الكفار على جانب المسلمين . وهذا حسن في مكانه ، واقع في موقعه .

وقد يحمل التكثير فيه على غير هذا الفرع الذي نحن بصدده ذكره هنا ، وهو الذي يكون التكثير فيه يدل على معنى واحد ، وسيأتي بيانه في الفرع الثاني الذي يلى هذا الفرع الأول .

والذى يجوزه أن هذا المقام هو مقام اعتذار وتنصل عما رمى به من تلك الفارعة المظيمة التي هي نفاق وكفر ، فكرر المعنى في اعتذاره قصداً لتفاكيده وللتغطية لما ينفي عنه ما رمى به .

ومما ينظم بهذا السياق أنه إذا كان التكثير في المعنى بذلك على معنيين : أحدهما خاص ، والآخر عام كقوله تعالى : « وَلَئِنْ كُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَذْوَنُنَّ إِلَى أَخْيَرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا مِنَ الْمُنْكَرِ » (١) .

فإن الأمر بالمعروف خير ، وليس كل خير أمراً بالمعروف ، وذاك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف .

فَقَاتُلُهُ التَّكْرِيرُ هَمَّا أَنَّهُ ذَكَرَ الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامَ لِتَقْبِيْهِ عَلَى فَضْلِهِ ،
كَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ۚ ﴾ (١) .

وَكَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿ فِيهِمَا مَا كَرِهُ وَنَحْنُ وَرْمَانٌ ۚ ﴾ (٢) .

وَكَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَاةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَهَالِ
فَأَبْيَنَ أَنَّ يَحْمِلُنَّهَا ۚ ﴾ (٣) .

فَإِنَّ الْجَهَالَ دَاخِلَةٌ فِي جُمْلَةِ الْأَرْضِ ، لِسْكَنٍ لِفَظَ الْأَرْضِ حَامٌ ، وَالْجَهَالُ
خَاصٌ . وَقَاتُلُهُ هَمَّا هَذَا تَعْظِيمُ شَأنِ الْأَمَاةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا .

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرًا .

وَمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلَ [الْمَقْنُعُ الْكَيْفِيُّ] (٤) [مِنْ أَبْيَاتِ الْحَمَاسَةِ] (٥) :
وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي سَعْيٍ لِمُخْتَافٍ رِجْدًا
إِذَا أَكَلُوا لَحْمًا وَفَرَّتُ لَهُوَ مِنْهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا تَجْدِي بَنَيَّتُ لَهُمْ تَجْدِي (٦)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٨

(٢) سورة الرحمن . الآية ٦٨

(٣) سورة الأحزاب . الآية ٧٢

(٤) بياض في الأصل موضع اسم الشاعر ، وهو محمد بن طفر بن عمير بالتهى نسبه إلى
كندة بن عفير ، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجهًا ، وكان إذا حسر اللثام عن
وجهه أصابته العين ويتحققه عنق ومشقة ، فـكان لا يعيش إلا مقنعًا ، هكذا ذكر التبريزى .
وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بي أمية ، وكان له محل وشرف ومرودة
في عشيرته ، وكان متخرقا في عطایاه ، سمح اليه بماله ، لا يرد سائلًا عن شيء سأله إياه .
(٥) ديوان الحماسة ٣٣/٢ من جملة أبيات أولها .

يَعَانِي فِي الدِّينِ قَوْمٍ وَإِنَّا دِيْوَنِي فِي أَشْيَاءِ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا
وَانظُرْ أَمَالِي الْقَالِي ١/٢٨٠ وَفِيهَا نَلَانَةُ أَبْيَاتٍ لَيْسَتْ فِي رِوَايَةِ أَبِي ثَمَامَ .
(٦) رِوَايَةُ الْحَمَاسَةِ « فَإِنْ أَكَلُوا . . . » وَرِوَايَةُ الْأَمَالِي « فَإِنْ يَا أَكَلُوا . . . »

وَإِنْ هُمْ مُّوَاغِيْبٍ حَفِظْتُ عُيُونَهُمْ . وَإِنْ هُمْ هُوَوْا غَيْرُ هُوَيْتُ هُمْ رُشْدًا
فَهذا منَ الْخَاصُّ وَالْعَامُ ، فَإِنْ كُلُّ لَحْمٍ يُؤْكِلُ لِلإِنْسَانِ فَهُوَ تَضْيِيقٌ لِغَيْرِهِ ،
وَلِيُمْسِ كُلُّ تَضْيِيقٍ لِغَيْرِهِ أَكْلًا لِلْحُمْرِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ كُلَّ الْحَمْ لَهُ كِذَايَةٌ عَنِ الْأَغْتِيَابِ ؟ وَأَمَّا تَضْيِيقُ الْغَيْبِ ،
فَمِنْهُ الْأَغْتِيَابُ ، وَمِنْهُ التَّغْلِي عنِ النَّهَرَةِ وَالْإِعَاةِ ، وَمِنْهُ إِهْمَالُ السُّعْيِ فِي كُلِّ
مَا يَعُودُ بِالنَّفْعِ كَأَنَّهَا مَا كَانَ .

وَعَلَى هَذَا فَإِنْ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الْخَاصُّ وَالْعَامِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي الْآيَةِ الْمَقْدُومِ
ذِكْرُهَا ، وَهُوَ مَوْضِعُ بَرْدَفِ الْكَلَامِ الْبَلِيجِ ، وَيُظَانُ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ .

* * *

الفرع الْمَائِنُ : إِذَا طَافَ الْمُكَرَّرُ فِي الْمَهْنِي بِمَلْهُولٍ عَلَى مَعْنَى وَاهْدِ لِلْغَيْرِ
وَقَدْ سَبَقَ مَثَالُ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ ، كَمَا وَلَكَ : « أَطِعْنِي وَلَا تَعْصِنِي »
فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهَىٰ عَنِ الْمُعْصِيَةِ ، وَالْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ تَثْبِيتُ الطَّاعَةِ فِي
نَفْسِ الْمُخَاطِبِ .

وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْكَلَامِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ تَكْرِيرِ الْفَظِيلِ
وَالْمَعْنَى إِذَا كَانَ الْفَرْضُ بِهِ شَيْئًا وَاحِدًا ، وَلَا يَجُدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ
إِلَّا إِنَّمَا كَيْدَ الْفَرْضِ الْمَصْوُدِ بِهِ ، كَمَا قَوْلِهِ تَعَالَى :

لَوْلَيْهِمَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لِكُمْ فَاجْزِرُوهُمْ ،
وَإِنْ تَعْمُلُوا وَتَصْفُحُوا وَتَغْفِرُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) .

فإنه إنما كفر العفو والصفح والمغفرة - والجمع بمعنى واحد - لزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده، والزوج عن زوجته.

وهذا وأمثاله ينظر في الفرض المقصود به، وهو موضوع يكون الكثير فيه أو جزء من لحة الإيجاز، وأولى بالاستعمال. وقد ورد في القرآن كثيراً كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام:

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْهُدُ أَنِّي وَحْزَنَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

فإن البَثَ والحزن بمعنى واحد، وإنما كفره هاهنا لشدة الخطب النازل به، وتكلفه سببه في قلبه، وهذا المعنى كالذى قوله.

و كذلك ورد قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةُ كَامِلَةٍ﴾^(٢) بعد ثلاثة وسبعين تسبعاً من قلبه ثلاثة وسبعين من ذين، لأن « عشرة » هي ثلاثة وسبعين، ثم قال « كاملة »، وذلك توكيده ثالث، والمراد به إيجاب صوم الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفوز، لا عند الوصول إلى البلد، كما ذهب إليه بعض الفقهاء.

وبيانه أى أقول: إذا صدر الأمر من الأمر على المأمور بلغظة الكثير تحرداً من قرينة تخرجه عن وصفه، ولم يكن موقتاً بوقت معين، كان ذلك حيناً له على المبادرات إلى امتحان الأمر على الفوز، فذلك إذا قلت لهن تأمره بالقيام: « قُمْ قُمْ قُمْ »، فإنهما يريد بهذا التأكيد المكرر أن يمادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة.

(١) سورة يوسف. الآية ٨٦

(٢) سورة البقرة. الآية ١٩٦ وقبل هذه الجملة « فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ».

فإن قلتَ : الغرضُ بتكريزِ الأمرِ أن يشترط في نفسِ المأمورِ أنْ هُوَ مُرادُ منه ، وليسَ الغرضُ الحثُّ على المبادرةِ إلى امتناعِ الأمرِ ؟

قلتُ في الجوابِ : إنَّ المرأةَ الواحدةَ كافيةٌ في معرفةِ المأمورِ أنَّ الذي أمرَ بهِ مُرادُ منه ، والزيادةُ على المرأةِ الواحدةِ لا تخلو إما أنْ تكونَ دالةً على ما دلتُ عليهِ المرأةُ الواحدةُ ، أوْ دالةً على زيادةٍ معنَى لم تكنْ في المرأةِ الواحدةِ .

فإنْ كانتْ دالةً عليهِ المرأةُ الواحدةُ كانَ ذلكَ تطويلاً في الكلامِ ،
لا حاجةً إليهِ .

وقد وردَ بذلكَ في القرآنِ الكريمِ ، كهذه الآيةُ المشارَ إليها وغيرها من الآياتِ ، والتلطفُ في الكلامِ عيبٌ فاحشٌ عندَ البلاغاءِ والفصحاءِ ، والقرآنُ معجزٌ ببلاغتهِ ونصائحهِ ، فكيفَ يكونُ فيهِ تطويلٌ لا حاجةً إليهِ ؟ فيذهبُنَّ
أنْ تكونَ تلكَ الزيادةُ دالةً على معنَى زائدٍ كلَّ ما دلتُ عليهِ المرأةُ الواحدةُ .
ولإذا ثبتَ هذا فتلهُ الزيادةُ هي الحثُّ على المبادرةِ إلى امتناعِ الأمرِ .

فإنْ سَلَمْتَ لي ذلكَ ، وإنَّما فَيْنَ معنَى تلكَ الزيادةِ بيانٌ غيرِ ما ذكرُتهُ أنا ،
ولا أَرَكَ أَنْ تستطيعَ ذلكَ ! فإنْ قلتَ : إنَّ الواوَ في قولهِ تعالى « وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ »
لوُلاَ أَنْ تُؤْكِدْ بقولهِ : « تِلْكَ عَشْرَةُ » لظنُّ أنها وردتْ بمعنى « أَوْ » أيْ :
ثلاثةُ أيامٍ في الحجَّ أوْ سبعةٌ إذا رَجَعْتُمْ ، فلئنْما قيلَ « تِلْكَ عَشْرَةُ » زالَ
هذا الظنُّ ، وتحققتِ الواوُ أنها عاطفةٌ ، وليسَ بمعنى « أَوْ » .

قلتُ في الجوابِ : هذا باطلٌ منْ نَمْرَبَعَةِ أَوْنَجِهِ :

الوجهُ لأُولَئِكَ : أنَّ الواوَ العاطفةَ لا تُحملُ بمعنى « أَوْ » أَيْنَ وَرَدَتْ مِنْ

الكلام ، ولأنما تجعل بمعنى « أو » حالَ فَرُودَةٍ ترجيحة جانبها على جانب جملتها عاطفة ، لأنَّ الأصلَ منها أن تكونَ عاطفةً ، فإذا عدلَ بها عن أصلها احتاجَ إلى ترجيحة ، ولا ترجيحةَ هنا .

الوجهُ الثاني : بلاغيٌّ ، وذاكَ أنتَ القرآنُ الكريمُ مُنْتَهى البلاغةِ والفصاحةِ لسخانِ إعجازِه ، ولو كانَ معنى الواوِ في هذه الآيةِ بمعنى « أو » اقيلُ : فَلَادُهُ أَيَّامٌ فِي الْحِجَّةِ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ ، ولم يُحْتَاجَ إلى هذا التَّطْوِيلِ فَقولهُ : فَلَادُهُ أَيَّامٌ فِي الْحِجَّةِ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةً كَامِلَةً .

الوجهُ الثالث : أنَّ هذا الصَّوْمَ حُكْمٌ منْ أحكامِ العباداتِ ، والعباداتُ يجبُ فيها الاحتياطُ ، وأنْ تُؤَدِّي على أكملِ صُورَةٍ ، لئلا يدخلُها النَّقصُ ، وإذا كانَ الأمرُ على ذلكَ فكيفَ يُظْنُ أنَّ الواوَ في هذه الآيةِ بمعنى « أو » ؟

الوجهُ الرابع : أنَّ السَّبْعةَ ليستْ مِائَةً لِلشَّلَادِ حتى تُجعلَ في قُبالتِها ، لأنَّ معنى الآيةِ إذا نَكَّلتِ الواوُ فيها بمعنى « أو » إِذَا أَنْ تَصُومُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحِجَّةِ أَوْ سَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ .

فإنْ قلتَ : هذا تَبَدُّلٌ لا يُعقلُ معناهُ كغيرهِ منَ التَّعَبُّداتِ التي لا يُعقلُ معناها ؟ قلتُ في الجوابِ : إنَّ لنا من التَّعَبُّداتِ مَا لا يُعقلُ معناهُ ، كعدِ رَكَعَاتِ الصَّلواتِ ، وعدِ الطَّوافِ والسعىِ ، وأشباهِ ذلكِ ، وإنَّ ما يُعقلُ معناهُ كهذهِ الآيةِ ، فإنَّا نعقلُ التَّفاوتَ بَيْنَ الصَّوْمِ فِي الْحَصَرِ وَالسَّفَرِ ، ونعقلُ التَّفاوتَ بَيْنَ العدِ الْكَثِيرِ وَالعَدِ الْقَلِيلِ .

وعلى هذا فلَا يخلو إِيمانُ يَكُونَ صَوْمُ الأَيَّامِ السَّبْعَةِ عند الرُّجُوعِ فِي

الطريق أو عند الوصول إلى البلد ، فإنَّ كَانَ فِي الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ أَشَقُّ مِنَ الصوم بِعِكْرَةَ ، لَأَنَّ الصومَ فِي السَّفَرِ أَشَقُّ مِنَ الصومِ فِي الْمُحْضِرِ ، فَكَيْفَ يُجْعَلُ صومُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فِي السَّفَرِ فِي مُقَابَلَةِ صومِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِعِكْرَةَ ؟ وَإِنْ كَانَ الصومُ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَلَدِ فَلَا فَرْقٌ بَيْنَ الصومِ بِعِكْرَةَ وَالصومِ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَلَدِ ، لَأَنَّ كَيْمَمَ الصومِ فِي الْمَقَامِ بِبَلَدٍ مِنَ الْبَلَادِ ، لَا تَفَاوُتَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُجْعَلَ صومُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي مُقَابَلَةِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، عَلَى غَيْرِ مُثَالٍ وَلَا نِسَاوِ .

فَعَلَى كِلَّا التَّقْدِيرَيْنِ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْوَaoُ فِي « سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعُتُمْ » يَعْنِي « أَوْ » فَتَحَقَّقَ أَنَّهَا إِذَا لِلْعَاطِفِ خَاصَّةً .

وَإِذَا كَانَ لِلْعَاطِفِ خَاصَّةً فَقَدْ كَيْدُهَا بِعُشْرِيْةِ كَامِلَةِ دَيْنِهِ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ وَجُوبُ صومِ الأَيَّامِ السَّبْعَةِ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَلَدِ .

فَإِنْ قَلْتَ : إِنَّ الصومَ بِعِكْرَةَ أَشَقُّ مِنَ الصومِ فِي الطَّرِيقِ ، لَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ الصومُ بِعِكْرَةَ فِي أَصَابَ وَتَعَبَ بِتَهْرِيرِ زَمَانِهِ فِي السُّعُى وَالطَّوَافِ وَالصَّلَاةِ وَالعُمْرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، قَلْتَ فِي الجَوابِ : هَذَا لَا يَلْزَمُ ، إِذَا الْوَاجِبُ عَلَيْهِ سَعْيٌ وَاحِدٌ وَطَوَافٌ وَاحِدٌ ، وَمَا عَدَ ذَلِكَ نَافِلَةً لَا يَلْزَمُ ، وَنَحْنُ فِي هَذَا الْمَقَامِ نَاظِرُونَ إِلَى مَا يُحِبُّ لَا إِلَى النَّافِلَةِ ، وَالَّذِي يُحِبُّ أَدَاؤهُ بِعِكْرَةَ يُفْرَغُ مِنْهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَكَيْفَ تُجْعَلُ الزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلًا بُورَدًا فِي هَذَا الْمَقَامِ ؟ هَذَا غَيْرُ وَارِدٍ ، وَهَذَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا تَنْهَى فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ مُّذِيدٌ يُعَسِّرُ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يُسِّيرٍ ﴾^(١) فَقَوْلُهُ (غَيْرُ يُسِّيرٍ) بَعْدَ قَوْلِهِ (يُعَسِّرُ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يُسِّيرٍ) فَقَوْلُهُ (غَيْرُ يُسِّيرٍ) بَعْدَ قَوْلِهِ (يُعَسِّرُ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يُسِّيرٍ) مِنْ هَذَا النَّوْعِ المُشَارِ إِلَيْهِ ، وَإِلَّا فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْعَسِيرَ لَا يَكُونُ يُسِّيرًا ، وَإِنَّمَا ذَكْرُهَا هُنَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِتَعْظِيمِ

(١) المدثر

شأن ذلك اليوم في عسره وشدة على الكافرين .
وكذلك ورد قوله تعالى : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه
إذ قالوا لهم أنا بُرآء منكم وما تعبدون من دون الله ، كفربنا بكم ، وبدا يبينا
وينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده } ^(١) فإن البغضاء والعداوة يعني
واحد ، وإنما حَسْنَ إبرادها معًا في مَعْرِضٍ واحد ، لـأَكَيْد البراءة بين إبراهيم
صلوات الله عليه والذين آمنوا به ، وبين الـكُفَّارَ من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده .

والمحبقة في إظهار القطعية والمصادفة ورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع
كالإيجاز في موضعه ، وإن رأى شيئاً يرد في القرآن الكريم من هذا القبيل
إلا وهو لأمر افتضاه ، وإن خفي عنك موضع المرء فيه فسأل عنه أهل العارفين .
وما ورد منه شرعاً قول بعضهم في أبيات الحماسة ^(٢) :

بَزَّلْتُ عَلَى آلِ الْمَهْلَبِ شــاتِيــا بعيدها عن الأوطان في زَمَنِ الْمَحْــلِ
فــمَا زــالَ بــيِــ لــا كــرــامــهــ وــا فــقــادــهــ وــإــحــســانــهــ حــتــى حــســبــتــهــ أــهــلــهــ
فــإــن إــلــا كــرــامــ وــا فــقــادــهــ دــاخــلــا نــحــتــ الإــحــســانــ ، وــإــنــا كــرــرــ ذــلــكــ لــتــنــوــيــهــ
بــذــكــرــ الصــنــعــ وــالــإــيجــابــ لــهــ . وــعــلــى هــذــا وــرــدــ قــوــلــ الــأــعــشــىــ فــقــيــدــهــ الــشــهــورــةــ
الــتــيــ يــمــدــحــ ســهــا النــبــيــ صــلــى اللــهــ عــلــيــهــ وــســلــمــ فــقــالــ مــنــهــ ^(٣) :

(١) المتنعنة ٤ .

(٢) هو بكير بن الأخذس كما في البيان والتبيين (٢٣٣/٣) على أن المقطوعة ليست
مسوبة إلى أحد في شرح الحماسة للتبزيز والمرزوق ولا في عيون الأخبار (٣٤١/١)
ولاحق وفيات الأعيان في ترجمة المهلب بن أبي صفرة . وفي البيان والتبيين (فقيراً بعيد الدار
بدلاً من (بعيداً عن الأوطان) والبيت الثاني في البيان .فــا زــالَ بــيِــ لــا طــافــهــ وــا فــقــادــهــ وــإــكــرــامــهــ حــتــى حــســبــتــهــ أــهــلــهــ
وــفــ شــرــحــ الــحــمــاســةــ الــمــرــزــوقــ «ــ فــ زــمــنــ مــحــلــ »ــ بــدــلاــ مــنــ (ــ فــ زــمــنــ الــمــحــلــ)

(٣) البيت من قصيدة التي مطلعها :

أــمــ تــفــتــضــ عــيــنــاكــ لــيــلــةــ أــرــمــداــ وــعــادــكــ مــاعــادــ الســلــيمــ مــســهــداــ

فَلَا يَأْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ وَجْهٍ حَتَّى تَلَاقِي مُحَمَّدًا
فَإِنَّ الْوَجْهَ وَالكَلَالَةَ مِنْهَا سَوَاءٌ ، وَإِنَّمَا حَسْنَ تَكْرِيرِهِ هَا هَذَا الْإِشْعَارُ
بِعِبْدِ المَسَافَةِ .

الضرب الثاني صيغة القسم الثاني في تكرير المعنى دونه الآية :

وهو غير المقيد ، فمن ذلك قول أبي تمام :

قُسْمُ الزَّمَانِ رُبُوعُهَا بَيْنَ الصَّبَابِ وَقَبْوِلِهَا وَدَبَورِهَا أَنْلَاثُ^(١)
فَإِنَّ لِصَبَابِهِ الْفَبُولُ .

وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى : { حافظوا على الصلوات والصلة
الوسطى }^(٢) فيما يرجع إلى تكرير اللفظ والمعنى ، ولا مثل التكرير في قوله تعالى :
{ ولقدك منكم أمة يدعون إلى الخير وأمرؤن بالمعروف }^(٣) فيما يرجع إلى تكرير
المعنى دون اللفظ ، وقول أبي تمام : الصباب أو القبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير .
وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطاً كثيراً ،
والأكثر منهم أجازه ، فقالوا : إن كانت الألفاظ مقاييس والمعنى المعتبر
عنه واحداً فليس استعمال ذلك بمعيب ، وهذا القول فيه نظر ، والذى عندي

(١) البيت من قصيدة في مدح مالك بن طوق ومطلعها :
قف بالطول الداوسات علانا أمست حبال قطينهن رنانا
(ديوان أبي عام ٣١٤/١) . وفي الفاءوس الحبيط : القبول ريح الصبا لأنها تقابل
الدبور أو لأنها تقابل باب الكعبة أو لأن النفس تقبلها (مادة قبل)
وفي شرح الحماسة للمرزوقي : قيل في القبول إنها الصبا ، وقال النصر بن شهيل :
القبول ريح بين الصبا والجنوب .

وقال ابن الأعرابي : القبول كل ريح لينة طيبة المس تقبلها النفس ، فليس لارد على أبي
عام وجهه . وقال ابن المستوفى : الصحيح أن الصبا هو القبول ، وما الذي منع أبي عام أن يجعل
موضع (قبوها) (جنوباها) فكان يسلم من التشنيع عليه (ديوان أبي عام ٣١٥/١) وقد
ذكر المخاخي نقده البيت (من الفصاحة ٢٢٥) وكذلك أبو هلال ذكره (الصناعتين ١٢١) .

فيه أن الناشر يعاب على استعماله مطافئاً إذا أتى لغير فائدة، أما الناظم فإنه يعاب
عليه في موضع دون موضع.

أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها،
وأما الموضع الذي لا يعاب فيه فهو الأعجاز من الأبيات، لـكان القافية، وإنما
جاز ذلك وإن لم يكن عيباً، لأنه قافية، والشاعر مضططر إليها، والمضطر يتحمل لها
ما حرم عليه، كقول أمير القيس في قصيدة اللامية التي مطلعها:

(ألا انتم صباحاً أيها الطالل البالي)

فقال:

وهل يفهمن إلا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ الهموم لا يبيت بأوجالٍ^(١)
وإذا كان قليل الهموم فإنه لا يبيت بأوجال، وهذا تكرير المعنى، إلا أنه
ليس بعيوب، لأنه قافية.

وكذلك قال الخطبوطية:

قالت أمامة لا تجزع فقلت لها إن العزاء وإن الصبر قد غلبها
هلا التمس لنا إن كنت صادقة مala نعيش به في الناس أو أنسنا^(٢)
فأبيت الأول معيب، لأنه كرر العزاء والصبر، إذ منها واحد، ولم يرددا

(١) ديوان أمير القيس ٢٧ والمطلع في الديوان:

(ألا عم صباحاً) والبيت الثاني:

وهل يفهم إلا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ الهموم ما يبيت بأوجال.
الأوجال: جمع وجل وهو الفزع.

(٢) البتان من قصيده في مدح بغيل، ومطلعها:

طافت أمامة بالركبان آونة ياحسنة من قوام ما ومتقدبا
وفى الديوان (في المخرج) بدلاً من (الناس) ديوان الخطبوطية ١٢١.

عافية ، لأن القافية هي الباء ، وأما البيت الثاني فليس بمعيب ، لأن التكرير جاء في النسب ، وهو قافية .

وما يجري هذا المجرى قول المنخل الإشكري :

وَأَقْدَدْ دَخَلَتْ عَلَى الْفَتَاهِ الْخَدَرَ فِي الْيَوْمِ الْمُطَهَّرِ
الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرَهُ فَلَ فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الْحَرَيرِ^(١)

فإن الدمشق والحرير سواء ، وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك ، فإن قيل إن الحرير هو الإبريم المنسوج بدلائل قوله تعالى : « وجراهم بما صبروا جنة وحريرا »^(٢) فإنه لم يرد خيوط الإبريم ، وإنما أراد أنواباً من الإبريم ، وأما الدمشق فإنه خيوط الإبريم محلولة ، بدلائل قول أمريء الفيس :

وَشَحْمٌ كُهْدَابُ الدِّمَقْسِ الْمُفْتَلُ^(٣)

فإنه لم يرد الإبريم منسوجاً ، وإنما أراد خيوط الإبريم ، فالجواب عن ذلك أنه لو حل بيت المنخل على ذلك لفسد معناه ، لأن المرأة لا ترفل في خيوط من الإبريم ، وإنما ترفل في الأنوار منه ، وأما قول أمريء الفيس (كهداب الدمشق) فإنه لو كان الدمشق هو الخيوط المخلوقة من الإبريم لما

(١) البيتان من قصيدة التي مطلعها .

إن كنت عاذلي فسيري نحو العراق ولا تحورى

(الأصنعيات ٥٢)

(٤) الإنسان ١٢٠ .

(٥) الشطر من البيت :

فظل العذارى برغين باجهتها وشحم كهداب الدمشق المفتل
والبيت من المعلقة التي مطلعها :

ففا ذبك من ذكرى حبيب ونزل بسقط الوى بين الدخول وحومل

(الديوان ١١)

احتاج أن يقول كهداب ، فإن المداب جمع هذب ، ثم قال (المُنْتَلُ) ، فدل ذلك على أن الدمقس يطلق على الإبريم سواء كان منسوجاً أو غير منسوج ، وكذلك الحرير أيضاً ، وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقريفة ، الا ترى أنه لما قال المنغول (ترفل في الدمقس وفي الحرير) فهم من ذلك أنه أراد أنواباً من الدمقس ومن الحرير ، لأن الرؤوف لا يكون في خيوط من الإبريم ، وإنما يكون في أنوابه .

وإذا بحري على هذا المنهج قول الآخر من شعراء الحامة^(١) :

إِنْ وَإِنْ كَانَ ابْنَ عَمِّيْ غَائِبًا لِمُقَاذِفَةِ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَاهِهِ
إِنْ خَلْفًا وَوَرَاهِ بِعْنَى وَاحِدًا ، وَإِنَّمَا جَازَ تَكْرَارُهَا لِأَنَّهُمَا قَافِيَةٌ ، وَعَلَى هَذَا
وَرَدَ قُولُ أَبِي تَمَامَ .

دَمَنْ كَانَ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِبًا دَمَنَا لَدِي آنَارِنَا رَحْقَوْدَا^(٢)

فَإِنَّ الدَّمَنَةَ هِيَ الْحَقْدُ . وَكَذَلِكَ قُولُ أَبِي الطَّيْبِ الْمَتَنْبِيِ :

بَخْرَمَ تَعَوَّدَ أَنْ يُذْمَمَ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقَ الْحَدْثَانِ

(١) هو المذيل بن مشجعة البولاني . المعنى أنه يقاتل دونه إذا كان هو هاديا له ، وقد تختلف عنه ابن عممه ، ويقاتل وراءه إذا تقدمه ابن عممه ، فقوله (من ورائه) من بين الظاهر أنه يعني القدام (شرح ديوان الحامة للمرزوق ٤/٦٨٠)

(٢) البيت من قصيدة في مدح خالد بن يزيد الشيباني ومطلعها :

طَالِلَ الْجَيْمَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَيْدَا وَكَفَى عَلَى رَزْئَى بِذَاكَ شَهِيدَا

وفي الديوان (لدى آرامها) بدلا من (لدى آنارنا)

الدَّمَنُ الْأَوَّلُ جَمُ دَمَنَةٌ وَهِيَ آنَارُ الْقَوْمِ فِي الدِّيَارِ ، ثُمَّ يَسْعَى إِلَى دَمَنَةٍ لِأَنَّ الدَّمَنَةَ فِيهِ .
وَالدَّمَنُ الثَّانِي جَمُ دَمَنَةٌ ، وَهِيَ الْحَقْدُ وَبَقِيَتِهِ فِي الْقَلْبِ ، وَعَنِي بِالْأَرَامِ النَّسَاءِ شَبَهُهَا بِالظَّباءِ .
البيض ، يقول إن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن آنارا (ديوان أبي تمام ٤١١/٢) .

فتركته وإذا أذم من الورى راعاك واستثنى بي حمدان^(١)

فإن الدهر وطوارق الحمدان سواء ، وإنما جاز استعمال ذلك لأنه قافية .

وأما ما ورد في أثناء الأبيات الشعرية فكقول عنترة :

حُبِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادِمْ عَمْدَهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أَمْ الْمَيْمَ^(٢)

فقوله أقوى وأفتر من المعيب ، لأنَّما لفظان ورداً بمعنى واحد لا غير ضرورة ؛

إذ الضرورة لا تكون إلا في القافية كما أريتك .

وأما ما ورد من صدور الأبيات فكقول البختري :

أَمْتَ وَهَلْ إِلَيْهَا بَكْ نَافِعٌ وَزَارَتْ خَيَالًا وَالْعَيْنُ هَوَاجِمُ^(٣)

فإن قول (أمت) وقوله (زارت خيالاً) سواء ، فلا فرق إذاً بين صدر

البيت وعجزه ، فإن قيل إنه أراد بالإسلام زيارة اليقظة ، ثم قال (زارت خيالاً)

فالجواب عن ذلك أنه لم يرد إلا زيارة المذاام في الحالتين ، لأنَّه قال : (أمت وهل

(١) البيتان من قصيدة في مدح سيف الدولة عند انصرافه من بلد الروم سنة ٣٤٥ ،

وأنشده ليها بأمد ، ومطلعها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المثلث الثاني

(شرح ديوان المتنى ٣٩٠/٣).

بحر هنا خبر لم يبدأ مذوف ، أي النهر الذي عبره سيف الدولة بحر . يذم لأهله :
يميرهم . الحمدان : نواب الدهر . بنو حدان : عشيرة سيف الدولة ، أي أن هذا النهر الذي
عبره سيف الدولة بحر تعود أن يمير أصحابه من حواتم الدهر بأن ينعم العدو من العبور
إليهم ، لكن لما عبرته أنت تركته يمير أهله من كل أحد إلا من بنى حدان ، يعني أن غيرك
لا يقدر على عبوره .

(٢) من معلقته إلى مطلعها :

هل غادر الشمراء من متقدم أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

(٣) من قصيدة في مدح الفتح بن خافان ، (الديوان ٢/٧٦) وفي الديوان

بك نافم :

لِمَامِهَا بِكَ نَافِعٌ) وَلَوْ كَانَ فِي الْيَقِظَةِ لَمَا قُلَّ وَهُلْ إِلَامِهَا بِكَ نَافِعٌ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ
أَنْفَعُ مِنْ زِيَارَةِ الْمُحِبُوبِ فِي الْيَقِظَةِ، وَهَذَا غَيْرُ خَافِ لَا يَجُوزُ إِلَى السُّؤَالِ عَنْهُ.
فَإِنْ قِيلَ لَمْ أَجْزَتْ ذَلِكَ لِلنَّاظِمِ وَحُظْرَتِهِ عَلَى النَّافِرِ؟

قَلْتُ فِي الجِوابِ: أَمَّا النَّافِرُ فِي هُوَ إِذَا سَجَمَ كَلَامُهُ فَالْفَالِبُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ مِرْدُوجًا
عَلَى فَقْرَتِينِ مِنَ الْفَقْرِ، وَيُمْكِنُهُ إِبْدَالُ ذَلِكَ الْفَقْرَتِينِ بِغَيْرِهِمَا، فَيُسْلِمُ مِنْهُ، وَأَمَّا الشَّاعِرُ
فَإِنَّهُ يَصْوُغُ قَصْيِدَةً ذَا أَبْيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَلَى قَافِيَةِ مِنَ الْهَوَافِيِّ، فَإِذَا تَكَرَّرَ لِدِيهِ شَيْءٌ
مِنَ الْكَلَامِ فِي آخِرِ بَيْتٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ عَسْرٌ إِبْدَالُهُ مِنْ أَجْلِ الْقَافِيَةِ، وَهَذَا غَيْرُ خَافِ
وَالسُّؤَالُ عَنْهُ غَيْرُ وَارِدٍ.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ إِذَا وَرَدَ فِي غَيْرِ الْقَافِيَةِ سَمِّيَ إِخْلَاءً، وَيُقَالُ إِنَّ الْبَحْتَرِيَّ
كَانَ يُخْلِي كَثِيرًا فِي شِعْرِهِ، وَهُوَ لِعْنَى كِذَلِكَ، إِلَّا أَنْ حَسْنَ سُبْكِهِ، وَرُونَقِ
دِيَمَاجَتِهِ يَغْفِرُ لَهُ ذَلِكَ. وَيَرَوِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَعَلَّ بَيْنَ يَدَيِ الْفَتْحِ مِنْ خَافَانِ
وَزِيرِ الْمَتَوَكِلِ مَادِحًا لِهِ اخْتَالًا بَيْنَ يَدَيِهِ مُعْجِبًا بِنَفْسِهِ، فَتَقْدَمَ خَطُواتٍ؛ ثُمَّ تَأْخِرَ،
وَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ تَسْمَعُونَ؟ فَقَمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ بَعْضُ حَسَدَتِهِ، وَحَمَلَ الْفَتْحَ بْنَ خَافَانَ
عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ: لَوْ رَمَانَا بِالْحَجَارَةِ لَكَانَ ذَلِكَ مَغْفُورًا لَهُ فِيمَا يَقُولُهُ.

النوع الثامن عشر

في الاعتراض

وَبِعِضِهِمْ يُسَمِّيهِ الْحَشُورُ، وَحَدَّهُ كُلُّ كَلَامٍ أَدْخَلَ فِيهِ لَفْظٌ مُفْرِدٌ أَوْ مُرْكَبٌ
لَوْ سَقَطَ لَبِقِيَ الأُولُى عَلَى حَالِهِ.

مَثَلُ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ زِيدٌ قَائِمٌ، فَهَذَا كَلَامٌ مُفْيِدٌ وَهُوَ مُبَقِّداً وَخَيْرٌ،
فَإِذَا أَدْخَلْنَا فِيهِ لَفْظًا مُفْرِدًا فَلَنَا زِيدٌ وَاللَّهُ قَائِمٌ، وَلَوْ أَزْلَانَا الْقُسْمُ مِنْهُ بِقِيَ
عَلَى حَالِهِ، وَإِذَا أَدْخَلْنَا فِي هَذَا الْكَلَامِ لَفْظًا مُرْكَبًا فَلَنَا: زِيدٌ عَلَى مَا بِهِ مِنْ الْمَرْضِ

نظام ، فأخذنا بين المبدأ والخبر (فظيًّا) مركباً وهو قوله على ما به من المرض ،
ـ وهذا هو الاعتراض ، وهذا حدّه .

واعلم أن الجائز منه وغير الجائز يؤخذ من كتب العربية ، فإنه يكون
مستعصيًّا فيها ، كلاً اعتراف بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والموصوف ،
وبين المعطوف والمعطوف عليه ، وأشباه ذلك مما يحسن استعماله ،
وكلاً اعتراف بين المضاف والمضاف إليه ، وبين إن واسمها ، وبين الجار
والمحرر ، وأمثال ذلك مما يقع استعماله ، وليس هذا مكانه ، لأن كتابنا لهذا
موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا إليه في صدر الكتاب .

وليس المراد هنا من الاعتراض إلا ما يُفَرِّقُ بـه بين الجيد والردي ،
لا ما يُعْلَمُ بـه الجائز وغير الجائز ، لأن كتابي هذا موضوع لذكر ما يتضمنه
الكلام على اختلاف أنواعه من وصفي البلاغة والفصاحة ، فالذى أذكره في باب
الاعتراض إنما هو ما اشتمل على شيء من هذين الوصفين المشار إليهما .

[الاعتراض] فيما

واعلم أن ابرهارض بنهم المفسّر :

أَحدها لا يأتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا لِفَائِدَةٍ، وَهُوَ جَارٌ تَجْزِي التَّوْكِيدَ.

وآخر أن يأى في الكلام لغير فائدة ، فاما أن يكون دخوله فيه كجز وجه
هذه ، وإما أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفي معناه فساداً .

[القسم الأول]

وهو الذي يأتي في الكلام لفائدة ك قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١)﴾ ، وذلك اعتراض بين القسم

الذى هو فلا أقسم بموافق المجموع ، وبين جوابه الذى هو ﴿إِنَّهُ لِقَرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ وفى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو قسم وبين صفتة التى هي عظيم ، وهو قوله ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ فذاك اعتراضان كمانى . وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هي تعظيم شأن المقسم به في نفس السامع ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراضًا بين الصفة والموصوف ، وذلك الأمر بحث لو تعلم وفي حفته من التمعظيم .

وهذا مثل قولنا : إن هذا الأمر لعظيم ، بحيث لو تعلم يا فلان عظمه لقدرته حق قدره . فإن ذلك يكبره في نفس المخاطب ، ويظل متعطلاً إلى معرفة عظمته . وكذلك ورد قوله تعالى ﴿وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَمْ يَشْتَهُنْ﴾^(١) . وتقديره ويجعلون لله البنات ولم ما يشتئن ، فاعتراض بين المفهومين (سبحانه) ، وهو مصدر يدل على التزييه ، فكانه قال و يجعلون لله البنات وهو منه عن ذلك ، و لهم ما يشتئن ، وفائدة هذا هنا ظاهرة .

وكذلك ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام ﴿قَالُوا إِنَّهُ قِدْصٌ وَاعْبُدُوهُمْ وَرَأَنَّ جَاءَ بِهِ حِجْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَابِهِ زَعْبِمٌ قَالُوا تَالِهِ - لَقَدْ عَلِمْتُمْ - مَا جَعَلْنَا لَنَا فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾^(٢) فقوله (لقد علمنتم) اعتراض بين القسم وجوابه ، وفائدة تقوير إثبات البراءة من الفساد ، والبراهنة من تهمة السرقة ، أي أنه قد علمنتم هذا هنا ، ونحن مع علمسكم به نقسم بالله على صدقه .

وقد ورد الاعتراض في القرآن كثيراً ، وذلك في كل موضوع يتعلقبنوع من خصوصيته المبالغة في المعنى المقصود .

ومن هذا القسم قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَبَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ -

(١) النحل ٥٧ .

(٢) يوسف ٧٢ .

قالوا إنما أنت مفترٍ بل كثُرُم لا يعلمون ^(٣) فهذا الاعتراض بَيْنَ إِذَا
وجوَابها ، لأن تقدير الكلام وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر ،
فاعتراض بِيُنْهَا بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْزِلُ﴾ وهو مبنداً وخبره ، وفائدته
إِعْلَامُ الْقَائِلِينَ أَنَّهُ مفترٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ وَلِيَسْ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿وَوَصَّلَنَا إِلَيْنَا إِنْسَانٌ بِوَالدِيهِ - حَمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَى
عَلَى وَهُنَّ - وَفِصَالَهُ فِي حَامِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلَوَالدِيكَ﴾ ^(٤)

الآتَرِي إِلَى هذا الاعتراض الذي قد طبع مَفْصِيلَ الْبَلَاغَةِ [؟] وفائدته أنه لما
أوصى بالوالدين ذَكَرَ ما تكبده الأم من المشاق في حل الوليد وفصالة، ليجاه بالقصبة
سها وتذكيرها بمحنة خصها بالذكر دون الأب ، لأنها تتكلف من أمر الولد
مَا لَا يَتَكَافِفُهُ ، ومن قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ قَالَ لَهُ مِنْ أَبْرَهُ [؟] قَالَ
أَمْكَ ثُمَّ أَمْكَ ثُمَّ أَمْكَ ثُمَّ أَمْكَ .

وَمَا جَاءَ عَلَى هَذَا الْأَمْلُوبَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَ ^{﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأُ أَنْفُسَكُمْ فِيهَا}
- وَاللَّهُ خُرِّجَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ - قَتَلْنَا أَخْرَبُوهُ بِعِصْمَهَا، كَذَلِكَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى
وَيَرْبِكُمْ أَيَّاهَهُ أَعْلَمُكُمْ تَعْقِلُونَ ^(٥) .

فَقَوْلُهُ ^{﴿وَاللَّهُ خُرِّجَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ﴾} اعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه ، وفائدته أن يقرر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤ بني إسرائيل
في قتل تلك النفس لم يكن زافها لهم في إخفائها وكتمانه ، لأن الله تعالى مُظْمِرُ الذلة ،
ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان : وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأُ أَنْفُسَكُمْ فِيهَا ، قَتَلْنَا
أَخْرَبُوهُ بِعِصْمَهَا . ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه .

وَمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ شِعْرًا قَوْلُ امْرِيِّ الْقَيْسِ .

وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لَأَدَمَ مُعِيشَةً كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلَمْ - قَلِيلٌ مِنْ الْمَالِ .

ولكنها أَسْمَى لِجَدِّي مُؤَنَّىٰ وَقَدْ يُذْرِكُ الْجَدَّ الْمُؤَنَّىٰ أَمْمَانِي^(١)

تقديره كفاني قليل من المال ، فاعتراض بين الفعل والفاعل بقوله (ولم أطلب) وفائدته تغيير المعية ، وأنها تحصل بغير طلب وعفاء ، وإنما الذي يحتاج إلى الطلب هو المجد المؤنّى .

و كذلك قول جرير :

ولقد أَرَانِي - وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى - فِي مَوْكِبٍ طُرُفِ الْحَدِيثِ كَرَام^(٢)

تقديره في موكب طرف الحديث ، فاعتراض بين المفعولين ، وإنما جاء بهذا الاعتراض تعزيزاً عما مضى من اللذة وذلك النعيم الذي فاز به من عشرة أولئك الأحباب ، (فَكَأْنَهُ قَالَ)^(٣) : ولقد أَعْهَدْنِي فِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الْلَّذَّةِ ، وَذَلِكَ قَدْ مَضَى وَسَلَفَ وَبَلِي جَدِيدَهُ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ جَدِيدٍ فَإِنَّهُ إِلَى بَلَى .

والاعتراض إذا كان هكذا كما الحديث لطفاً إن كان غرلاً ، وكماه أحبة وجلاً إن كان مدحماً . أما ما يجري بجراه من أساليب الكلام ، وإن كان هباء كسام تأكيداً وإثباتاً كقول كثير عزة :

لَوْ أَنَّ الْبَآخِلِينَ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - رَأَوكَ تَهْلِكُ مِنْكَ الْمِطَالَا^(٤)

(١) من قصيدة التي مطلعها :

أَلَا عم صباها أيها الطالب البالى وهل يعن من كان في العصر الحالى
(الديوان ٢٩) المؤنّى الذي يشعر ويفيد ، وهو أيضاً الكثير .

(٢) من قصيدة في المرد على الفرزدق ، ومطلعها :

سرت الهموم فبت غير نیام وأخوه الهموم يروم كل مرام
والبيت في الديوان هكذا :

ولقد أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى فِي فَتْيَةِ طِرْفِ الْحَدِيثِ كَرَام
(الديوان ٤٠١) .

(٣) ما بين قوسين زيادة رأينا أنها توضح المراد .

(٤) ديوان كثير ١٥١/١ .

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره ، وفائدة هاهنا التصریح بما هو المراد ، وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض : لو أن الباحلين رأوك ، فاعترض بين أسم أن وهو الباحلين ، وبين خبرها وهو رأوك بالمقابل ، أو الخبر الذي هو « وأنت منهم » .

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب قول سوار بن المضرب السعدي :

فَلَوْ مَأْتَ مِرَاةً حَلَّى سَلْمَىٰ عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوَنَ بِي زَمَانِي
نَجْهَرَهَا ذُوو أَحْسَابٍ قَوْمٍ وَأَعْدَانِي فَكَلَّ قَدْ يَلَانِي^(١)
وَهَذَا اعْتِراضٌ بَيْنَ لَوْجَوَاهَا ، وَهُوَ مِنْ فَاثِقِ الاعْتِراضِ وَنَادِرِهِ ، وَتَقْدِيرِهِ
فَلَوْ مَأْتَ مِرَاةً حَلَّى سَلْمَى نَجْهَرَهَا ذُوو أَحْسَابٍ قَوْمٍ وَأَعْدَانِي ، وَفَائِدَةٌ « عَلَى
أَنْ قَدْ تَلَوَنَ بِي زَمَانِي » أَى أَنَّهُمْ يَخْبُرُونَ عَنِ تَلَوَنَ الزَّمَانِ ، يَرِيدُ تَنْقُلَ
حَالَاتِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ ، وَلَيْسَ مِنْ عَجَمَةِ الزَّمَانِ وَأَبَانَ عَنْ جَوْهِهِ كَثِيرٌ مَنْ لَمْ
يَعْجِمْهُ وَلَا أَبَانْ عَنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي هَمَامٍ :

وَإِنَّ الْفَنِّيَ لِي إِنْ لَحَظْتَ مَطَالِي مِنَ الشِّعْرِ إِلَّا فِي مَدِيمَكَ أَطْوَعُ^(٢)

(١) فِي الأَصْلِ نَصْبَةُ الشِّعْرِ الْمَضْرُبِ السَّعْدِيِّ ، وَالصَّوَابُ نِسْبَتُهُمَا إِلَى ابْنِهِ سَوَارِ
(شَرْحُ التَّبَرِيرِيِّ لِلْعَمَاسَةِ ١٢٥/١) .

(٢) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مدحِ أَبِي سَعِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوسُفِ التَّغْرِيِّ ، وَمَطَالِهَا :
أَلَا إِنَّهُ لَوْلَا الْخَاطِطُ الْمَوْدِعُ وَرَبِيعٌ عَفَّا مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرْبِعٌ
الْدِيْوَانِ ٣٣٣/٢) قَالَ أَبُو الفَتحِ عَمَانُ بْنُ جَنِيٍّ : الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَصَافِ وَالْمَصَافِ إِلَيْهِ
كَثِيرٌ ، وَقَدْ جَاءَ الطَّائِيُّ الْكَبِيرُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فَقَالَ : (الْبَيْتُ) وَتَقْدِيرُهُ أَنَّ الْفَنِّيَ - لَوْ
لَحَظَتِ مَطَالِي - أَطْوَعَ لِي مِنَ الشِّعْرِ ، إِلَّا فِي مَدِيمَكَ ، أَى فِيَّكَ بِطَيْعَنِي فِي مَدِيمَكَ وَيَسَّارِ
لِي . وَهَذَا كَفَولَهُ أَيْضًا مَعْنَى وَلَفْظًا :

تَفَاءِلُ الشِّعْرِ فِيهِ إِذْ سَهَرَتْ لَهُ حَتَّى ظَنِنَتْ قَوَافِيهِ سَهَقَتْهُ

وهذا البيت فيه اعتراضان :

الأول : بين لامم إن وخبرها ، تقديره ، وإن الغنى أطوع لي من الشعر ، فاعتراض بين الاسم والخبر بقوله « إن لحظات مطالبي » .

أما الاعتراض الثاني : ف قوله « إلا في مدحك » بجاء بالجملة الاستئنافية مقدمة ، وموضعها التأثير ، فاعتراض بها بين الجملة التي هي خبر إن .

وتقدير البيت بجملته « وإن الغنى أطوع لي من الشعر إن لحظات مطالبي إلا في مدحك » وفائدة قوله إلا في مدحك من الاعتراض الذي اكتسب به الكلام رقة وفائدة حسنة ، والمراد به وصف جود المدوح بالإسراع ، ووصف خاطر شعره بالإسراع إذا كان في مدحه خاصة دون غيره ، فهذا الاعتراض يتضمن مدح المدوح والمادح معًا ، وهو من مخاسن ما يجيء في هذا الموضوع .

وكذلك ورد قوله :

رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ رَدَ الصَّفَالِ بِهِاءِ الصَّارِمِ الْخَذِيمِ
وَمَا أَبَالِي - وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ - حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَمْ حَقَنْتَ دَمِي (١)

قوله « وخير القول أصدقه » اعتراض بين المفعول والفعل ، لأن موضع حقنمت نصب ، إذ هو مفعول أبالي ، وفائدة إثبات ما مائل به بين ماء الوجه والدم ، أى أن هذا القول صدق ليس بكذب .

[القسم الثاني] :

وأما القسم الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان :

(١) من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف والبيتان في الديوان هكذا :

رددت رونق وجهي في صحيفته رد الصفال بوجه الصارم الخذيم
وما أبالي وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

(الديوان ٢١٨/٣) الصفال : الاسم من الصفل . الخذيم : السريع القطم .

الهُمْرَبُ الْأُولُ : يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به قبحاً ولا حسناً ، فمن ذلك قول النابغة :

يقول رجال بجهلون خلية قوى لعل زبادا - لا أبا لاث - غافل^(١) قوله لا أبا لاث من الاعتراض الذي لا فائدة فيه ، وليس مؤثراً في البيت حسناً ولا قبحاً .

ومثله جاء قول زهير :

سِئَتُ تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا - لا أبا لاث - يأس^(٢)

وقد وردت هذه اللفظة وهي « أبا لاث » في موضع آخر ، فكان الاعتراض بها فائدة حسنة ، كقول أبي هاشم :

« عتا بك عنى - لا أبا لاث - واقتدي »^(٣)

فإنما ما كره عقابها اعتراض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم .

الهُمْرَبُ الْآتَانِيُ : وهو الذي يؤثر في الكلام نصاً وفق المعنى فساداً ، وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره في باب التقاديم والتأخير ، وإنما جرى بذلك هنا مكرراً للاتمام التقسيم الاعترافي فيما أفاد وفيما لا يفيد ، وقد ذكرت من ذلك مثلاً واحداً أو مثاليين ، فما ورد منه قول بعضهم :

(١) من قصيدة في رزاء النعسان بن المنذر ، مطلعها :

دعائك الهوى واستجده لتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل

(٢) من معلقةه التي مطلعها .

أمن ألم أو في دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمثل

(٣) لم نعثر على النص في ديوانه .

فَقَدْ وَالشَّكْ بَيْنَ لِي عَنِي بُوشَكْ فِرَاقَهُمْ صُرَدْ يَصِيحُ^(١)

فَإِنْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ رَدِّي، الْاعْتِرَافُ بِمَا أَذْ كَرَهَ الْمَكْ، وَهُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ قَدْ وَالْفَعْلِ الَّذِي هُوَ بَيْنَهُ، وَذَلِكَ قَوْبِحٌ لِقُوَّةِ اتِّصَالِ قَدْ بِمَا مَدَخَلٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا تَرَاهَا تَعْدُ مِنَ الْفَعْلِ كَجُزْءٍ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَدْخَلَتْ عَلَيْهِ اللَّامُ الْمَرَادَ بِهَا تُوكِيدَ الْفَعْلِ كَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) وَكَفَوْلُهُ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا مَنْ أَشْتَرَاهُ﴾^(٣) وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَلَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلَيْهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنْ لَفَرُورَ^(٤)

إِلَّا إِنْ فُصِّيلَ بَيْنَ قَدْ وَالْفَعْلِ بِالْقُسْمِ، فَإِنْ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ نَحْوُ قَوْلِكَ : قَدْ وَاللَّهُ كَانَ ذَلِكَ، وَقَدْ فَصَلَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَيْضًا بَيْنَ الْمُبَدَّأِ الَّذِي هُوَ الشَّكُ وَبَيْنَ الْخَبْرِ الَّذِي هُوَ عَنَاءُ بَقَوْلِهِ «بَيْنَ لِي» وَفَصَلَ بَيْنَ الْفَعْلِ الَّذِي هُوَ «بَيْنَهُ» وَبَيْنَ فَاعِلِهِ الَّذِي هُوَ «صُرَدْ» بِخَبْرِ الْمُبَدَّأِ الَّذِي هُوَ عَنَاءُ، فَجَاءَ مَعْنَى الْبَيْتِ كَمَا تَرَاهُ، كَأَنَّهُ صُورَةً مُشَوَّهَةً قَدْ نَقَلَتْ أَعْصَاصَهَا بِعِصْمَهَا إِلَى مَكَانٍ بَعْضُهُ .

وَمِنْ هَذَا الْفَرَبُ . قَوْلُ الْآخِرِ :

نَظَرْتُ وَشَخْصِي - مَطَلَّعَ الشَّمْسِ - ظَلَّهُ إِلَى الْغَرْبِ حَتَّى ظَلَّهُ الشَّمْسُ قَدْ عَقَلْ

أَرَانَ نَظَرَتْ مَطَلَّعَ الشَّمْسِ وَشَخْصِي ظَلَّهُ إِلَى الْغَرْبِ حَتَّى عَقَلَ الشَّمْسُ أَيْ جَادَاهَا، وَعَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ فَقَدْ فَصَلَ بِمَطَلَّعِ الشَّمْسِ بَيْنَ الْمُبَدَّأِ الَّذِي هُوَ «شَخْصٌ» وَبَيْنَ خَبْرِهِ الْجَملَةُ وَهُوَ قَوْلُهُ ظَلَّهُ إِلَى الْغَرْبِ، وَأَغْلَظَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ

(١) أَصْلُ التَّرْكِيبِ فَقَدْ بَيْنَ صُرَدْ يَصِيحُ بُوشَكْ فِرَاقَهُمْ، وَالشَّكْ لِي عَنَاءُ .

(٢) الزَّمْر ٦٥ . (٣) الْبَقْرَةُ ١٠٢ .

(٤) مِنْ مَقْطُوعَةِ لَعْمَرُو بْنِ مَعْدِيَكَرْبَ (شَرْحُ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ الْمُوزَوْقَ ١٨١/٣) الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ بِهَا لِلْفَرَسِ . وَالْمَعْنَى : أَرْكَضَهَا وَأَسْتَدَرَ جَرِيَّهَا، ذَهَابًا فِي الْفَرَارِ، وَاحْتِرازًا مِنَ الْمَوْتِ، وَإِنِّي لَكَثِيرُ الْهَرْبِ إِذَا كَانَ الْهَرْبُ أَغْنِيُّ، وَإِلَى مَرَاغَةِ الْمَدُودِ أَدْعَى .

فصل بين العمل وفاعله بالأجنبي ، وهذا وأمثاله مما يفسد المعنى ويورثها اختلافاً .
واعلم أن الناشر في استعمال ذلك أكثـر ملـامـة من الناـظـم ، وذـالـكـ أـنـ النـاظـمـ
محضـطـرـ إـلـىـ إـقـامـةـ مـيزـانـ الشـعـرـ ، وربـماـ كانـ مجـالـ الـكـلـامـ عـلـيـهـ ضـيـقـاـ فـيـلـقـيـهـ طـلـبـ
الـوزـنـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـورـطـاتـ ، وـأـمـاـ النـاـشـرـ فـلـاـ يـضـطـرـ إـلـىـ إـقـامـةـ المـيزـانـ الشـعـرـىـ ،
بلـ يـكـوـنـ مجـالـ الـكـلـامـ عـلـيـهـ وـاسـعـاـ ، وـهـذـاـ إـذـاـ اـعـتـرـضـ فـيـ كـلـامـهـ اـعـتـراـضاـ يـفـسـدـهـ
تـوـجـهـ عـلـيـهـ الإـذـكـارـ ، وـحـقـاـ عـلـيـهـ الـذـمـ .

النوع التاسع عشر في الـكـنـاـيـةـ وـالتـعـرـيـضـ

وهـذـ النـوـعـ مـقـصـورـ عـلـىـ الـمـيـلـ مـعـ الـمـعـنـىـ وـتـرـكـ الـلـفـظـ جـانـبـاـ . وـقـدـ تـكـلـمـ عـلـمـاءـ
الـبـيـانـ فـوـجـدـتـهـمـ قـدـ خـلـطـوـاـ الـكـنـاـيـةـ بـالـتـعـرـيـضـ ، وـلـمـ يـفـرـقـوـاـ بـيـنـهـمـ ، وـلـاحـدـوـاـ كـلـاـ
مـنـهـمـ مـحـدـ يـفـصـلـهـ عـنـ صـاحـبـهـ ، بـلـ أـوـرـدـوـاـ لـهـمـ أـمـثـلـةـ مـنـ النـظـمـ وـالـنـثـرـ ، وـأـدـخـلـوـاـ
أـحـدـهـمـ فـيـ الـآـخـرـ ، فـذـكـرـوـاـ لـلـكـنـاـيـةـ أـمـثـلـةـ مـنـ التـعـرـيـضـ ، وـلـلـتـعـرـيـضـ أـمـثـلـةـ مـنـ
الـكـنـاـيـةـ . فـمـنـ فـعـلـ ذـالـكـ الـغـائـبـ (١) وـابـنـ سـيـنـانـ الـخـفـاجـيـ (٢) وـالـعـسـكـرـيـ (٣) .
فـأـمـاـ اـبـنـ سـيـنـانـ فـإـنـهـ ذـكـرـ فـيـ الـكـنـاـيـةـ قـوـلـ اـمـرـىـءـ الـقـيـسـ :
فـصـرـنـاـ إـلـىـ الـحـسـنـيـ وـرـقـ كـلـامـهـ وـرـضـتـ فـذـلتـ صـبـبـةـ أـيـ إـدـلـالـ (٤)

(١) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغاني . كان من فضلاء مصره ، وله شعر مشهور ، وهو من شعراء نظام الملوك (الباب لأبن الأثير ١٦٦/٣).

(٢) الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبى المتوفى سنة ٤٦٦ م مؤلف من الفساحة .

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ م مؤلف كتاب الصناعتين .

(٤) البيت من قصيدةه التي مطلعها :

ألا عم صـبـاـ أـبـاهـ الطـالـ الـبـالـيـ وـهـلـ يـعـنـ مـنـ كـانـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـالـيـ (الديوان ٢٧) .

صرـنـاـ إـلـىـ الـحـسـنـيـ : إـلـىـ مـاـتـحـبـ مـنـ الـأـمـورـ . رـضـتـ : اـبـنـهـاـ بـالـكـلـامـ وـالـمـدارـةـ كـاـ يـرـوـضـ
الـعـرـأـ أوـ الـحـصـانـ بـالـسـيرـ .

وهذا مثال ضربه لـالـكناية على المباضعة ، وهو مثال للتعریض ^(١) .

ووُجِدَتْ فِي كِتَابِ النَّذْكَرَةِ لِأَنْ حَدَّونَ الْبَغْدَادِيُّ ، وَكَانَ مَشَارِ إِلَيْهِ عِنْدَهُمْ بِخَصِيلَةٍ وَبِرْفَةٍ لَا يَسْمَعُ فِي كِتَابِ الـكِنَايَةِ ، فَوُجِدَتْ فِي كِتَابِهِ ذَلِكَ بِاِبْرَاهِيمَ مَقْصُورًا عَلَى ذِكْرِ الـكِنَايَةِ وَالتَّعْرِيْضِ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا نَظَرًا وَثُرَّا ، وَهُوَ مُحْشَوٌ بِالْمَاطِلِ بَيْنَ هَذِينَ الْفَسَيْنِ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ بَيْنَهُمَا ، وَقَدْ أُورِدَ أَيْضًا فِي بَعْضِهِ أَمْثَلَةً غَيْرَةً بَارِدَةً .

وَسَأُذْ كُرْ ما عِنْدِي فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا ، وَأَمْبَزْ أَحَدَهَا عَنِ الْآخَرِ ، لِيُعْرَفَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى اِنْفُرَادِهِ فَأَقُولُ :

[الـكِنَايَةِ] :

أَمَا الـكِنَايَةِ فَقَدْ حُدِّثْتُ بِهِ ، فَقَبِيلٌ هِيَ الْأَفْظُرُ الدَّالُ عَلَى الشَّيْءِ ، عَلَى غَيْرِ الْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ ، بِوَصْفِ جَامِعٍ بَيْنَ الـكِنَايَةِ وَالـكِنَانِيِّ عَنْهُ ، كَالْأَمْسِ وَالْجَمَاعُ ، فَإِنْ الجَمَاعُ اسْمٌ مَوْضِعٌ حَقِيقِيٌّ ، وَالْأَمْسُ كِنَايَةٌ عَنْهُ ، وَبَيْنَهُمَا الوَصْفُ الْجَامِعُ ، إِذْ الجَمَاعُ لَمْسٌ وَزِيَادَةٌ ، فَكَانَ دَالًا عَلَيْهِ بِالْوَضْعِ الْمَجازِيِّ .

وَهَذَا الْحَدْ فَاسِدٌ ، لَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَدًّا لِلتَّشْبِيهِ ، فَإِنَّ التَّشْبِيهَ هُوَ الْأَفْظُرُ الدَّالُ عَلَى غَيْرِ الْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ جَامِعٌ بَيْنَ الْمَشْبُهِ وَالْمَشْبُوْبِ بِهِ وَصْفٌ مِنَ الْأَوْصَافِ ، إِلَّا تَرَى أَنَا إِذَا قَاتَنَا : زَيْدٌ أَمْدٌ ، كَانَ ذَلِكَ لِفَظًا دَالًا عَلَى غَيْرِ الْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ بِوَصْفِ جَامِعٍ بَيْنَ زَيْدٍ وَالْأَمْدِ ، وَذَلِكَ الْوَصْفُ هُوَ الشَّجَاءَةُ ، وَمِنْ هَذَا وَقْعُ الْفَلَطْ لِمَنْ أَمْرَتْ إِلَيْهِ فِي الَّذِي ذُكِرَهُ فِي حَدِ الـكِنَايَةِ .

(١) قَالَ ابْنُ سَنَانَ الْخَفَاجِيُّ : وَمِنْ هَذَا الْجَذْنِ حَسْنُ الـكِنَايَةِ عَمَّا يَجِبُ أَنْ يَكْتُنَ عَنْهُ فِي الْوَضْعِ الَّذِي لَا يَحْسَنُ فِيهِ التَّصْرِيفُ ، وَذَلِكَ أَصْلُ مِنْ أَصْوَلِ الْفَصَاحَةِ ، وَمُشَرَّطٌ مِنْ تَنْرُوتِ الْبَلَاغَةِ ، إِلَى أَنْ قَالَ . وَمِمَّا يَسْتَهِنُنَّ مِنَ الـكِنَايَاتِ قَوْلُ امْرَىءِ الْقَيْسِ (الْبَيْتِ) لَأَنَّهُ كَيْنَ عنِ الْمَبَاضَةِ بِأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْعِبَارَةِ (سِرُّ الْفَصَاحَةِ ١٥٦) .

وأما علماء أصول الفقه فإنهم قالوا في حد الكفاية أنها المفظ المحتمل ، يريدون بذلك أنها المفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه . وهذا فاسد أيضا ، فإنه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكفاية .

دليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستحب فافعل ما شئت » فإن هذا المفظ يدل على المعنى وعلى خلافه ، وبيان ذلك أنه يقول في أحد معنوياته : إنك إذا لم يكن لك وازع يزعوك عن الحِيَاة فافعل ما شئت ، أما معناه الآخر فإنه يقول : إذا لم تفعل فعلا بستحي منه فافعل ما شئت ، وهذا ليس من الكفاية في شيء ، فبطل إذا هذا الحد .

ومثال الفقيه في قوله إن الكفاية هي المفظ المحتمل مثال من أراد أن يُحْمَدَ الإنسان فأنى بحد الحيوان ، فهو بالأعم من الأخص ، فإنه يقال كل إنسان حيوان ، وليس كل حيوان إنسانا ، وكذلك يقال هنا ، فإن كل كفاية لفظ محتمل ، وليس كل لفظ محتمل كفاية .

والذى عندي في ذلك أن الكفاية إذا وردت تجاذبها جانبها حقيقة ومجاز ، سو جاز حملها على الجانبيين معا ، الا ترى أن الامس في قوله تعالى : ﴿أَوْ لَا مَسْتَقْرَبُ النَّسَاءَ﴾ يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، وكل منهما يصح به المعنى ولا يختمل ، ولهذا ذهب الشافعى رحمه الله إلى أن الامس هو مصافة الجسد الجسد ، فأوجب الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في الامس ، وذهب غيره إلى أن المراد باللامس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكفاية . وكل موضع ترد فيه الكفاية فإنه يت捷ذبه جانبها حقيقة ومجاز ، ويجوز حمله على كلها معا ، وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز ، لأنه لا يجوز حمله إلا على جانب المجاز خاصة ، ولو حمل على جانب الحقيقة لاستعمال المعنى ، الا ترى أنا إذا قلنا : (زيد أسد) لا يصح إلا على المجاز خاصة ، وذلك أنا شبهنا زيداً بالأسد في شجاعته ، ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستعمال المعنى ، لأن

زيداً ليس بالحيوان ذا الأربع والذنب والوبر والأنياب والخالب .

وذلك الأفضل. الحال على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه
أو لا يكون لها شركة ، فإن كان لها شركة في الدلالة فيكون الأفضل. الواحد قد
دل على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف للأصل الوضع ، لأن أصل الوضع
أن تكلم بشيء وأنت تريده غيره ، وها هنا تكون قد تكلمت بشيء وأنت تريده
 شيئاً غيره ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً ،
لأن أصل الوضع أن تكلم بشيء وأنت تريده غيره ، فيكون الذي تكلمت به
دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره ، وإذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها
شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهذا محل ،
فتحقق حينئذ أن الكتابية أن تكلم بالحقيقة ، وأنت تريده المجاز ، وهذا الكلام

فـ حـقـيـقـةـ الدـلـيـلـ عـلـىـ تـحـقـيقـ أـمـرـ الـكـفـاـيـةـ لـمـ يـكـنـ لـأـحـدـ فـيـهـ قـوـلـ سـابـقـ .

واعلم بأن الـكناية مشقة من الستر ، يقال كنـيت الشـيء إذا سـترـته ، وأجري هذا الحكم في الألفاظ التي يـستـرـ فيها المجاز بالحقيقة ، فـتـكون دـالـة على السـتر وـعـلـى المـسـتـور مـعـا ، ألا تـرى إـلـى قـولـه تـعـالـى : (أو لا مـشـتـمـة لـذـاء) فإنه إن حـلـ على الجـمـاعـ كانـ كـفـاـيـةـ ، لـأـنـهـ سـتـرـ الجـمـاعـ بـلـفـظـ الـمـسـ الذيـ حـقـيقـتـهـ مـصـافـحةـ الجـسـدـ ، وـإـنـ حـلـ على المـلـامـسـةـ التيـ هـيـ مـصـافـحةـ الجـسـدـ الجـسـدـ كانـ حـقـيقـةـ ، وـلـمـ يـكـنـ كـفـاـيـةـ ، وـكـلـامـهـاـ يـتـمـ بـهـ الـمـهـىـ .

وقد تأولت الكنية بغير هذا، وهي أنها مأخوذة من الكنية التي يقال
فيها أبو فلان، فإنما إذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبو محمد،
كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله، فإن شئنا ناديه بهذا أو شئنا ناديه بهذا،
فكلامها واقع عليه، وكذلك يجري الحكم في الكنية، فإنما إذا شئنا حلماها
على جانب المجاز، وإذا شئنا حلماها على الحقيقة، إلا أنه لابد من الوصف
الجماع بينهما أثلاً بالحق بالكنية ما ليس منها، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ
هذا أَخْيَ لَهْ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١) فكثير بذلك عن النساء،
والوصف الجامع بينهما هو التأنيث، ولو لا ذلك لقيق في مثل هذا الموضع إن
أخرى له تسع وتسعون كبشات على كبش واحد، وقيل هذه كنية عن النساء، ومن
أجل ذلك لم يلتفت إلى تأويل من تأول قوله تعالى : ﴿وَنِيَّا بَكَ فَطَاهَرٌ﴾^(٢) أنه
أراد بالثياب القلب على حكم الكنية، لأنه ليس بين الثياب والقلب وصف
جامع، ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحًا .

فإن قيل فما الدليل على اشتئاق الـالـكـنـاـيـة من كــبــتــ الشــيــء اــذــا ســبــرــهــ ؟
ومن الـالـكـنـاـيـة ؟

قلت في الجواب : أــمــا اــشــتــئــاقــهــاــ مــنــ كــبــتــ الشــيــء اــذــا ســبــرــهــ ، فــإــنــ المــســتــورــ
فــيــهــ هــوــ الــمــجــازــ ، لــأــنــ الــحــقــيقــةــ تــفــوــمــ أــلــاــ وــيــتــســارــعــ إــلــيــهــ الــفــهــمــ قــبــلــ الــمــجــازــ ، لــأــنــ
دــلــاــلــةــ الــأــفــظــ عــلــيــهــ دــلــاــلــةــ وــضــعــيــةــ ، وــأــمــاــ الــمــجــازــ فــإــنــهــ يــفــهــمــ بــعــدــ فــهــمــ الــحــقــيقــةــ ، وــإــنــمــاــ
يــفــهــمــ بــالــنــظــارــ وــالــفــكــرــ ، وــهــذــاــ يــحــتــاجــ إــلــىــ دــلــيــلــ ، لــأــنــهــ عــدــولــ عــنــ ظــاهــرــ الــأــفــظــ ،
فــالــحــقــيقــةــ أــظــهــرــ وــالــمــجــازــ أــخــفــ ، وــهــوــ مــســتــورــ بــالــحــقــيقــةــ ، أــلــاــ تــرــىــ إــلــىــ قــوــلــهــ تــعــالــىــ :
﴿أــوــ لــامــســتــمــ النــســاءــ﴾ فــإــنــمــاــ يــتــســارــعــ فــيــهــ إــلــىــ الــحــقــيقــةــ الــتــيــ هــيــ مــلــامــســةــ الــجــســدــ الجــســدــ ،
وــأــمــاــ الــمــجــازــ الــذــىــ هــوــ الــجــمــاعــ ، فــإــنــهــ يــفــهــمــ بــالــنــظــارــ وــالــفــكــرــ ، وــيــحــتــاجــ الــذــاهــبــ إــلــيــهــ
إــلــىــ دــلــيــلــ ، لــأــنــهــ عــدــولــ عــنــ ظــاهــرــ الــأــفــظــ .

وــأــمــاــ اــشــتــئــاقــهــاــ مــنــ الــكــنــاــيــةــ فــلــأــنــ عــبــدــ اللــهــ فــيــ هــذــهــ الصــورــةــ الــذــكــرــةــ هــوــ حــقــيقــةــ
هــذــاــ الرــجــلــ ، أــىــ الــاــســمــ الــمــوــضــوعــ بــإــلــازــهــ أــلــاــ ، وــأــمــاــ أــبــوــ مــحــمــدــ فــإــنــهــ طــارــىــ عــلــيــهــ
بــعــدــ عــبــدــ اللــهــ ^(١) لــأــنــهــ لــمــ يــكــنــ لــهــ إــلــاــ بــعــدــ أــنــ صــارــ لــهــ وــلــدــ اــســمــهــ مــحــمــدــ ، وــكــذــلــكــ الــكــنــاــيــةــ
فــإــنــ الــحــقــيقــةــ هــاــ هــوــ الــاــســمــ الــلــوــضــوــعــ أــلــاــ فــيــ أــصــلــ الــوــضــعــ ، وــأــمــاــ الــمــجــازــ فــإــنــهــ طــارــىــ
عــلــيــهــ بــعــدــ ذــلــكــ ، لــأــنــهــ فــرــعــ ، وــالــفــرــعــ إــنــمــاــ يــكــوــنــ بــعــدــ الــأــصــلــ ، وــإــنــمــاــ يــعــمــدــ إــلــىــ
ذــلــكــ الــفــرــعــ الــمــنــاســبــةــ الــجــامــعــةــ بــيــنــهــ وــبــيــنــ الــأــصــلــ عــلــىــ مــاــ تــقــدــمــ الــكــلــامــ فــيــهــ ، وــهــذــاــ
الــقــدــرــ كــافــ فــيــ الــدــلــاــلــةــ عــلــىــ اــشــتــئــاقــ الــكــنــاــيــةــ مــنــ ذــيــنــكــ الــمــعــنــيــيــنــ الــمــشــارــ إــلــيــهــ .

فــإــنــ قــيــلــ إــنــكــ قــدــ ذــكــرــتــ أــقــامــ الــمــجــازــ فــيــ بــابــ الــاــســتــعــارــةــ الــتــيــ قــدــمــتــ ذــكــرــهــ
فــكــتــابــكــ هــذــاــ ، وــحــصــرــتــهــ فــيــ أــقــامــ ثــلــاثــةــ ، وــهــىــ التــوــســعــ فــيــ الــكــلــامــ ، وــالــاــســتــعــارــةــ ،
وــالــنــشــيــيــهــ ، وــنــرــاــكــ قــدــ ذــكــرــتــ الــكــنــاــيــةــ فــيــ الــمــجــازــ أــيــضــاــ ، فــهــلــ هــىــ قــســمــ رــابــعــ إــنــكــلــاــ

(١) كان في الأصل قــاــبــ بــيــنــ الــاــســمــيــنــ مــحــمــدــ وــعــبــدــ اللــهــ ، فــصــحــحــنــاهــمــاــ هــكــذــاــ لــيــنــلــامــ الــكــلــامــ .
هــنــاــ مــمــ ســابــقــهــ هــنــدــ قــوــلــهــ لــمــاــهــ مــأــخــوــذــةــ مــنــ الــكــنــاــيــةــ .

الأقسام الثلاثة ألم هي من جملتها ؟ فإن كانت قسمها رابعاً فذلك تفضي للحصر الذي حصرته ، وإن كانت من جملتها فإليك أعددت ذكرها هنا هنالك مرة ثانية ، وهذا المذكر لا حاجة إليه .

فالجواب عن ذلك أني أقول : أما المحصر الذي ذكرته في باب الاستعارة فهو ذاك ، ولا زيادة عليه ، وأما الـكناية فهي جزء من الاستعارة ، وكذاك الـكناية فأنها لا تكون إلا بحيث يطوي المكنى عنه ، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام ، فيقال كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ، ويُفرّق بينهما من وجه آخر ، وهو أن الاستعارة لفظها صريح ، والصريح هو مادل عليه ظاهر لفظه ، والـكناية ضد الصريح ، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ ، وهذه ثلاثة فروق أحدها المخصوص والمعموم ، والآخر الصريح ، والآخر الحال على جانب الحقيقة والمجاز . وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء من المجاز ، وعلى ذلك تكون نسبة الـكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص المخصوص .

وكان ينبغي أن تذكر الكفاية عند ذكر الاستعارة في النوع الأول من هذه الأنواع المذكورة في المقالة الثانية ، وإنما أفردتها بالذكر هنا من أجل التعریض ؛ لأن من العادة أن يذكرها جميعاً في مكان واحد .

وقد يأتى في الكلام ما يجوز أن يكون كفاية ، ويجوز أن يكون استعارة ،
وذالك بخلاف النظر إليه بفرده والنظر إلى ما بعده ، كقول نصر بن
صيّار في أبياته المشهورة التي يحرض بها بني أمية عند خروج أبي مسلم :

أَرِي خَالِ الرَّمَادِ وَمِيقَنَ بَحْرِيٍّ وَيُوْشِعُ أَن يَكُونَ لَهُ ضَرَامٌ
فَإِن النَّارَ بِالزَّدَنِ تُورَىٰ وَإِن الْحَرَبَ أَوْلَاهَا الْكَلَامُ

أقول من التمجّب : ليت شعرى أليقاظ أميّة أم زمام ؟
فإن هبوا فذاك بقاء ملائكة وإن رقدوا فإني لا أنم (١)

فالبيت الأول لوروده بفرده كان كناية ، لأنّه لا يجوز جعله على جانب الحقيقة وجعله على جانب المجاز ، أما الحقيقة فإنه أخبر أنه رأى وموضع جمر في خلل الرماد ، وأنّه سيضطرّم ، وأما المجاز فإنه أراد أنّ هناك ابتداء شرٌّ كامن ، ومثله يوم يمض جمر من خلل الرماد ، وإذا نظرنا إلى الأبيات في جملتها اختصّ البيت الأول منها بالاستعارة دون الكناية ، وكثيراً ما يرد مثل ذلك وبشكلٍ لا يحاذره بين الكناية والاستعارة ، على أنه لا يشكّل إلا على غير العارف .

[التعرّيف به]

وأما التعرّيف : فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضم الحقيقى والمجازى ، فإنك إذا قلت لمن تتوّقع صلاته ومعرفته بغير طلب : والله إنّي لمنحتاج ، وليس في يدي شيء ، وأنا عريان والبرد قد آذاني ، فإنّ هذا وأشباهه تعرّيف بالطلب ، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا بجاز ، إنما دل عليه من طريق المفهوم ، بخلاف دلالة المنس على الجماع . وعليه ورد التعرّيف في

(١) كان نصر بن سيار واليا على خراسان لهشام بن عبد الملك ، وقد بعث إليه بهذه الأبيات يحذرها ذيوع السخط على بني أميّة هناك ، وانتشار الدعوة لبني العباس . والأبيات في الأفهانى ١٥ / ١٦ ومروج الذهب ٢ / ٢٥٢ والعقد الفريد ١ / ٢٤٠ هكذا :

ويوشك أن يكون لها خرام	أدرى خلل الرماد ويمض نار
ولأن الحرب أولها الكلام	فإن النار بالعودين تذكر
مشهورة يشيب لها الغلام	فإيات لم تطفئوها تجتن حرها
أليقاظ أميّة أم زمام ؟	أقول من التمجّب ليت شعرى
فقل قوموا فقد حان القيام	فإن يك قومنا أضحووا فيما
على الإسلام والعرب السلام	ففرى من رحالة ثم قوله

خطبة النكاح ، كقولك المرأة : إنك خلية وإنى أعزب ، فإن مثل هذا لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا .

والتعریض أخفی من السکنایة ، لأن دلالة السکنایة لفظیة وضعیة من جهة المجاز ، ودلالة التعریض من جهة المفهوم لا بالوضم الحقوقی ولا المعازی ، وإنما معنی التعریض تعریضا لأن المعنی فيه يفهم من عرضه أی من جانبه ، وعرض كل شيء جانبه .

واعلم أن السکنایة تشتمل على المفرد والمرکب معاً ، فتأنی على هذا نارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما التعریض فإنه يختص باللفظ المرکب ، ولا يأتي في المفرد البنیه .

والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنی فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المعازی ، وإنما يفهم من جهة التلویح والإشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكن بمحاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المرکب ، وعلى هذا فإن بیت امری القیس الذي ذكره ابن سنان مثلا للسکنایة هو مثال للتعریض ، فإن غرض امری القیس من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لم يذكره ، بل ذكر كلاما آخر يفهم الجماع من عرضه ، لأن الصیر إلى الحسنى ورقة الكلام لا يفهم منها ما أراده امرؤ القیس من المعنی لا حقيقة ولا مجازا ، وهذا لا خفاء به ، فاعرفه .

وحيث فرقنا بين السکنایة والتعریض ، وميزنا أحدهما عن الآخر ، فلنقتصر بما ورد ذكر أقسامهما ، وإنبدأ أولا بالسکنایة فنقول :

الـكـنـاـيـة

اعلم أن الكناية تنقسم قسمين : أحدهما ما يحسن اسمها ، والآخر ما لا يحسن اسمها ، وهو عيب في الكلام فاحش ، وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة . تمهلا : وإرداها ، وجاورة .

وأها التهيل :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظ لمعنٍ آخر ، ويكون ذلك مثلاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ، كقولهم فلان نقي الثوب ، أي منه من العيوب .

وأها إرداد :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظ لمعنى آخر ، ويكون ذلك إرداداً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ولازماً له ، كقولهم فلان طويل النجاد ، أي طويل القامة ، فطول النجاد رادف لطول القامة ولازم له ، بخلاف نقاء الثوب في الكناية عن النزاهة من العيوب ، لأن نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة من العيوب ، كما يلزم من طول النجاد طول القامة .

وأها المجاورة :

فهي أن تزيد ذكر الشيء فتتركه إلى ما جاوره كقول عنترة :

بزجاجة صفراء ذات أميرة قرأت بازهر في الشمال مقدم^(١)
يريد بالزجاجة الخمر ، فذكرا الزجاجة وكفى بها عن الخمر ، لأنها
مجاورة لها .

(١) من معلقته . الأسرة : جمع سر وسرور وها الخط من خلط اليدين والجبهة وغيرهما وتجتمم أيضاً على أسرار ، وأسرار تجتمم على أسرار .
ازهر : إبريق مشرق . مقدم : مسدود الرأس بالقدم وهو هنا المصفاة .

وهذا التقسيم ليس صحيح ، لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصاً بصفة خاصة تفصله عن عموم الأصل ، كقولنا : الحيوان ينقسم أقساماً منها الإنسان ، وحقيقة كذا وكذا ، ومنها الأسد ، وحقيقة كذا وكذا ، ومنها الفرس ، وحقيقة كذا وكذا ، ومنها غير ذلك ، وهذا لم يكن التقسيم كذلك ، فإن التأويل على ما ذكر عبارة عن مجموع الـ^{الـ}كناية ، لأن الـ^{الـ}كناية إنما هي أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظاً لمعنٰ آخر ، ويكون ذلك اللفظ مثلاً المعنى الذي أردت الإشارة إليه .

الأرجى إلى قوله تعالى : ﴿إِنْ هَذَا أُخْيٌ لَهُ نَسْمٌ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١) فإنه أراد الإشارة إلى النساء فوضع لفظاً لمعنٰ آخر وهو النعاج ، ثم مثل به النساء ، وهكذا يحرى الحكم في جميع ما يأتي من الـ^{الـ}كنايات ، لكن منها ما يتضح التأويل فيه ، وتكون الشبهية بين الـ^{الـ}كناية والمعنى عنه شديدة المنسوبة ، ومنه ما يكون دون ذلك في الشبهية . وقد تأكدت ذلك وتحقق النظر فيه ، فوجدت الـ^{الـ}كناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المنسوبة واضحة الشبهية ، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بذلك الدرجة في قوة المنسوبة والمشابهة ، ألا ترى إلى قوله « فلان ناق ^{النّ}أُوب » وقولهم « الامس » كناية عن الجماع ، فإن نقاء النّوب أشد مناسبة وأوضح شبهها ، لأنـا إذا قلنا : نقاء النّوب من العذون كزاهة المرض من العيوب اتضحت المشابهة ، ووجدت المنسوبة بين الـ^{الـ}كناية والـ^{الـ}معنى عنه شديدة الملازمة ، وإذا قلنا « الامس كالجماع » لم يكن بذلك الدرجة في قوة المشابهة ، وهذا الذي ذكر في أنـا من الـ^{الـ}كناية تمثيلاً وهو كذا وكذا ، غير سائغ ولا وارد ، بل الـ^{الـ}كناية كلها هي ذات ، والذي قدمته من القول هو المعاصر لها ولم يأت به أحد غيري كذلك .

وأما الإرداد :

فإنه ضرب من اللفظ المركب ، إلا أنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون الكنية دليلاً على المكفي عنه ولازمة له ، بخلاف غيرها من الكنيات ، إلا قرئ أن طول النجاد دليلاً على طول القامة ولازم له ، وكذلك يقال فلان عظيم الرماد ، أي كثير إطعام الطعام ، وعليه ورد قول الأعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها « له إيل قليلات المسارح » ، كثیرات المبارك ، إذا سمعن صوت المزهر أیقنت أنها هوالك ^(١)

وغرض الأعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم ، إلا أنها لم تذكر ذلك بالفظ الصريح ، وإنما ذكرته من طريق الكنية على وجه الإرداد الذي هو لازم له .

وكذلك ورد في الأخبار النبوية أيضاً ، وذلك أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن غسلها من الحيض ، فأمر أن تغسل ، ثم قال : « خذى فرصةً من مسلك فتطهرى بها » ^(٢) قالت : كيف أنظر بها ؟ فقال : تطهرى بها . قالت : كيف أنظر بها ؟ قال سبحانه الله ، تطهرى بها . فاجتنبتها عائشة رضى الله تعالى عنها إياها ، وقالت : تَدْعُّى بها أثر الدم ، فقولها « أثر الدم » كافية عن الفرج على طريق الإرداد ، لأن أثر الدم في الحيض لا يكون إلا في الفرج ، فهو رادف له .

وما ورد في ذلك شرعاً قول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إما لموفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم ^(٣)

(١) من وصف الزوجة المعاشرة لزوجها ، والنون في البخاري « له إيل كثیرات المبارك ، قليلات المسارح ، إذا سمعن صوت المزهر أیقنت أنها هوالك » .
(صحيح البخاري ٤٩/١) .

(٢) صحيح البخاري ٤٩/١ . الفرصة بكسر الفاء خرقه أو قطنة تنسج بها المرأة من الحيض .

(٣) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٠٠ .

فَإِنْ بَعْدَ مَهْوِيَ الْقَرْطِ دَلِيلٌ عَلَى طَوْلِ الْعُنْقِ .

ومن أطيف هذا الموضع وحسنـه ما يأْنـي بالفظة مِثـلـ ، كـقولـ الرجلـ إـذـا نـفـيـ
عـنـ نـفـسـهـ القـبـحـ «ـ مـثـلـ لـاـ يـفـعـلـ هـذـاـ »ـ أـىـ أـنـاـ لـاـ أـفـعـلـ ،ـ نـفـيـ ذـلـكـ عـنـ مـثـلـهـ ،ـ
دـيـرـيدـ نـفـيـهـ عـنـ نـفـسـهـ ،ـ لـأـنـهـ إـذـاـ نـفـاهـ عـمـنـ يـمـاـنـهـ وـيـشـابـهـ فـتـعـدـ نـفـاهـ عـنـ نـفـسـهـ لـامـحـالـةـ ،ـ
إـذـهـ بـنـفـيـ ذـلـكـ عـنـهـ أـجـدرـ .ـ وـكـذـاكـ يـقـالـ «ـ مـثـلـكـ إـذـاـ سـمـلـ أـعـطـيـ »ـ أـىـ أـنـ
إـذـاـ سـمـلـتـ أـعـطـيـتـ ،ـ وـسـبـبـ وـرـودـ هـذـهـ الـفـظـةـ فـيـ هـذـاـ المـوـضـعـ أـنـهـ يـجـعـلـ مـنـ جـمـاعـةـ
هـذـهـ أـوـصـافـهـمـ وـتـشـيـيـةـاـ الـأـمـرـ وـتـوـكـيدـاـ ،ـ وـلـوـ كـانـ فـيـهـ وـحـدهـ اـقـلـاقـ مـذـهـ مـوـضـعـهـ وـلـمـ
يـرـسـ فـيـهـ قـدـمـهـ .ـ

وهذا مثل قول القائل إذا كان في مدح إنسان «أنت من القوم الــكــرام»
أى لك في هذا الفعل سابقة، وأنت حقيق به، ولست دخيلا فيه.

وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) ، والفرق بين قوله ليس كمثله شيء ، وبين قوله ليس كأنه شيء ، هو ما ألمست إليه ، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يمثل له حتى يكون كمثله مثل ، وإنما ذكر ذلك على طريق المجاز قصدأ المبالغة .

وقد يأتي هذا الموضع بغير لفظة مثل وهي مقصودة ، كقولك للعربي «العرب لا تُخْفِرُ الذم» «أي أنت لا تخفر الذم» ، وهذا أبلغ من قولك : أنت لا تخفر الذم ، لما أشرت إليه . وعلى نحو من هذا جاء قوله أبي الطيب المتنبي :

أَنْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رَمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبَحْرِ^(٤)

الشوري ١١ (١)

(٤) من قصيدة في رثاء أبي الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة وقد توفي سنة ٤٣٨ ،
والبيت في الديوان :

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلْيَ مِنْ رَمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ وَهُجْنَةُ الْبَخْلِ
(ديوان المتنبي ٢١١/٣)

وإذا فرغت من ذكر الأصول التي قدمت ذكرها، فإني أثبّتها بحسب الأمثلة نثراً ونظاماً، حتى يزداد ما ذكرته وضوحاً.

فمن ذلك ما ورد في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَهْدِكُمْ أَنْ يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾^(١)، فإنه كنّى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثّله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتاً، ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، فهذه أربع دلالات واقعه على ما قصدت له مطابقة المعنى الذي وردت من أجله.

فأما جعل الغيبة كما أكل الإنسان لحم إنسان آخر مثّله فشدّيد المناسبة جداً، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض عاشر لأكل لحم الإنسان لحم من يغتابه، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة، وأما جعله كلام الأخ فلما في الغيبة من الكراهة، لأن العقل والشرع مجتنعاً على استكراها، أمران يتركها والبعد عنها، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراحته. ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكريه عند إنسان آخر، إلا أنه لا يكون مثل كراحته لحم أخيه، وهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة. وأما جعل اللحم ميتاً فمن أجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها. وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، فلما حصلت عليه النقوص من الميل إلى الغيبة والشدة لها مع العلم بقبحها.

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكفاية تجدها من أشد الكفايات شدّها، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها وجدتها مناسبة لما قصدت له.

وكذلك رد قوله تعالى: ﴿وَأُورْثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَهْلَهُمْ

وأرضا لم يطأوها ^(١) ، والأرض التي لم يطأوها كفاية عن مفاسد النساء ،
وذلك من حَنَّ الْكُنَيْةَ ونادره .

وكذا ورد قوله تعالى : « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا» فسالتْ أُوذِيَةً بِقَدْرِهَا
ظَاهِنَ الْمَسْيَلُ زَبْدًا رَأَيْا ^(٢) فَكَنِي بِالْمَاءِ عَنِ الْعِلْمِ ، وَبِالْأُوذِيَةِ عَنِ الْقُلُوبِ ،
وَبِالْزَبْدِ عَنِ الْضَلَالِ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ قَدْ ذُكِرَتْ هَا أَبُو حَامِدُ الْغَزَالِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
لِلْوَسُومِ بِإِحْيَا عِلُومِ الدِّينِ ، وَفِي كِتَابِهِ الْمُوسُومِ بِالْجُواهِرِ ، وَالْأَرْبعَينِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا
إِلَى أَنَّ فِي الْفِرَقَانِ الْكَرِيمِ إِشَارَاتٍ وَإِيمَاعَاتٍ لَا تُنَكِّشَفُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَهَذَا
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغَزَالِيَّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ بَابِ الْكُنَيْةِ الَّتِي
لَفْظُهَا يَجُوزُ حَلُّهُ عَلَى جَانِبِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجازِ . وَقَدْ رَأَيْتَ جَمِيعَهَا مِنْ أَنْوَافِ الْفَقَهِ لَا يَحْتَفِظُونَ
أَصْرَارَ الْكُنَيْةِ ، وَإِذَا سَئَلُوكُمْ عَنْهَا عَبَرُوكُمْهَا بِالْمَجازِ ، وَلَمْ يَأْتِ الْأُمْرُ كَذَلِكَ ، وَيَنْهَا
وَصُفُّ جَامِعٍ ، كَهُنْدَهُ الْآيَةُ وَمَا جَرِيَ بِهَا ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ حَلُّ الْمَاءِ عَلَى الْمَطَرِ الْفَازِلِ
مِنَ السَّمَاءِ وَعَلَى الْعِلْمِ ، وَكَذَلِكَ حَلُّ الْأُوذِيَةِ عَلَى مَهَا بَطِّ الْأَرْضِ وَعَلَى الْقُلُوبِ ،
وَهَكُذا يَجُوزُ حَلُّ الزَّبْدِ عَلَى الْغَمَاءِ الرَّابِيِّ الَّذِي تَقْدِنَهُ السَّيُولُ ، وَعَلَى الْضَلَالِ ،
وَلَمْ يَأْتِ فِي أَقْسَامِ الْمَجَازِ شَيْءٌ يَجُوزُ حَلُّهُ عَلَى الْطَّرَفَيْنِ مَعَمًا سُوَى الْكُنَيْةِ .

وَبِلَاغَيَ عَنِ الْفَرَاءِ الْمَحْوَى أَنَّهُ ذُكِرَ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ وَزْعُمِ أَنَّهَا كُنَيْةٌ ، وَهِيَ
قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ » ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَسْكُرِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ مَسْكُرُهُمْ
لِتَزُولَ مِنْهُ الْجَهَالَ ^(٢) فَقَالَ إِنَّ الْجَهَالَ كُنَيْةٌ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ .

وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ بَابِ الْأَمْتَهَارَةِ لَا مِنْ بَابِ الْكُنَيْةِ ، لِأَنَّ الْكُنَيْةَ لَا تَسْكُونُ
إِلَّا فِيهَا جَازَ حَلُّهُ عَلَى جَانِبِ الْمَجَازِ وَالْحَقِيقَةِ ، وَالْجَهَالُ هُنَّا هُنَّا لَا يَصْحُّ بِهَا الْمَعْنَى
إِلَّا إِذَا حَمَّلَتْ عَلَى جَانِبِ الْمَجَازِ خَاصَّةً ، لِأَنَّ مَكْرَهُ أَوْلَئِكَ لَمْ يَكُنْ لِتَزُولِهِ
جَهَالُ الْأَرْضِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مُحَالٌ .

(١) الْأَحْزَابِ ٢٧ .

(٢) إِبْرَاهِيمَ ٤٦ .

وأَمَا مَا ورد في الأخبار النبوية فقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ كَانَ امْرَأَةً فِيهِنَّ كَانَ مِنْ قَبْلَنَا ، وَكَانَ لَهَا أَبْنَاءُ عَمَّ يُحِبُّهَا ، فَرَأَوْدَهَا عَنْ نَفْسِهَا ، ثُمَّ تَقْتَلَتْ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَصَابَتْهَا شَدَّةٌ بَخَادَتْ إِلَيْهِ تَسْأَلُهُ ، فَرَأَوْدَهَا ، فَكَنَّهُنَّ مِنْ نَفْسِهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ مِنْهُمْ مَقْعِدُ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ قَالَتْ لَهُ : لَا يَحْلُّ لِكَ أَنْ تَفْعُلُ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقَامَ عَنْهَا وَرَكِبَهَا . وَهَذِهِ كَنْيَاةٌ وَاقِعَةٌ فِي مَوْقِعِهَا . »

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رُوَيْدَكَ سَوْفَكَ الْفَوَارِيرَ »^(١) يُرِيدُ بِذَلِكَ النَّسَاءَ ، فَكَنَّهُنَّ عَنْهُنَّ بِالْفَوَارِيرِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَغَلَامٌ أَسْوَدٌ اسْمُهُ أَنْجَشَةٌ يَحْدُو ، فَقَالَ لَهُ يَا أَنْجَشَهُ رُوَيْدَكَ سَوْفَكَ الْفَوَارِيرَ ، وَهَذِهِ كَنْيَاةٌ لطِيفَةٌ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ حَدِيثُ الْمَدِيَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّبِيعِ^(٢) ، جَاءَهُ بُدَيْلٌ ابْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفْرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ ، فَقَالَ : « تَرَكْتَ كَعْبَ بْنَ أُوْيَى وَعَامِرَ بْنَ أُوْيَى نَزَلُوا عِدَادَ مِيَاهِ الْمَدِيَّةِ ، مَعْهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مَقَانِلُوكُ وَصَادُوكُ عَنِ الْبَيْتِ »^(٣) وَهَذِهِ كَنْيَاةٌ عَنِ النَّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ، وَالْعُوذُ جَمْ عَائِذٌ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي وَضَعَتْ وَقْوَى وَلَدَهَا ، وَهَذَا يَحْبُزُ حَمْلَهُ

(١) كَانَ أَنْجَشَةٌ يَحْدُو بِالنَّسَاءِ رَكَابِهِنَّ . وَيُرَجِّزُ بِنَسِيبِ الشِّعْرِ وَالرِّجْزِ وَرَاءِهِنَّ ، فَلَمْ يَؤْمِنْ أَنْ يَصِيبُهُنَّ مَا يَسْمَعُونَ مِنْ رَقِيقِ الشِّعْرِ فِيهِنَّ ، أَوْ يَقْمِنُ فِي قُلُوبِهِنَّ حَدَائِهِ ، فَأَمَرَ أَنْجَشَةَ بِالْكَفِ عَنْ تَشْيِدِهِ وَحَدَائِهِ حَذَارٌ صَبُوتُهُنَّ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ . وَقَوْلُ إِنَّ الْإِبْلَ إِذَا سَمِّتَ الْمَدِيَّةَ أَسْرَهُتْ فِي الشَّفَى وَاسْرَهُتْ فَأَزْبَجَتِ الرَّاكِبُ فَأَنْجَبَتِهِ فِنَاهَهُ عَنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ النَّسَاءَ يَضْعَفُنَّ عَنْ شَدَّةِ الْمُحْرَكِ . « لِسانُ الْمُرْبِبِ مَادَةُ قَرْرٍ وَالنَّهَايَةُ لِابْنِ الْأَئِمَّةِ ٣/٢٠٢ . »

(٢) الرَّكِيَّةُ : الْبَئْرُ .

(٣) الْعُوذُ : جَمْ عَائِذٌ وَهِيَ مِنْ الْإِبْلِ الْمَدِيَّةِ التَّاجِ . الْمَطَافِيلُ : الَّتِي مَعْهَا أُولَادُهَا ، يُرِيدُ أَنْهُمْ خَرَجُوا وَمَعْهُمُ النَّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ .

وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هَشَامٍ وَتَارِيخِ الطَّبْرَى أَنَّ الَّذِي أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرِّ بْنِ سَفِيَّانَ الْكَعْبِيِّ أَوْ بَسْرَ ، وَأَنَّهُ لَقِيَهُ بِعَسْفَانَ ، وَهُوَ مَنْهَلٌ بَيْنَ الْجَعْفَةِ وَمَكَّةَ أَوْ بَيْنَ الْمَسْجَدَيْنِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ سَمِعُوا بِنَسِيرِكَ خَرَجُوا مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ ، قَدْ لَبَسُوا جَلُودَ النَّمُورِ ، وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طَوْى يَحْلَفُونَ بِاللهِ لَا تَدْخُلُهُمْ أَبْدًا .

(سِيرَةِ ابْنِ هَشَامٍ ٢/٣٠٩ وَتَارِيخِ الطَّبْرَى ٣/٢٢)

ومن ذلك ما ورد في إقامة البحد على الزاني، وهو أن يشهد عليه برأية العميل في المكحولة، وذلك كنهاية عن رؤية الفرج في الفرج .

ومن لطيف الکنایات أن امرأة جاءت لعائشة رضي الله عنها فقلت لها : « أَفِيدْ جَلَّ ؟ » فقلت عائشة رضي الله عنها « لا ». أرادت المرأة أن تضع لزوجها شيئاً يكفيه عن غيرها ، أي تربطه أن يأتى غيرها ، فظاهر هذا اللفظ هو تقييد الجل ، وباطنه ما أرادته المرأة وفهمته عائشة منها .

وكذاك يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذاك أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : « هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال : حَوَّلْتُ رَخْلِي الْبَارِحَةَ ». فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَقِيلْ وَأَذِيرْ وَأَنْقِ الدُّمْرَ وَالْجَيْضَةَ » .

ويروى أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضي الله عنه فبكاثت المرأة
عنه ثلاثة أيام لم يدن منها ، وإنما كان ملتفتاً إلى صلاته ، فدخل
عمرو بعد ثلاثة ، فقال : كيف ترين بعملي ؟ فقالت : نعم العمل إلا أنه
لم يفتش لنا كثيناً ، ولا قرب لنا مضجعاً . فقوه لم يفتش لنا كثيناً ولا قرب
لنا مضجعاً من الكنافية العراء الظاهرة .

ومن ألطاف ما بلغني في هذا قول عبد الله بن سلام ، فإنه رأى على رجل
نوبغا مهصفرأ ، فقال : « لو أن نوبك في تنور أهلك أو تحت قدرهم كان خيراً ».
ذهب الرجل وأحرقه نظراً إلى حقيقة قول عبد الله ، وظاهر مفهومه ، وإنما أراد
(م — ه المثل السائر)

المجاز منه ، وهو لو صررتْ تَمَّنَه إلى دقيق تخبزه أو حطب تعطبخ به كان خيراً ، والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين ، فالرجل فهم منه الظاهر الحقيق فمضى وأحرق ثوبه ، ومراد عبد الله غيره .

ومن هذا القسم ما ورد من أمثال العرب ، كقولهم إياك وعَقِيلَةَ الْمَلْحِ . وذاك كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء ، فإن عقيلة الملح هي الأولوية تكون في البحر ، فهي حسنة وموضعها ملح .

وكذلك قولهم : لِبْسَ لَهُ جَلْدُ النَّرِ ، كناية عن العداوة . وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الأسد ، ولبس له جلد الذئب ، وليس له جلد الأرقم ، لأن هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النر ، إذ العداوة مختلفة في الجميع ، وكذلك قولهم : « قلب له ظهر المَيْجَنَ » كناية عن تغيير المودة . وعما ورد في ذلك شعراً قوله أبي نواس :

لَا أَذُوذُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُهُومَ مِنْ أَمْرِهِ (١)

وهذا له حكاية ، وهو أنه كان لأبي نواس صديقة تغشاه ، فقيل له إنها تختلف إلى آخر من أهل الرَّبَّ، فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوماً من الأيام ، فرأها تدخل منزل ذلك الرجل ، ثم إن ذلك الرجل جاءه وكان صديقاً له فتكلم ، فصرف وجهه عنه ، ثم نظم قصيدة المشهورة التي مطلعها « أيها المتناب عن عُفْرَه » وهذا البيت من جملة أبياتها .

وكذلك ورد قوله أيضاً :

(١) من قصيده في مدح العباس بن عبيد الله ، التي مطلعها :
أَيَّهَا الْمُتَنَابُ عَنْ هُفْرَه لَسْتَ مِنْ لَيْلٍ وَلَا مِنْ سَمَرٍ
(الديوان ٤٢٧)

المتناب : المتردد مرة بعد مرة . العفر : بسكون الفاء من ليالي الشهر السابعة والثامنة والتاسعة . وحرك الفاء لضرورة الشعر ، يقول : أيها الزائر للسمير والحديث لست مني وانت منك ، لأن ليلى لا يشبه ليلاً ، وسميري بعيد عن سميرك ، لأنني وفي وأنت غادر .

وَنَاظِرَةٌ إِلَى مَنْ لَقِيَ تَلَاحِظَى بِطَرْفٍ مُّتَزَابٍ
كَشَفَتُ قِنَاعَهَا فَإِذَا عَجُوزٌ مُّمَوَّهٌ الْمَفَارِقَ بِالْخِضَابِ
فَمَا زَالَتْ تُحَمِّسُ طَبِيلًا وَتَأْخُذُ فِي أَهَادِيثِ التَّصَانِيفِ
نَحْنُ أَوْلَى أَنْ يَقُولَ أَبُو زَيْدٍ وَدُونَ قِيمَاتِهِ شَيْبُ الْغَرَابِ
أَنْتَ بِحِرَابِهَا تَسْكُنُ فِيهِ فَقَامَتْ وَهِيَ فَارِغَةُ الْجَرَابِ^(١)

فَقَوْلُهُ : أَنْتَ بِحِرَابِهَا تَسْكُنُ فِيهِ كُنْيَاةً ، إِذَا جَرَابَ يَجُوزُ حَلَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ
وَالْمَجازِ ، وَكَذَلِكَ الْكَبِيلُ أَيْضًا .

وَمَا جَاءَ مِنْ هَذَا الْجَابِ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي تَمَامِ فِي قُصِيدَتِهِ الَّتِي بِسَمْعَهُ فِيهَا
عَالِكُ بْنُ طَوقَ عَلَى قَوْمِهِ الَّتِي مَطَلَّعُهَا :

« أَرْضٌ مُهَرَّدَةٌ وَأَرْضٌ مَثَبَّتَةٌ »

مَا لِي رَأَيْتَ أَبِيكُمْ يَدِيسَ الرَّى مَا لِي أَرَى أَطْوَادَكُمْ تَهَدِّمُ^(٢)

فِيَسَ الرَّى كُنْيَاةً عَنْ تَهَكُّرِ دَاتِ الْبَيْنِ ، تَقُولُ يَاسِ الرَّى بَيْنَ وَبَيْنَ
غَلَانَ إِذَا تَهَكَّرَ الْوَدُ الذِّي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، وَكَذَلِكَ تَهَدِّمُ الْأَطْوَادُ ، فَإِنَّهُ كُنْيَاةً عَنْ
خُفَفَةِ الْخَلُومِ وَطَبِيشِ الْعُقُولِ .

(١) أَيْسَتْ فِي الدِّيْوَانِ .

(٢) مَطَلَّمُ الْقُصِيدَةِ فِي الدِّيْوَانِ : أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وَأُخْرَى تَبَعِيمٌ .

مُصَرَّدَةٌ : قَلِيلَةُ الرَّى وَالْمَطَرِ . تَبَعِيمٌ : يَدُومُ عَلَيْهَا الْمَطَرُ .

وَالْبَيْتُ فِي الدِّيْوَانِ هَكُذا :

مَا لِي رَأَيْتَ تَرَابَكَ يَدِسَ لَهُ مَا لِي أَرَى أَطْوَادَكُمْ تَهَدِّمُ

الضميرُ فِي (لَهُ) بِعُودٍ عَلَى شَخْصٍ مذَكُورٍ فِي الْقُصِيدَةِ مِنْ قَبْلِ اسْمِهِ مَالِكٌ ، أَغْضَبَهُ هُؤُلَاءِ

وَهُوَ عَظِيمٌ جَلِيلُ النَّفَمِ . (الْدِيْوَانُ ١٩٩)

ومن السکنایة الحسنة قول أبي الطوب المتنی في قصیدته التي يعاتب فيها سيف الدولة بن حدان التي مطلعها :

« وَ حَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَبَّيْمُ »

وَشَرَّ مَا فَنَصَّهُ رَاحِقٌ فَنَصَّ ثُمَّبُ الْبَزَاقُ سُوَاءٌ فِيهِ وَالرَّحْمُ^(١)

يشير بذلك إلى أن سيف، الدولة يستوى في المثال منه هو وغيره ، فهو البازى وغيره الرحمة ، وإن حل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزًا .

وعلى هذا ورد قول الأقىشر الأسدى ، وكان يعنيها لا يأتي النساء ، وكان كثيراً ما يصف ذلك من نفسه ، بجلس إليه يوماً رجل من قيس فأشد الأقىشر :

وَلَقَدْ أَرْوَحْ بِكُشْرِفِ ذِي مِيَةِ عَسِيرِ الْمَكَرَّةِ مَأْوَهْ يَتَفَضَّلُ
مَرْحَ يَطِيرُ مِنْ الْمَسْرَاحِ كُعَابَهُ وَيَكَادُ جَلَدَ إِهَايَهْ يَتَقَدَّدُ^(٢)

(١) الديوان ١١٦/٤ مطلع القصيدة :

وَ حَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَبَّيْمُ وَمِنْ بَحْسُمِي وَحَالِي عَنْهُ سَقْمٌ
شَمِّ : بارد . الشَّهْبُ : جم أشہب وهو ما فيه بياض يخالطه سواد ، الرحيم : جم رخمة .
وهي طائر من الجوارح الكبيرة الجسم الوحشية الطباع ، قالوا لها موصوف بالغدر والقدر .
البَزَاقُ : جم باز وهو ضرب من الصقر .

(٢) الميَةُ : المراد بها القوة والنشاط ، من مام الشئ . يعمم لذا جرى على وجه الأرض
منبسطاً ، وماع الفرس إذا جرى .

يَتَفَضَّلُ : يسهل ويجرى على الأرض .
والبيتان في الأغانى (٨٣/١٠) هكذا

وَلَقَدْ أَرْوَحْ بِكُشْرِفِ ذِي شَعْرَةِ عَسِيرِ الْمَكَرَّةِ مَأْوَهْ يَتَفَضَّلُ
مَرْحَ يَطِيرُ مِنْ الْمَسْرَاحِ كُعَابَهُ وَتَكَادُ جَلَدَهُ بِهِ تَتَقَدَّدُ
وَالصَّوَابُ الْأَقِيْشُرُ كَمَا فِي الْأَغَانِي لَا الْأَقِيْسُ كَمَا فِي الْأَصْلِ . وَيَتَفَضَّلُ بِالْفَاءِ لَا بِالْفَاءِ كَمَا
كَافَتْ بِالْأَصْلِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتَبْعِرُ الشِّعْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا وَصَفْتُ ، قَالَ : فَرِسَا .
قَالَ : أَفَكَنْتَ تَرْكِبَهُ لَوْ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّمَا يُعْلَمُ بِهِ ، فَكَشَفَ لَهُ عَنْ
أَيْرَهُ ، وَقَالَ : هَذَا وَصَفْتُ فَقَمْ وَارْكَبَهُ ، فَوَرَبَ الرَّجُلَ عَنْ مَكَانِهِ ، وَقَالَ : قَبَحْكَ
اللَّهُ مِنْ جَلِيلِ سَاعَةِ الْيَوْمِ .

وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَحْكُى أَنَّهُ وَقَدْ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى هَشَامَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
وَكَانَ جَهِيلُ الْوَجْهِ ، فَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ عَبْدُ الصَّمْدِ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى مُؤْدَبُ الْوَابِدِ بْنُ يَزِيدَ ،
فَرَأَوْدَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَوَرَبَ مِنْ عَنْدِهِ ، وَدَخَلَ عَلَى هَشَامَ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّهُ وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَنْجُ مِنِّي سَالِمًا عَبْدُ الصَّمْدِ
فَقَالَ هَشَامٌ : وَلِمَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :

إِنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِّي بِخَطَّةٍ لَمْ يَرْمُهَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدٌ
قَالَ : مَا هِيَ ، قَالَ :

وَاحِدٌ جَهْلَانِي وَجْهًا لَا بَأْيَ يُدْخِلُ الْأَفْعَى عَلَى حَبْسِ الْأَسْدِ^(١)

قَالَ : فَضَحَّكَ هَشَامٌ . وَقَالَ : لَوْ فَعَلْتَ بِهِ شَيْئًا لَمْ أُنْكِرْهُ عَلَيْكَ .

وَهُنَّ أَطْفَالُ مَا سَمِعْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي نُوَاسِ فِي الْمَجَاهِ :

إِذَا مَا كَفَتْ جَازَ أَبِي حُسْنِي فَنَمْ وَيَدَاكَ فِي طَرَفِ السُّلاَحِ
فَإِنَّ لَهُ نَسَاءَ مَارِقَاتٍ إِذَا مَا بَتَّنَ أَطْرَافَ الرَّماَحِ
سَرَقْنَ وَقَدْ نَزَّلْتُ عَلَيْهِ أَيْرَى فَلَمْ أَخْلُفَرْ بِهِ حَتَّى الصُّبَاحِ

(١) حَبْسُ الْأَسْدِ : الْمَرَادُ غَيْرُهُ ، لَأَنَّ الْحَبْسَ الْجَبْلِ الْعَظِيمِ وَنَطَاقِ الْمَوْدِجِ وَنَوْبِ يَطْرَحِ
عَلَى الْفَرَاشِ لِلنَّوْمِ عَلَيْهِ .

جاء وقد تخدش جانباه يَسِّنُ إِلَى من ألم الجراح^(١)
فتعوده عن العضو المشار إليه بأطراف الرماح تعبره في غاية الاعظمة والحسن .
وقد أدخل في باب الكنایة ما ليس منه كقول أصيْب :

فاجُوا فاقْنُوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب^(٢)

فهذا يروى من الجاحظ ، وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن
الفصاحة والبلاغة ، فإن الكنایة هو ما جاز حله على جانب الحقيقة ، كما يجوز
حله على جانب المجاز ، وها هنا لا يصح ذلك ولا يسمى ، لأن النساء للحقائب
لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه المضرر الأداة الخارج عن الكنایة .
والمراد به أن في الحقائب من عطاياك ما يعرب عن النساء ، لو سكت أحاجيها عنه .

ما يقبح ذكره صون الكنایة :

وأما القسم الختص بما يقبح ذكره من الكنایة فإنه لا يحسن استعماله .
لأنه عيب في الكلام فاحش ، وذلك لعدم الفائدة المراده من الكنایة فيه .

فمنها جاء منه قول الشريف الرضي يرى امرأة :

«إِنْ لَمْ تَكُنْ نَصْلًا فَنَمْدُ نَصَال»^(٣)

(١) ليست الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .

(٢) الصناعتين ٢١٤ وعيون الأخبار ٢٩٩/١ والأغاني ١٣٠/١ من مقطوعة في مدح سليمان بن عبد الملك .

(٣) البيت في الديوان هكذا .

إلا يكن نصلا فنمد نصال غالفة أحداث الزمان بغول
أولا يكن بآبى شبول ضيفم تدمى أظافره فأم شبول
في تعزية آبى سعيد على بن عبد الله خلف عن أخت له توفيت .

(ديوان الشريف الرضي ٦٧٧/٢)

وفي هذا من سوء الـالكتابية مالا يخفا، به ، فإن الوهم يسبق في هذا الموضع إلى ما يقع ذكره ، وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق ، فمسخه وشووه صورته ، فإن الفرزدق روى امرأته فقال :

وَجَنْ سِلَاحٌ قَدْ رُزِّتُ فَلَمْ أُنْجِعْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْهِ الْبَوَا كِيَا
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفْيَظَةٍ لَوْ أَنْ الْمَفَایَا أَمْهَلَتْهُ لِيَا لِيَا^(١)

وهذا حسن بديع في معناه ، وما كُنَى عن امرأة ماتت بجمجم^(٢) أحسن من هذه الـالكتابية ، ولا أَفْخَمَ شائناً ، فإنه التريف الرضي فأخذ معناها و فعل به ما ترى ، وليس كل من تصرف في المعانى أحسن في تصريفها ، وأبقى هذه الرموز في تأليفها .

وقد عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبي فأحسن فيما أساء به أبو الطيب طريق الـالكتابية ، فأخذها حيث قال :

إِنِّي عَلَى شَنَقِي بِمَا فِي حُمْرِهَا لَأُعِفَّ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَتِهَا^(٣)
وَهَذِهِ كِتْمَاهُ عَنِ الزَّاهِهِ وَالْعَفَّةِ إِلَّا أَنَّ الْفَجُورَ أَحْسَنَ مِنْهَا .

وقد أخذ الشريفي الرضي هذا المعنى فأبرزه في أحسن صورة حيث قال :

(١) البيتان في الديوان هكذا .

وَغَمْدٌ سِلَاحٌ قَدْ رُزِّتُ فَلَمْ أُنْجِعْ عَلَيْهِ الْبَوَا كِيَا
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفْيَظَةٍ لَوْ أَنْ الْلَّيَالِي أَسَأَتْهُ لِيَا لِيَا
(الديوان ٢/٨٩٤)

(٢) ماتت المرأة بجمجم : مثلثة أو عذراء أو حاملأ أو بثقلة ولم يراد هنا أنها حامل .

(٣) من قصيدة في مدح أبي أبوب أحد بن عمران (الديوان ١/٢٥٥) وقد ذكره أبو هلال في الصناعتين وغايه ٣٧٠ . قال الصاحب بن عباد : كان الشعراء يصفون المآذن تزييها لأنفاظها عمما يسمعون ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوخ إلى التصريح ، وكثير من العبر أحسن عندي من هذا العفاف . واعتذر بعضهم عن المتنبي بأنه قال : سراويلاتها ، جم سربال وهو القميص ، وكذلك رواه الخوارزمي ، يريد أنه من حبه لوجوههن يقف عن أبدانهن .

أَحْنُ إِلَى مَا تَضَمَّنَ الْخُمُرُ وَالْخَلَىٰ وَأَصْدِفُ عَمَّا فِي ضَمَانِ الْمَازِرِ^(١)
وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ، وَفِيمَا ذُكِرَ نَاهٌ مِنْ دِينِ الْمَالِيِّينَ مَقْتَنِعٌ.

وَأَدْمَرَ النَّهْرَ بِصَمَرِهِ فَقَدْ سَبَقَ الْإِعْلَامَ بِهِ، وَعَرَفَنَاكَ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَمْنَايَةِ،
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلَهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ بَلْ فَعَلْتُهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ﴾^(٢)، وَغَرْضُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
هَذَا الْكَلَامِ إِقَامَةُ الْحِجَةِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ قَالَ : فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ، وَذَلِكَ
عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِهْزَاءِ، وَهَذَا مِنْ دَمْوَزِ الْكَلَامِ، وَالْقَوْلُ فِيهِ أَنْ قَصْدُ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرَدْ بِهِ نَسْبَةُ الْفَعْلِ الصَّادِرِ عَنْهُ إِلَى الصَّنْمِ، وَإِنَّمَا قَصْدُ تَقْدِيرِهِ لِنَفْسِهِ
وَلِإِثْبَاتِهِ عَلَى أَسْلُوبِ تَعْرِيفِهِ يَمْلُغُ فِيهِ غَرْضُهُ مِنْ إِلْزَامِ الْحِجَةِ عَلَيْهِمْ وَالْأَسْتِهْزَاءِ بِهِمْ،
وَقَدْ يَقَالُ فِي هَذَا غَيْرُ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ كَبِيرُ الْأَصْنَامِ غَضَبَ أَنْ تَعْبُدَ مَعْهُ
هَذِهِ الْأَصْنَامِ الصَّفَارَ فَكَسَرَهَا، وَغَرْضُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَعْبُدَ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هُوَ دُونَهُ فَإِنْ مَنْ هُوَ دُونَهُ مُخْلوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَجَعَلَ إِحْاتَهُ
الْقَوْلُ إِلَى كَبِيرِ الْأَصْنَامِ مُثْلًا لِمَا أَرَادَهُ.

وَمِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ أَبْصَرَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
مَا زَرَكُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا زَرَكُ أَتَيْتَ إِلَّا فَلِئِنْ هُمْ أَرَادُوكُمْ بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا زَرَى
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظَرْتُكُمْ كَاذِبِينَ﴾^(٣)، فَقَوْلُهُ مَا زَرَكُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا
تَعْرِيفٌ بِأَنَّهُمْ أَحْقُّ مِنْهُ بِالنَّبُوَّةِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ فِي أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ
جَعَلَهُمَا فِيهِمْ، فَقَالُوا هَبْ أَنْكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَلَأِ وَمَوَازِّنُكُمْ فِي الْمَرْزَقَةِ، فَهَا جَعَلْتَكَ أَحْقَ
مِنْهُمْ بِهَا؟ إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ وَمَا زَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ.

(٤) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحَ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ خَلْفٍ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :
يَغْيِرُ شَفَقَيْهِ نَالَ عَفْوَ الْمَقَادِرِ أَخْوَ الْجَمَدِ لَا مُسْتَهْسِرًا بِالْمَاعَذِرِ
وَفِي الْدِيْوَانِ (يَحْنُ) بَدْلًا مِنْ (أَحْنُ) وَيَصْدِفُ بَدْلًا مِنْ أَصْدِفَ (الْدِيْوَانُ ٣٤٣)
(٥) الْأَنْدَيْهَاءُ ٦٣ . (٦) هُودٌ ٢٧ .

وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية، فنزله، فلما قدم إليه قال له: عزاقتك ثلاثة لو لا تكن إلا واحدة منهن لأوجبت عزاك: إيداهن أني أمرتك على عبد الله بن عامر وبينه كما ما يفهم كما فلم تستطع أن تستخف منه، والثانية كراهتك أمر زياد، والثالثة أني ابنتي رملة استعذت بك على زوجها عمر بن عثمان فلم تُعذَّها.

فقال له مروان: أما عبد الله بن عامر فإني لا أتعذر منه في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدام عِلْمَ أين موشه، وأما كراهتي أمر زياد فإن حاشر بي أمية كرهوه، وأما استعذت برأمة على عمر بن عثمان فوالله إنه لقائي على صنة وأكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثو با. يريد بذلك أن رملة بنت معاوية إنما استعذت لطلب الجماع. فقال له معاوية: يا ابن الوزَّاع^(١) لست هنالك، فقال مروان: هو ذاك. وهذا من التعریضات اللطيفة.

ومثله في اللطافة ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذاك أنه كان يخطب يوم الجمعة، فدخل عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال له عمر: أية ساعة هذه؟ فقال عثمان: يا أمير المؤمنين انقلبت من أمر السوق فسمعت النداء، فها زدت على أن توصدأ. فقال همر: والوضوء أيضاً، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل^(٢).

فقوله «أية ساعة هذه» تعریض بالإنكار عليه، لآخره عن المجرى إلى الصلاة، وترك السبق إليها، وهو من التعریض المعرج عن الأدب.

ووقفت في كتاب العقد^(٣) على حكاية تعریضية حسنة الموقع، هي أن

(١) الوزاع: الرجل الفاسد المريض الغسل. والوزعة حرفة سام أ bers جوها وزغ.

(٢) في الصناعتين ١٦ ذكر لهذا الحوار موجز، وفي نهايته: أما سمـت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أتقى الجمعة فليغسل».

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه.

امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر في بيتي » فقال : ما أحسن ما ذكرت عن حاجتها ، املأوا بيتهما خبزاً وسمنا ولحها .

ومن خفي التهريض وظاهره ما ورد في الحديث الشريف ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج وهو مختضر أحد ابنه بناته ، وهو يقول : « وإنكم لتجدهنون وتُبعثرون وتُجهمون ، وإنكم من ريحان الله ، وإن آخر وطأة وطئها الله بوج » ^(١) .

اعلم أن وجـاـ بالطائف ، والمراد به غزوة حنين ، وحنين واد قبل وجــ ، لأن غزوة حنين آخر غزوة أوقع بها رسول الله صلـى الله عليه وسلم مع المشركين ، وأما غزوتنا الطائف وبهوك اللقان كأنـا بعد حنين فلم يكن فيها وطأة أى قال ، وإنـما كانت مجرد خروج إلى الغزو من غير ملاقاة عدو ولا قال .

ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلـى الله عليه وسلم : « وإن آخر وطأة وطئها الله بوج » على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته ، لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته صلـى الله عليه وسلم كانت في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينهما سنتان ونصف ، فـكانـه قال : وإنـكم من ريحان الله أـىـ من رزـقـهـ ، وأـناـ مـفارـقـكـ عنـ قـرـيبـ ، إـلاـ أـنـهـ صـانـعـ عنـ قـوـالـهـ : وأـناـ مـفارـقـكـ عنـ قـرـيبـ بـقـوـالـهـ : وإنـ آخرـ وـطـأـةـ وـطـئـهاـ اللهـ بـوـجــ ، وـكـانـ ذـلـكـ تـعـرـيـضاـ بـمـاـ أـرـادـهـ وـقـصـدـهـ مـنـ قـرـبـ وـفـاتـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .

ومـاـ وـرـدـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ شـعـرـ مـيـذـرـ الـخـارـنـيـ :

بـنـيـ عـنـنـاـ لـاـ تـذـكـرـواـ الشـعـرـ بـعـدـمـاـ دـفـقـتـمـ بـصـحـراءـ الـفـَـمـيـزـ القـوـافـيـاـ ^(٢)

(١) اسم وادـ بالطـائـفـ لاـ بلـدـ بـهـ وـمـنـهـ ، «ـ آخرـ وـطـأـةـ وـطـئـهاـ اللهـ بـوـجــ» يـرـيدـ غـزوـةـ حـنـينـ لـاـ الطـائـفـ (ـ القـامـوسـ الـجـيـطـ مـادـةـ وـجــ) .

(٢) الصوابـ الشـمـيـذـرـ وـكـانـ بـالـأـصـلـ الشـمـيـذـ . وـرـدـ الشـعـرـ فـيـ شـرـحـ دـيـوانـ الـخـامـسـ الـمـرـزـوقـ (ـ ١٢٤ـ /ـ ١ـ) وـلـاتـبـرـيـزـيـ ٦١ـ /ـ ١ـ .

الـفـمـيـزـ عـلـىـ وزـنـ فـيـرـ موـضـعـ قـرـبـ ذاتـ عـرـقـ وـمـوـصـمـ بـدـيـارـ بـنـيـ كـلـابـ .

وليس قصده هنا **الشعر** بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم والقبة ، الا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر **الشعر** ، وجعله تعرضا لما قصده ، أى لا تفتخروا بعد تلك الواقعة التي جرت لكم ولنا بذلك المكان .

ومن أحسن التعريضات ما كتبه عرو بن مسدة **الكاتب** إلى المؤمن في أمر بعض أصحابه وهو : « أما بعد فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطول في إلقاء بنظرائه من الخاتمة ، فأعلمه أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي إيقاده بذلك تَعَدُّ طاعته » .

فوق للأؤمن في ظهر كتابه : « قد عرفت تصرحيك وتعرضك لنفسك ، وقد أجبناك إليها » ^(١) .

واعلم أن هذين القسمين من **الكتابية** والتعريض قد وردما في غير اللغة العربية . ووجدتهما في اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذي في أيدي النصارى قد أتى منها بالكثير .

وهما وجدته من **الكتفائية** في لغة الفرس : أنه كان وجل من أساورة ^(٢) كسرى وخصوصه ، فقيل له إن الملك يختلف إلى أمرائك ، فهو جرها بذلك ، وترك فرائضها ، فأخبرت كسرى ، فدعاه وقال له : قد بلغني أن لك عيناً عذبة وأنك لا تشرب منها ، فما سبب ذلك ؟ قال : أيام الملك ، بلغنى أن الأسد يردها خففة ، فاستحسن كسرى منه هذا **الكلام** ، وأسنى عطاءه .

(١) في الصناعتين نص هذه الرسالة من تغيير ٣٦٨ .

(٢) الأساورة : جمع **أسوار** بضم المهمزة وكسرها وهو القائد من الفرس أو هو الفارس .

النوع العشرون

في المغالطات المعنوية

وهذا النوع من أحل ما استعمل في الكلام وألطافه ، لما فيه من التوريزم ، وحقيقة أنه يذكر معنى من المعانى له مثيل في شيء آخر وتفيض ، والتفيض أحسن موقفاً وألطف مأخذاً ، فال الأول الذى يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة ، من ذلك قول أبي الطيب المتنبى :

يَشْلُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَاثِ نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْرِ الْخَيْرَ
وَكُلِّ أَصْمَمِ يَمْتَلِلِ جَانِبَاهُ عَلَى السَّكَعَبَتَيْنِ مِنْهُ دُمُّ هَمَارُ
يَغَادِرُ كُلَّ مَلْقُوتٍ إِلَيْهِ وَلَبْتَهُ لَشَلَبَهُ وَجَارُ^(١)
فالشلبه هو هذا الحيوان المعروف ، والوجار أصم بيته ، والشلبه أيضاً هو طرف سنان الرمح ، فلما انفق الاسنان بين الثعابين حسن ذكر الوجار في طرف السنان ، وهذا نقل المعنى من مثله إلى مثله .

وعليه ورد قول المتنبى :

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفَ كَفَهُ وَكَانَ عَلَى الْعِلَاتِ يَصْطَاحُ بَانِ

(١) من قصيدةه في مدح سيف الدولة لما أوقمه ببني عقيل وفشير وبني العجلان وبني كلاب حين هاجوا وخالفوا عليه (الديوان ٢/٢٤٣).

يشلهم : يطردتهم . الأقب : الضامر البطن . نهد : مرتفع . يقول إنه يطردتهم بكل فرس ضامر نهد لفارسه الخيار ، إن شاء لحق وإن شاء سبق . أصم : رمح صلب ليس بأجوف . يضل : يضطرب . ممار : مقال مهرق . يغادر : يترك والضمير للرمح . اللبة : أعلى الصدر . الشلبه . المراد هنا ما دخل من الرمح في السنان . الوجار : بيت الوحش من ضيم ونعل ونحوهما يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحره مطعون يدخل ثعلبه في نحره .

كَانُ رَقَابَ النَّاسِ قَاتِلٌ لَسِيفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِيٌّ^(١)
فَإِنْ شَبَّابًا إِخْرَاجِيُّ الَّذِي خَرَجَ عَلَى كَافُورَ الْإِخْشِيدِيِّ وَقَصَدَ دِمْشِقَ
وَحَاصِرَهَا وَقُتِلَ عَلَى حِصَارِهَا كَانَ مِنْ قَيْسٍ ، وَلَمْ تَزُلْ بَيْنَ قَيْسٍ وَالْيَمَنِ عَدَادَاتٍ
وَحَرَوبٍ ، وَأَخْبَارُ ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ .

وَالسِيفُ يُقَالُ أَهْ يَمَانِي فِي نَسْبَتِهِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَمَرَادُ الْمَقَابِيِّ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ
أَنْ شَبَّابًا مُلْتَقِيَّ قُتْلَ وَفَارِقَ السِيفِ كَفَهُ فَكَانُ النَّاسُ قَالُوا لَسِيفِهِ أَنْتَ يَمَانِي
وَصَاحِبُكَ قَيْسِيٌّ ، وَهُذَا جَانِبُهُ السِيفُ وَفَارِقُهُ ، وَهُذَا مِنَ الْأَطْهَرِ حَسْنَةٌ ، وَهِيَ كَالأُولَى
إِلَّا أَنَّهَا أَدْقَ وَأَغْمَضَ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ أُبَيَّاتٍ يَهْجُو بِهَا شَاعِرًا بِخَاءِ مِنْ جَمِيلَتِهَا قَوْلُهُ :
وَخَاطَطْتُمُ بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ فَجَعَلْتُمُ الشَّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ
وَمِنْهُ فِي هَذَا أَنَّ الشَّعْرَاءَ اسْمٌ صُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَنْعَامُ اسْمٌ
سُورَةٌ أَيْضًا ، وَالشَّعْرَاءُ جَمْ شَاعِرٌ ، وَالْأَنْعَامُ مَا كَانَ مِنَ الْإِبْلِ وَالْبَقَرِ .
وَكَذَلِكَ وَرَدَ بَعْضُ قَوْلِ الْمَرَاقِبِينَ يَهْجُو رَجُلًا كَانَ عَلَى مِذْهَبِ أَحْدَدَ بْنِ حَنْبَلِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ اتَّقَلَ إِلَى مِذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ اتَّقَلَ إِلَى مِذْهَبِ
الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِ الْوَجِيهِ رَسَالَةً وَإِنْ كَانَ لَا تُجْدِي لَدَيْهِ الرَّسَائِلُ

(١) مِنْ قُصْدِتِهِ فِي مَدْحِ كَافُورَ الْإِخْشِيدِيِّ بَعْدَ قُتْلِ شَبَّابِ الْعَقِيلِيِّ بِدِمْشِقَ سَنَةَ ٣٤٨
لَهَا خَرَجَ عَلَيْهِ . (الْدِيْوَانُ ٤/٤٧٢).

كَانَ شَبَّابًا مِنَ الْقَرَامَطِهِ ، وَكَانُوا مِنْ سَيِّفِ الدُّوَلَةِ ، وَتَوَلَّ شَبَّابًا مَعْرَةَ النَّعْمَانِ دَهْرًا
طَوْبِلًا ، ثُمَّ اجْتَمَعَ لِمَبِيهِ جَمِيعًا مِنَ الْعَرَبِ فَوْقَ عَشْرَةِ آلَافِ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَخْرُجَ عَلَى كَافُورَ ،
وَقَصَدَ دِمْشِقَ خَاصِرَهَا ، فَيُقَالُ إِنَّ امْرَأَةَ الْقَتْلِ عَلَيْهِ رَحِيْنَ فَنَزَمَ مِنْ كَانُوا مَعَهُ ،
وَيُقَالُ إِنَّهُ حَدَثَ بِهِ صَرْعٌ مِنَ الْخَرْفِ فَتَرَكَهُ أَصْحَابُهُ وَمَضَوْا فَأَخْذَهُ أَهْلُ دِمْشِقَ وَقَتَلُوهُ .
قَيْسٌ : مِنْ قَيْسِ الْعَدَنَافِيَّةِ . يَمَانِيٌّ : مِنَ الْيَمَانِيَّةِ .

وَكَانَ بَيْنَ حَوْلَاءِ وَأَوْلَئِكَ شَفَاقَ وَتَنَازُعَ وَاخْتِلَافَ ، يَقُولُ : كَانُ رَقَابَ النَّاسِ أَنْجَرَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ سِيفِهِ لِكَثْرَةِ قَطْمَهِ إِيَاهَا ، فَقَاتَلَ لَسِيفِهِ : إِنْ شَبَّابًا الَّذِي يَصَاحِبُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِيٌّ ،
وَالسِيفُ الْجَيْدَةُ تَذَسِّبُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَفَارِقُهُ سِيفُهُ لَا عَرَفَ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُ فِي الْأَصْلِ .

تمذهبت للنهران بعد ابن حنبل وفارقهه إذ أهوزتك الماء كل
وما اخترت رأى الشافعى تديينا ولكنها تهوى الذى منه حاصل
وعما قليل انت لا شرك صائر إلى مالك فاطنان لما أدا فائل

ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضى الله عنه ، ومالك هو خازن
النار ، وهذه مغالطة اطيفية .

ومن أحسن ماتسمى في هذا الباب هو قول أبي العلاء ابن سليمان في الإبل^(١) :
صلب العصا بالضرب قد دمّها بود أن الله قد أفنها
إذا أرادت رشدًا أغواها محمد الله من رقه إياها^(٢)
فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا ، وعلى الضرب في الأرض
وهو السير فيها ، وكذلك دمّها فإنه لفظ مشترك يطلق على شيئاً من أحدهما يقال
دمّاه إذا أسرد دمه ، ودمّاه إذا جعله كالدمية وهي الصورة ، وكذلك لفظ الفنا
فإنه يطلق على عنبر الثعلب ، وعلى إذهب الشيء إذا لم يبق منه بقية ، يقال
أفنها إذا أذهبها ، وأفنها إذا أطعمه الفنا وهو عنبر الثعلب ، والرشد والذوى

(١) يزيد الشاعر الفيلسوف أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَيْمَانَ الْمَوْلَودُ بِالْمَوْرَةِ سَنَةُ ٣٦٣ هـ وَمَتُوفِيٌّ بِهَا سَنَةُ ٤٤٩ .

(٢) أيس البيتان بسقوط الزند ولا بالازوميات وقد جاء ببيان العرب مادة (دمي) :
دمي الراعي الماشية جعلها كالدمي ، وأنشد أبو العلاء :
صلب العصا برعيته دمّها بود أن الله قد أفنها
أى أنه أرعها فسميت حتى صارت كالدمي .

وذكر في مادة (فتى) أن الراجز وصف راعي غنم فقال :
صلب العصا بالضرب قد دمّها يقول ليث الله قد أفنها
وأفنها أى أنيت لها الفنا وهو عنبر الذئب حتى تغزر وتسحق .
وجاء في كتاب العصا لأبي الأسود بن منقذ (نواذر المخطوطات ١٨٨) : « قال الراعي
وصف راعياً :

صلب العصا بضربة دمّها إذا أراد رشدًا أغواها .
والضربة هي السيرة والسفرة ، ودمّها أى تركها كالدمية ، وأغواها أى أرعها .
الفواه وهو ثبت أسمون عليه الإبل » .

نبقان^(٢) يقال أغواه إذا أضله ، وأغواه إذا أطعنه الفوى ، ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبت ، وطلب رشداً إذا طلب المداية ، وبعض الناس يظن هذه الأبيات من باب اللغو ، وليس كذلك لأنها تشتمل على ألفاظ مشتركة ، وذلك معنى ظاهر يستخرج من دلالة المفظ عليه ، واللغز هو الذي يستخرج عن طريق الحزر والخدس ، لا من دلالة المفظ عليه ، وساووضع ذلك إيقادا جليا في النوع الحادى والعشرين ، وهو الذي يقول هذا الباب ، فليؤخذ من هناك .

ويروى في الأخبار الواردة في غزاء بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سارياً بأصحابه يقصد بدرأ ، فلقيهم رجل من العرب فقال : رحم القوم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ماء ، فأخذ ذلك الرجل يفكّر ويقول من ماء من ماء ، ليقنطر أي بطون العرب يقال لها ماء ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم لوجهه ، وكان قصده أن يكتم أمره .

وهذا من المغالطة المشينة ، لأنه يجوز أن يكون المزاد أن خلتهم من ماء . وقد جاءني شيء من ذلك في الكلام المنثور ، فمهما ما كتبته في فصل من كتاب عند دخولي إلى بلاد الروم ، أصف فيه البرد والملاج ، فقلت : « ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدرأ في خلفه ، والدمع في طرفه ، وربما تعدى إلى قلب الخاطر فأجهنه أن يحرى بوصفه ، فالشمس مأسورة ، والنار مقرورة ، والأرض شهباء غير أنها حولية ، ومسيرات الجبال أنها هار غير أنها جامدة لم تخضر » ومكان المغالطة من هذا الكلام في قوله « والأرض شهباء غير أنها حولية لم تُرضن » فإن الشهباء من التخييل يقال فيها حولية أي لها حول ، ويقال إنها مرّوضة أي ذلت للركوب ، وهذه الأرض مضى لثابع عليها حول فهى شهباء حولية ، وقولي لم تُرضن أي لم تسلك بعد .

(٢) لم نجد في المسان ولا القاموس أن الرشد والغواه أو الفوى نوعان من النبات ، وإنما وجدنا أن حب الرشاد نبات وكذلك الغاغة . والشطر الرابع غامض لعل فيه تصحيفاً لم ننتبه إليه .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم فقلت : « ولقد نزلت منه بهلبي الصنف أخْنَقَ الأخلاق^(١) ، ولنيته ذكائِي لم ارَعْ من أَحِبَّ بِلَوْنَةِ الفراق ، ولا كرامة للأهل والوطن حتى أقول إني قد استبدلت به أهلاً ووطناً ، وعهدى بالأيام وهي من الإحسان فاطمة ، فاستولدتها بجواره حُسْنَا » .

وهذه تورية لطيفة ، فإن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن رضي الله عنهما ولدها ، وفاطمة هي اسم فاعل من الفطام ، يقال فَطَمَتْ فهـ فاطمة ، كما يقال فُطِمَ فـ هو فاطـمـ(٢) ، والحسن هو الشـيـء الحسن الأسلوب . ومن هذا الأسلوب ما كتبته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت : « وعهدـي بـقـلـي وـهـوـيـةـكـيـ منـبـيـانـ بـأـسـمـاهـ ، وـتـبـرـزـ أـنـوارـ المعـانـيـ منـظـلـمـانـهـ ، وـقـدـ أـصـبـحـتـ يـدـيـ مـنـهـ وـهـيـ حـمـالـةـ الـحـطـبـ ، وـأـصـبـحـ خـاطـرـيـ أـبـاهـ جـهـلـ بـعـدـ أـنـ كـانـ أـبـاهـ بـهـبـ » .

وهذا أحسن من الأول وأخلب عبارة ، فانظر إليها المتأمل إلى ما فيه من التورية اللطيفة ، إلا ترى أن الخاطر يحمد فيوصف بأنه وقـادـ وـمـلـهـ ، وـيـذـمـ فيوصف بأنه بـإـيدـ وـجـاهـلـ ؟ وـأـبـوـ لـهـ وـأـبـوـ جـهـلـ هـمـ الـرـجـلـانـ الـمـعـرـوـفـانـ ، وكـذـاكـ حـالـةـ الـحـطـبـ هـيـ الـمـرـأـةـ الـمـعـرـوـفـةـ ، وـإـذـاـ ذـمـ الـقـلـمـ قـيـلـ إـنـهـ حـطـبـ ، وـإـنـ صـاحـبـهـ حـاطـبـ ، فـلـمـ قـلـتـ أـنـاـ هـذـاـ الـمـعـانـيـ الـذـيـ قـصـدـتـهـ جـمـتـ بـهـ عـلـىـ حـكـمـ الـمـغـالـطـةـ ، وـوـرـيـتـ فـيـهـ تـورـيـةـ .

والمسالك إلى مثل هذه المعانـي وتصحيح المقصد فيها عسر جداً ، لا جرم أن الإجادـةـ فـيـهـ قـلـيـةـ .

(١) مهلى : نسبة إلى المهاـبـ بنـ أـبـيـ سـفـرـةـ القـائـدـ الـبـاسـلـ الـذـيـ حـارـبـ الـخـواـرـجـ مـرـاتـ ، وـكـانـ كـرـيـعاـ مـدـحاـ . أـخـنـقـ : نسبة إلى الأـخـنـفـ بنـ قـيـسـ عـاشـ إـلـىـ الـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ وـكـانـ مـاهـورـاـ بـالـحـلـمـ وـكـرـمـ الـحـلـقـ .

(٢) فـيـ الـقـامـوسـ الـمـحيـطـ مـاـدـةـ فـطـمـ : ذـاقـةـ فـاطـمـ بـلـغـ حـوارـهـ سـنـةـ . وـأـفـطـمـتـ السـخـلـةـ حـانـ أـنـ تـفـطـمـ ، فـإـذـاـ فـطـمـتـ فـهـيـ فـاطـمـ وـمـفـطـوـمـةـ .

وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجُرْيَى مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ شَخْصٍ بِعَالَى الْأَمْوَارِ وَهُوَ :
 « مِنْ أَبْرَرِ مَسَاعِيهِ أَنَّهُ حَازَ قَفْلَةَ الْمَكْرُومَاتِ وَمَفَاقِحَهَا ، فَإِذَا سُئِلَ مَنْفَقَةً كَانَ
 مَنْفَاعَهَا ، وَإِذَا سُئِلَ مَوْنَهَةً كَانَ مَنْفَاحَهَا ، وَأَحْسَنَ أَنْرَأَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخْذَ بِأَعْنَاءَ
 الْصَّهْبَابِ وَالْأَلَانِ جَحَاحَهَا ، فَإِذَا شَهِدَ حَوْمَةَ حَرْبٍ كَانَ مَنْصُورَهَا ، وَإِذَا لَقِيَ مُهْبَجَةَ
 خَطْبٍ كَانَ مَنْفَاحَهَا » .

وَالْمَغَالَطَةُ فِي هَذَا الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْمَنْصُورِ وَالسَّفَاحِ ، فَإِنَّهُمَا لَقَبُ خَلِيفَتَيْنِ
 مِنْ نَبِيِّ الْعَبَاسِ ، وَالسَّفَاحِ أُولَئِكَ هُمُ الْمَنْصُورُ أَخْوَهُ الَّذِي وَلَى الْخِلَافَةَ مِنْ
 بَعْدِهِ ، وَهُمَا أَيْضًا مِنَ النَّصْرِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ ، وَالسَّفَحُ الَّذِي هُوَ الْإِرَاقَةُ ،
 وَالْمَهْبَجَةُ دَمُ الْقَلْبِ ، ذَكَرْتُ فَكَانَ قَلْتُ هُوَ مَنْصُورٌ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ وَمُرِيقُ الدَّمِ
 الْخَطُوبُ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي هَذَا الْكَلَامِ الْمَنْصُورُ وَالْمَنْصُورُ وَالسَّفَاحُ وَالسَّفَاحُ ،
 وَهَذَا مِنَ الْمَغَالَطَةِ الْمِثْلِيَّةِ لَا مِنَ النَّقْيِضِيَّةِ ، وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَحْسَنِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُهُ فِي كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ فَقُلْتُ : « وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ
 ذَلِكَ الْأَنْسُ بَقْرَبِهِ يُعَقِّبُ اِبْحَاثَاهُ ، وَأَنَّ تَلْكَ النَّهَلَةَ مِنْ لَقَائِهِ تَجْعَلُ الْأَكْبَادَ عَطَاشًا ،
 فَإِنْ شَيْءَ الدَّهْرُ أَنْ يُبَدِّلَ الصَّفْوُ كَدَرًا وَبِوَسْعِ أَيَّامِ عَقْوَهُ طَوْلًا ، وَأَيَّامِ بَرَهُ قَصْرًا ،
 وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ شَعَرَ بِتَلْكَ الْمَسَرَّةِ الْمَسَرَّةِ فَأَقْفَامُ عَلَيْهَا حَدَّ الْقَطْعِ ، وَرَأْيُ الْعِيشِ
 فِيهَا خَفَاضًا فَأَزَّ الْهَ بِعَامِلِ الرُّوفِمِ » .

وَالْمَغَالَطَةُ فِي هَذَا الْكَلَامِ هِي فِي ذِكْرِ الْخَفَاضِ وَالرُّوفِمِ ، فَإِنَّ الْخَفَاضَ هُوَ سَمَةُ
 الْعِيشِ ، وَالْخَفَاضُ هُوَ أَحَدُ الْعِوَالِمِ النَّحْوِيَّةِ ، وَالرُّوفِمُ هُوَ مِنْ قَوْلَنَا رَفَعَتِ الشَّيْءُ
 إِذَا أَزَّتْهُ ، وَالرُّوفِمُ هُوَ أَحَدُ الْعِوَالِمِ النَّحْوِيَّةِ أَيْضًا ، وَهَذَا مِنَ الْمَغَالَطَاتِ الْخَفَافِيَّةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُهُ فِي فَصْلِ أَصْفَ فِيهِ الْحُمَىٰ وَكَفْتَ إِذْ ذَلِكَ بِحَصْنِ سَمِيَّاتِ طَهَّ
 وَهُوَ بَلَدُ مِنْ بَلَادِ الْأَرْمَنِ ، فَقُلْتُ : « وَمِمَّا أَكْرَهَ فِي حَالِ الْمَرْضِ بِهَذِهِ الْأَرْضِ
 أَنَّ الْحُمَىٰ حَيْمَتْ بِهَا فَأَسْتَقْرَتْ . وَلَمْ تَقْنَعْ بِأَهْلِهَا حَتَّىٰ سَرَّتْ إِلَى تَرْبَتِهَا ، فَتَرَى

وقد أخذتها النافض^(١) فاقصرت ، ولم يُشكل أمرها إلا لأنها حمى أزماتية مُستعجِّلة للسان ، وقد تشبه الأمراض وأهل بلادها في الإيمان ، وإذا كانت الحمى كافرة لم تزل المسلم حرّياً ، وشــكــائــها لا تسمــى شــكــاة ، وإنما تسمــى طعــنا وضرــبا ، وهذه صارت الأدوية في علاجها ليست بأدوية ، وأصبحت أيام نحرــها في الناس غير مبدأة ب أيام تزوــية ، وليس موسمها في فصل معلوم بل كل فصول العام من موسمها ، ولو كانت تبدــتها أصــيبــين أو مــيــا فــارــقــين بكتاب لترجمته بعدها و خــادــمــها .

والغالطة هنا في قوله : وأصبحت أيام نحرــها في الناس مبــداة ب أيام تزوــية ، والمراد بذلك أنها تــقــبــل بــغــة من غير تــرــؤــي من غير تــلــبــث ، ويوم النحر هو يوم عيد الأضحى ، وقبله يوم بــســمــي يوم التزوــية ، فالمغالطة حصلت بين نحر الحمى لفاس ونحر الضحايا ، إلا أن يوم النحر مبــداة يوم تزوــية ، ولا خفاء بما في هذه المغالطة من الحسن واللطافة .

ولما القسم الآخر وهو النفيض فإنه أقل استعمالاً من القسم الذي قبله ، لأنــه لا يتــهــيــا اــســعــالــهــ كــثــيرــا .

فنــجــلهــ ما وردــ شــعــراً لــعــفــهمــ دــهــوــ قــوــلــهــ :

وَمَا أَشْــيــاءٌ إِذْ تَــشــرــبــهــا بــمــالــِ فــإــنْ نــفــقــتــ فــا كــســدــ مــا تــكــوــنــ

يقال نــفــقــتــ الســلــعــةــ إــذــا رــاجــتــ وــكــانــ لــهــ ســوــقــ ، وــنــفــقــتــ الدــابــةــ إــذــا مــاـتــ ، وــمــوــضــعــ الــمــنــافــضــ هــاـهــاـ فــيــ قــوــلــهــ إــنــهــ إــذــا نــفــقــتــ كــســدــتــ ، بــخــاءــ بــالــشــيــ وــنــفــيــضــهــ ، وــجــعــلــ هــذــا ســبــيــاـ لــهــذاـ ، وــذــلــكــ مــنــ الــمــغــالــطــةــ الــحــســنةــ .

وــمــنــ ذــلــكــ مــاـ كــتــبــهــ فــيــ جــلــةــ كــتــابــ إــلــىــ دــيــوــانــ الــخــلــافــةــ يــتــضــمــنــ فــتوــحــ بــلــدــ مــنــ

(١) النافض : حمى الرعدة مذكور . يقال أخذته حمى بنافض وهي نافض ، ونففته الحمى فهو منفوض .

بِلَاد الْكُفَّارِ، فَقُلْتَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ: وَقَدْ ارْتَادَ النَّادِمَ مِنْ يُجَلِّعُهُ مُشَارِبَ
هَذَا الْوَقَاعُونَ الَّتِي اخْتَصَرَهَا، وَيَمْثُلُ صُورَهَا لِمَنْ غَابَ عَنْهَا كَمَثَلَتْ لِمَنْ حَضَرَهَا،
وَيَكُونُ مَكَانَهُ مِنَ النَّبَاهَةِ كَمَا كَمَكَانَهَا، وَهِيَ عَرَائِسُ الْمَسَاعِيِّ، فَأَحْسَنَ
النَّاسَ بِيَادِهِ مَوْهِلٌ لِإِبْدَاعِ حِسَابِهِ، وَالسَّارِبُ بِهَا فِلَانٌ، وَهُوَ رَاوِيُّ أَخْبَارِ نَصَرَهَا،
الَّتِي صِحَّتْهَا فِي تَجْرِيْجِ الرَّجَالِ، وَعَوَالٍ إِسْنَادَهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ طَرْفِ الْعَوَالِ، وَاللَّيَالِي
وَالْأَيَامُ لَهَا رُوَاةُهُ، فَهَا الظَّنُّ بِرِوَايَةِ الْأَيَامِ وَاللَّيَالِي » ،

فِي هَذَا الْفَصْلِ مَغَالِطَةً نَقِيَّضِيَّةً وَمَغَالِطَةً مَثَلِيَّةً، أَمَّا الْمَغَالِطَةُ الْمَثَلِيَّةُ فَهِيَ فِي قَوْلِي
« وَعَوَالٍ إِسْنَادَهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ طَرْفِ الْعَوَالِ » وَقَدْ تَقْدِيمَ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا وَمَا
يَبْرُرُ بَحْرَاهُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ، وَأَمَّا الْمَغَالِطَةُ النَّقِيَّضِيَّةُ فَهِيَ قَوْلِي : « وَهُوَ رَاوِيُّ
أَخْبَارِ نَصَرَهَا الَّتِي صَحَّتْهَا فِي تَجْرِيْجِ الرَّجَالِ » وَمَوْضِعُ الْمَغَالِطَةِ مِنْهُ أَنَّهُ يَقَالُ فِي رِوَايَةِ
الْأَخْبَارِ فِلَانٌ عَدْلٌ صَحِيْحُ الرِّوَايَةِ، وَفِلَانٌ مَحْرُوحٌ أَيْ صَفِيقُ الرِّوَايَةِ، غَيْرُ مَوْثُوقٍ
بِهِ، فَأَنْتَ بِهِذَا الْمَعْنَى عَلَى وَجْهِ النَّقِيَّضِ، فَقُلْتَ صَحَّةُ أَخْبَارِ هَذِهِ الْفَتوْحَ فِي تَجْرِيْجِ
الرَّجَالِ أَيْ تَجْرِيْجُهُمْ فِي الْحَرْبِ، وَفِي هَذَا مِنَ الْحَسْنَ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ .
وَقَدْ أُورِدَتْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْثَالُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَقْنَعٌ .

فَإِنْ قِيلَ إِنَّ الْفَرْبَ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ هُوَ التَّجَنِّبُ الَّذِي لَفَظَهُ وَاحِدٌ
وَمَعْنَاهُ مُخْتَلِفٌ كَالْمُثَالِ الَّذِي مُثَلَّهُ، وَفِي قَوْلِ أَبِي الطَّيْبِ ثَعْلَبٍ وَوَجَارٍ، فَإِنَّ
الثَّعْلَبَ هُوَ الْحَيْوَانُ الْمَعْرُوفُ وَهُوَ أَيْضًا طَرْفُ الْمَنَانِ، وَكَذَلِكَ باقِي الْأَمْثَالِ،
قُلْتَ فِي الجَوابِ إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذِينَ النَّوْعَيْنِ ظَاهِرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّجَنِّبَ يَذَكُرُ
فِيهِ الْلَّفْظُ الْوَاحِدُ مِرْقَبِيْنِ، فَهُوَ يَسْقُوْيُ فِي الصُّورَةِ وَيَخْتَلِفُ فِي الْمَعْنَى، كَمَا يَقُولُ
أَبِي تَمَّامٍ :

بِكُلِّ فَتَّى ضَرَبَ يُعَرِّضُ لِلْقَنَا مُحْيَا مُحْلَى حَلِيمُ الطَّاعُونُ وَالضَّرَبُ^(٦)

(١) مِنْ قُصْدِيَّتِهِ فِي مَدِيْحَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ مُزِيدِ الشَّيْبَانِي (الْدِيْوَانُ ١/١٩٩) .

الْمُحْيَا : الْوَجْهُ .

فالغُرْبُ الرجل الخفيف ، والغُرْبُ هو الغرب بالسيف في القتال ، فاللفظ
لامد من ذكره مرتين و المعني فيه مختلف ، والمغالطة ليست كذلك ، بل يذكر
فيها اللفظ مرة واحدة ، و يُذَكَّرُ به على منهله وليس بعد ذكره .

النوع الحادى والمشرون

في الأجاجى

وهي الأغالوط من الكلام ، وتسمى الألغاز جمع لغز^(١) ، وهو الطريق
الذى ياتقى وبشكل على سالكه ، وقيل جمع لغز بفتح اللام وهو ميلك بالشىء
عن وجهه ، وقد يسمى هذا النوع أيضاً المعنى ، وهو يشتبه بالكلنائية قارة
وبالتعرىض أخرى ، ويشتبه أيضاً بالمغالطات المعنوية ، ووقد في ذلك عامة أرباب
هذا الفن ، فمن ذلك أن أبا الفرج الأصفهانى ذكر بيته الأفقيشر الأسدى في
في جملة الألغاز وها :

ولقد أروح بشرف ذى مئية عمر المكراة ماوه يتفصى
مرح يطير من المراح لهايه^(٢) ويكاد جلد إهابه يتفقد

وهذان البيتان من باب الكلنائية ، لأنهما يحملان على الفرس وعلى المضوا
المخصوص ، وإذا حمل اللفظ على الحقيقة والمحاجز فكيف يعدل من جملة الألغاز ؟
وكذلك فعل الحريرى في مقاماته فإنه ذكر في الأجاجى التي جعلها على حكم
الفتاوی كنائية ومغالطة معنوية ، وظن أنهما من الأجاجى المُلْغِرَة ، كقوله :

(١) اللفظ على وزن نهر وهي وزن قفل وبضم اللام والفين معًا ، وبتحريكهما ، وبضم اللام وفتح الفين : الميل بالشىء عن وجهه (قاموس الحيط)

(٢) البيتان في الأغانى للأفقيشر الأسدى لا الأقويس كما في الأصل ، هكذا :

ولقد أروح بشرف ذى شمرة عمر المكراة ماوه يتفصى
مرح يطير من المراح لهايه ويكاد جلدته به تتفقد

(الأغانى ١٠ / ٨٢) طبعة القدم . والصواب يتفصى بالفاء لا بالقاف . وسبق قد

شرحهما .

« أَبْحَلُ لِأَصْنَمْ أَنْ يَأْكُلْ نَهَارًا »^(١) والنَّهَارُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُشَتَّرَةِ بَيْنَ النَّهَارِ
الَّذِي هُوَ ضَدُّ الدَّيْمَ وَبَيْنَ فَرْخَ الْحَبَّارَى فَإِنَّهُ يُسْعَى نَهَارًا، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ
الْمُشَتَّرَةِ حَسَرَ مِنْ بَابِ الْمَغَالِطَاتِ الْمُعْنَوِيَّةِ لَا مِنْ بَابِ الْأَحْاجِيِّ، وَالْأَلْفَاظُ شَيْءٌ
مَذْفُولٌ عَنْ ذَلِكَ كَلَمٍ، وَلَوْ كَانَ مِنْ جُمْلَتِهِ لِمَا قَبِيلَ لِغَزْ وَأَحْجِيَّةٍ، وَلَمَّا قَبِيلَ كُنْيَةٌ
وَتَعْرِيْضٌ، وَمِنْهُ مَا يَطْلُقُ عَلَيْهِ الْمَغَالِطَةُ، وَمِنْهُ شَيْءٌ آخَرُ خَارِجٌ عَنْ ذَلِكَ بُجُولٍ
لِغَزْ وَأَحْجِيَّةٍ.

وَكَفَتْ قَدْمَتْ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْكُنْيَةَ هِيَ الْأَفْظُرُ الدَّالُ عَلَى جَانِبِ الْحَقِيقَةِ وَعَلَى
جَانِبِ الْمَبَازِ، فَهُوَ يَحْمَلُ عَلَيْهِمَا مَعَمًا، وَأَنَّ التَّعْرِيْضَ هُوَ مَا يَنْفَهُمْ مِنْ عُرْضِ
الْأَفْظُرِ لَا مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَيْهِ حَقِيقَةٌ وَلَا مَبَازًا، وَأَنَّ الْمَغَالِطَةَ هِيَ الَّتِي تَطْلُقُ وَبِرَادِهَا
شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا دَلَالَةُ الْأَفْظُرِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ بِالْأَشْتِراكِ الْوَضْعِيِّ، وَالآخَرُ دَلَالَةُ الْأَفْظُرِ
عَلَى الْمَعْنَى وَنَفْيِهِ، وَأَمَّا الْغَزْ وَالْأَحْجِيَّةُ فَلِمَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كُلُّ مَعْنَى
يَسْتَخْرُجُ بِالْمَدْسُ وَالْأَلْحَزْرُ لَا بِدَلَالَةِ الْأَفْظُرِ عَلَيْهِ حَقِيقَةٌ وَمَبَازًا، وَلَا يَنْفَهُمْ مِنْ عُرْضِهِ،
لَأَنَّ قَوْلَ الْقَافِلِ فِي الْفَرْسِ :

وَصَاحِبِ لَا أَمْلَ الْدَّهْرَ صُحْبَتَهُ . يَشْكُ لَفْغَيِ وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدٍ
مَا إِنْ رَأَيْتَ لَهُ شَمْخَصًا فَذَ وَقْتَ . عَيْنِي عَلَيْهِ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الْأَبْدَ

لَا يَدْلِ عَلَى أَنَّهُ الْفَرْسُ لَا مِنْ طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَلَا مِنْ طَرِيقِ الْمَبَازِ وَلَا مِنْ

(١) لِلْقَامَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ، فِيهَا مِائَةُ مِسَائِلَةٍ فَقِيهِيَّةٌ مَلْفُوزَةٌ، مِنْهَا : أَبْحَلُ لِلْمَعْذُورِ
أَنْ يَفْطَرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، قَالَ : مَا رَخْصَ فِيهِ إِلَّا لِأَصْبَارِيَانِ . قَالَ : فَهَلْ لِلْمَعْرُسِ أَنْ يَأْكُلْ
فِيهِ، قَالَ : نَعَمْ بَعْلَهُ فِيهِ . الْمَعْذُورُ : الْمُقْبَدُرُ أَنَّ الْمَعْذُورَ مِنْ أَصَابِهِ عَذْرٌ يَحْلِلُ لَهُ الْفَطَرُ وَهُوَ
أَيْضًا الْمُخْتَونُ فَلَا يَسْوَغُ لَهُ الْفَطَرُ، وَهَذَا تَوْرِيْهُ . الْمَعْرُسُ : مَنْ دَخَلَ بَعْرَسَهُ، وَهُوَ لَا يَحْمُوزُ
لَهُ أَنْ يَفْطَرَ، وَهُوَ أَيْضًا الْمَسَافِرُ الَّذِي يَنْزَلُ فِي آخِرِ لِيَلَّةٍ لِيَسْتَرِيعُ ثُمَّ يَرْتَحِلُ، وَهُوَ مِنْ يَبْاحِ
لَهُمُ الْفَطَرِ .

طريق المفهوم ، وإنما هو شيء يُخْدِسُ وُيُحَرِّزُ ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عنورها عليه .

فإن قيل إن اللغو يُعرف من طريق المفهوم ، وهذا البستان يعلم معناها بالمفهوم .

قلت في الجواب : إن الذي يعلم بالمفهوم إنما هو التهريض ، كقول القائل إن لغير وإن لحتاج ، فإن هذا القول لا يدل على المسألة والطلب لا حقيقة ولا مجازا ، وإنما ^{فهم} منه أن صاحبه متعرض للطلب ، وهذا البستان ليس كذلك ، فإنهما لا يشتملان على ما يفهم منه شيء إلا بالخدس والحرز لا غير ، وكذلك كل لغو من الألغاز .

وإذا ثبت هذا فاعلم أن هذا الباب الذي هو اللغو والأنجذبية والمعنى يتبع أنواعا :

فمنه المصحف ، ومنه المعكوس ، ومنه ما ينقل إلى اللغات غير العربية ، كقول القائل أسمى إذا صفت بالفارسية آخر ، وهذا اسمه اسم تركي ، وهو ذكر بالدال المهملة والنون ، وآخر بالفارسية ذكر بالدال المهملة والياء المجمعة بـثنتين من تحت ، وإذا صفت هذه الكلمة صارت ذكر بالنون ، فانقلب الياء نونا بالتصحيف ، وهذا غير مفهوم إلا لبعض الناس دون بعض .

وإنما وضع واستعمل لأنه مما يشحد القرحة ويُحدِّ الخاطر ، لأنه يشتمل على معانٍ دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والسلوك في معاريف خفية من الفكر ، وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلا ، ثم جاء المحدثون فأكثروا منه ، وربما أتي منه بما يكون حسنا وعليه مسوقة من البلاغة ، وذلك عندي بينَ ، فلا أعده من الأحاديث ولا أعده من فصيح الكلام .

فهذا جاء منه قول بعضهم :

قد سقيت آباهم بالفار وفار قد تشفي من الأوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الإبل ذورو وجاهة وتقديم ولم يُؤْسِم معلوم ، فلما وردت إليناهم الماء عرَفت بذلك الوَسْم ، فأفْرَجَ لها الناس حتى شربت ، وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بـالثَّيْ وضده ، وجعل أحدهما سبباً للأَخْرَ ، فصار فريباً عجيبة ، وذلك أنه قال سُقْبَت بالذار ، وقال إن الفار نَشَفَ من الأوار ، وهو الفطاش ، وهذا من محسن ما يأتى في هذا الباب .

ومن يجري على هذا النهج قول أبي نواس في شعر الكرم :

لَهَجَمَهُ لَا يُدْرِكُ الذَّئْبُ سَخْلَهَا لَا رَاءَهَا تَزُوُّ الْفِحَالَةُ وَالْخَطَرُ
إِذَا امْتَحِنَتْ الْوَانِهَا مَالْ صَفْوَهَا إِلَى الْخَوْءِ إِلَّا أَنْ أَوْمَارَهَا خَضْرٌ^(١)

ومن هذا القبيل قول بعضهم :

سَبْعُ رَوَاحِلُ مَا يُنْهَنُ مِنَ الْوَنَأِ شَيْمٌ تُسَاقُ بِسَبَبَةٍ زُهْرٌ
مَتْوَاصِلَاتٌ لَا الدَّوْبُ يُعْلِمُهَا باقٌ تَعَاقِبُهُمْ إِلَى الدَّهْر^(٢)

هذا البيتان يتضمنان وصف أيام لزمان ولبياته وهي الأسبوع ، فإن الزمان
عبارة عنه ، وذلك من الأنماز الواقعة في موقعها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي في السفن من جملة قصيدة
التي مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره الفرات وهي :

(رأى قبل شجاعة الشجعان) فقال :

(١) الديوان ١٠٢ وفي الأصل لا يدرى بدلاً من لا يدرك ، وغض بدلاً من تزو .
المجمدة : القدح العظيم الضخم . السخل : جم سخلة وهي ولد الشاة . تزو : وتب . الفحالة :
جم الفحل . الخطر : الإبل الكثيرة . المو : الذي في القاموس المو سواد إلى خضراء أو حمراء
إلى سواد . والمو جم أحمر وحمراء وهو النبات الضارب إلى سواد لشدة خضرته أو الأحر
إلى سواد .

(٢) شيم : جم أشيم وشيماء وهو الذي به علامة .

وَحَشَاءُ عَادِيَةً بَغْيَرْ قَوَافِيمْ عَقْمَ الْبُطُونِ حَوَالَكَ الْأَلْوَانِ
تَأْنِي بِمَا سَبَّتَ الْحَيْوَلُ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَابِضُ الْغَزَلَانِ^(١)
وَهَذَا حَسْنٌ فِي بَاهِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بِعِصْمِهِمْ فِي حَجَرِ الْمَهَكَّ :
وَمُدْرِعٌ مِنْ صِبْغَةِ الْأَيْلِ بُرْدَهُ يُفَوْفُفُ طَوْرًا بِالْأَضَارِ وَيُطَلَّسُ
إِذَا سُلُوكَهُ عَوْرَيْصَيْنِ أَشْكَلًا أَجَابَ بِمَا أَعْيَاهَا الْوَرَى وَهُوَ أَخْرَسُ
وَهَذَا مِنَ الْأَطْافَةِ عَلَى مَا يَشْهِدُ لِنَفْسِهِ ، وَكَانَ سَمِعَهُ بَعْضُ الْمُؤْخَرِينَ مِنْ أَهْلِ
زَمَانِهِ فَأَجَابَ عَنْهُ بِبِيَّنَتٍ عَلَى وَزْنِهِ وَقَافِيَّتِهِ وَهُمَا :
سُوَالِكَ جَلْهُودٌ مِنَ الصَّخْرِ أَسْوَدٌ خَفِيفٌ لَطِيفٌ ذَاعِمٌ الْجَسْمُ أَطْلَسُ
أَقِيمٌ بِسُوقِ الْصُّرْفِ حُكْمًا كَمَا كَانَهُ مِنَ الْأَزْنِجِ قَاصِ بِالْخَلُوقِ مُطَلَّسُ
وَقَدْ رَأَيْتَ هَذَا الشَّاعِرَ وَهُوَ حَائِكٌ بِحَزَرَةِ ابْنِ عَمِّهِ ، وَلَيْسَ عَذْدَهُ مِنْ أَسْبَابِ
الْأَدْبِ شَيْءٌ مُوْيٌ أَنَّهُ قَدْ أَصَاحَ لِسَانَهُ بِطَرْفِ بَسِيرٍ مِنْ عِلْمِ النَّحْوِ لَا غَيْرَ ، وَهُوَ
مِنْ ذَلِكَ يَقُولُ الشِّعْرَ طَبِيعًا ، وَكَانَ يُحِمِّدُ فِي الْكَثِيرِ مِنْهُ .

وَمِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَرِدُ عَلَى حُكْمِ الْمَسَائلِ الْفَقِيهَةِ ، كَالَّذِي أُورَدَهُ الْخَرِبَرِيُّ فِي
مَقَامَاتِهِ^(٢) . وَكَفَتْ مَسْلَتُهُ عَنْ مَسَأَلَةِ مِنْهُ وَهِيَ :

(١) مِنْ تَصْيِيدَةِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدُّولَةِ (الْدِيْوَانُ ٤/٣٨٩) حَشَاءُ : الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى
الْمَاءِ . هَادِيَةُ : رَاكِضَةُ . هَقْمُ : جَمْعُ هَقْمٍ وَهُوَ الَّذِي لَا يَلْدُ . يَقُولُ إِنَّ سَيْفَ الدُّولَةِ حَشَاءُ
مَاءِ النَّهْرِ سَفَنَا نَعْدُو وَلَا قَوَافِيمْ لَهَا ، وَهِيَ عَقْمٌ لَا تَلِدُ ، وَأَلْوَانُهَا سُوْدٌ لَأَنَّهَا مَطَلِّيَّةٌ بِالْقَارِ ،
شَبِيهُهَا بِالْحَمِيلِ الْعَادِيَةِ ، وَالْحَمِيلُ مِنْ هَادِهَا أَنَّ تَذَبَّجُ ، وَلَهَا قَوَافِيمْ ، وَهَذِهِ السَّفَنُ تَحْمِلُ النَّسَاءَ
اللَّاتِي سَبَاهُنَّ الْفَرَسَانَ ، وَكَأَنَّهُنْ غَزَلَانَ وَالسَّفَنَ مَرَابِضُ لَهَا . (٢) يَفَوْفُفُ : يَزْخُرُ .
رَجَحْنَا (صِبْغَةً) بِدَلَامَنْ صَنْعَةً .

(٢) الْمَقَامَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ بِهَا مَائَةُ مَسَأَلَةٍ فَقِيهَيَّةٌ مَلْغَزَةٌ ، وَهُنَاكَ مَقَامَاتٌ غَيْرُهَا فِيهَا
أَلْفَاظُ شَتَّى مِنَ النَّحْوِ وَغَيْرِهِ .

ولي خالةٌ وأنا خالها ولی عمٌ وأنا شقيقها
 فاما التي أنا عم لها فإن أبي أمها أمها
 أبوها أخي وأخوها أبي ولی خالة هكذا حكمها
 فلين الفقيه الذي عنده فنون الدرایة أو علّمها
 يُبین لنا نسباً خالصاً ويكشف للفس ما فيها
 فلسنا محوساً ولا مشركيـن شريعة أحمد أنتـها

وهذه المسألة كتبت إلى فتاواها تأمل غير مراجـج في الفكر ، ولم ألبـث
 أن انكشف لي ما نجحتـها من اللـفـز ، وهو أنـ الخـالـةـ التيـ الرـجـلـ خـالـهاـ تصـورـ علىـ
 هـذـهـ الصـورـةـ ، وـذـاكـ أـنـ رـجـلاـ زـوـجـ اـمـرـاتـينـ اـسـمـ إـحـدـهـاـ عـائـشـةـ وـاسـمـ الـأـخـرىـ
 فـاطـمـةـ ، فـأـوـلـدـ عـائـشـةـ بـنـقـاـ وـأـوـلـدـ فـاطـمـةـ اـبـنـاـ ، ثـمـ زـوـجـ بـنـتـهـ مـنـ أـبـىـ اـمـرـأـهـ فـاطـمـةـ ،
 فـجـاءـتـ بـيـنـتـ ، فـنـلـكـ الـبـنـتـ هـيـ خـالـةـ اـبـنـهـ ، وـهـوـ خـالـهاـ ، لـأـنـهـ أـخـوـ أـمـهـ.

وـأـمـاـ الـعـمـةـ الـتـيـ هـوـ عـهـاـ فـصـورـتـهـانـ رـجـلاـهـ وـلـدـ وـلـوـلـدـهـ أـخـ منـ أـمـهـ فـزـوجـ
 أـخـاهـ مـنـ أـمـهـ أـبـيهـ فـجـاءـتـ بـيـنـتـ ، فـنـلـكـ الـبـنـتـ هـيـ عـمـهـ ، لـأـنـهـ أـخـتـ أـبـيهـ ،
 وـهـوـ عـمـهـ لـأـنـهـ أـخـوـ أـبـيهـ .

وـأـمـاـ قـوـلـهـ ولـيـ خـالـةـ هـكـذـاـ حـكـمـهـ ، فـهـوـ أـنـ تـكـوـنـ أـمـهـ أـخـةـ ، وـأـخـتـهـ أـمـهـ
 كـماـ قـلـ أـبـوهـاـ أـخـيـ وـأـخـوـهـ أـبـىـ ، وـصـورـتـهـاـ أـنـ رـجـلاـهـ وـلـدـ وـلـوـلـدـهـ أـخـتـ منـ
 أـمـهـ فـزـوجـهـاـ مـنـ أـبـىـ أـمـهـ ، فـجـاءـتـ بـيـنـتـ ، فـأـخـتـهـ أـمـهـ وـأـمـهـ أـخـتهـ .

وـأـحـسـنـ مـنـ ذـاكـ كـلـهـ وـأـطـافـ وـأـحـلـ قولـ بـعـضـهـمـ فـيـ الـخـلـعـخـالـ :

ومـفـرـوبـ بلاـ جـرـمـ مـلـيـحـ الـلـوـنـ مـعـشـوقـ
 لـهـ قـدـ الـبـلـالـ عـلـيـ مـلـيـحـ الـقـدـ مـعـشـوقـ
 وـأـكـثـرـ مـاـ يـرـكـيـ أـبـداـ عـلـيـ الـأـمـشـاطـ فـيـ الـشـوـقـ

وبلغني أن بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال : قد دخلت السوق فرأيت على الأمشاط شيئاً ، وظن أنها الأمشاط التي يُرَجَّل بها الشعر ، وأن السوق سوق البيع والشراء .

واعلم أنه قد يأتي من هذا النوع ما هو ضروب وألوان ، فمنه الحَسَنُ الذي أوردت شيئاً منه كما تراه ، ومنه المَوْسِطُ الذي هو دونه في الدرجة ، فلا يوصف بـ **الحسنٍ ولا القبح** ، كقول بعضهم :

**دَاهَتْ رَكَابُهُمْ وَفِي أَكْوَارِهَا أَلْفَانٌ مِنْ عُمْ الْأَقْيَلِ الْوَاعِدِ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِأَزْكَبِ حَمَّلتْ حَدَائِقَ كَالظَّلَامِ الرَّاسِكَدِ**^(١)

وهذا يصف قوماً وفدوا على ملك من الملوك ، فأعطوا لهم نخلا ، وكتب لهم بها كتاباً ، والأَقْيَلُ الموضع الذي كتب لهم إليه ، والعُمُ العظام الرؤوس من النخيل ، والواعد الأقذاء^(٢) من النخيل ، فلما حلو الكتاب في أكوافهم حلوا النخل ، وهذا من متوسط الألفاظ .

وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج إلا بسائل الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من الفوضى الداخلي أو الفوضى الخارج والبياض والحرقة وغيرها ، وأثنان كان معناه دقيقاً يدل على فرط الذكاء فإن لا أعده من اللغة العربية ، فضلاً عن أن يوصف بصفات الكلام المحمودة ، ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم وغيرها من اللغات في عدم الفهم .

وأما ما ورد من الألفاظ نثراً فقد ألغى الحريري في مقاماته ألفاظاً ضمنها ذكر

(١) كان البيت الثاني (ما إن رأيت ولا بأركب هكذا) فرجحنا تصديقه ليستقيم المعنى ، وأغلبظن أن كلمة (هكذا) مفعمة لما وجد الناسخ أن في الشطر كلمة ناقصة (ما إن رأيت ولا سمعت) فلما لم يجد كلمة (بأركب) كتب : هكذا .

(٢) جم قنو بكسر القاف وضمها الكباشة

الإبرة والمرّود وذكر الدينار وهي أشهر كما يقال من « قفنا نبك »^(١) فلا حاجة إلى إيرادها في كتابي هذا .

وقد ورد من الألغاز في كلام العرب المأثور ، غير أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد في أشعارها .

وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجده فيه شيئاً منها ، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئاً ، لأنه لا يستنبط بالخصوص والخُرُز كما تستنبط الألغاز ،

وأما ما ورد للعرب فيروي عن أمرىء القيس وزوجته عدّة من الألغاز ، وذلك أنه سألهما قبل أن يتزوجها فقال : ما اثنان وأربعة وثمانية ؟ فقالت : أما الاثنان فتمديا المرأة ، وأما الأربع فأختلفن الفاقة ، وأما الثانية فأطبياء الكلبة ، ثم إنها تزوجها وأرسل إليها هدية على يد عبد الله ، وهي حلة من عصب^(٢) اليمين وتحنى من عسل ، وتحنى من سمن ، فنزل العبد ببعض المياه واسح الحلة فعلى طرفها بسمة^(٣) فانشق ، وفتح النحيفين وأطعم أهل الماء ، ثم قدم على المرأة وأهلاها خلوف^(٤) ، فسأل عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها الهدية ، فقالت له : أعلم مولاك أن أى ذهب يُقرب بعيداً ويُبعد قريباً ، وأن أى ذهب تشق النفس نسمين ، وأن أخي يرقب الشمس ، وأخبره أن سماءكم انشقت ، وأن وعاء يكم نصيباً .

وأداد العبد إلى أمرىء القيس وأخبره بما قالته له ، فقال : أما أبوها فإنه ذهب يمحالف قوماً على قومه ، وأما أمها فإنها ذهبت تقبل^(٥) امرأة ، وأما أخوها فإنه في سرّاج يرعاه إلى أن تغرب الشمس ، وأما قولها إن سماءكم انشقت فإن

(١) مشهورة كقصيدة امرىء القيس التي مطلعها « قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

(٢) المصب : ضرب من البرود . النحى : زق السمن .

(٣) الشمرة : شجرة شائكة جسمها سمر .

(٤) خلوف : غائبون عن الحى .

(٥) تقبل على وزن تعلم : أى تلقى الولد عند الولادة .

الحَلَةِ اشْفَتَ ، وَأَمَا قُولُهَا إِنْ وَعَاهُ يَكُمْ أَنْصِبَا فَإِنَّ الْمُجْرِمِينَ نَقْصَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْعَبْدِ : أَصْدُقْنِي ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي نَزَلتُ بِمَاءٍ مِّنْ مِوَاهِ الْعَرَبِ وَفَمَاتَ كَذَا وَكَذَا . فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ قَدْ وَرَدَ عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّهُ يُسَيِّرُ .

وَكَذَلِكَ يَرْوِي عَنْ شَنَّ بْنِ أَنْفَصٍ وَكَانَ أَلْزَمَ نَفْسَهُ أَلَا يَتَزَوَّجُ إِلَّا امْرَأَةً تَلَامِعُهُ ، فَصَاحِبُهُ رَجُلٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَلَمَّا أَخْذَ مِنْهُمَا السَّيْرَ قَالَ شَنَّ : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا جَاهِلُ ! هَلْ يَحْمِلُ الرَّاكِبُ رَبِّكَ بِإِيمَانِكَ عَنْهُ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَيَا عَلَى زَرْعٍ ، فَقَالَ شَنَّ : أَتَرَى هَذَا الزَّرْعُ قَدْ أَكَلَ ؟ فَقَالَ لَهُ يَا جَاهِلُ : أَمَا تَرَاهُ فِي سَبِيلِهِ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

ثُمَّ سَارَا ، فَأَسْتَأْتَهُمَا جَنَازَةً ، فَقَالَ شَنَّ أَتَرَى صَاحِبَهَا حَيّاً ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

مَا رَأَيْتُ أَجْهَلَ مِنْكَ ، أَتْرَاهُمْ حَلَوْا إِلَى الْقَبْرِ حَيّاً ؟

ثُمَّ اتَّهَمَا وَصَلَا إِلَى قَرِيَةِ الرَّجُلِ فَسَارَ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ ، وَكَانَ لَهُ بَنْتٌ فَأَخْذَهُ يُطْرُدُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ ، فَقَالَتْ مَا نَطَقَ إِلَّا بِالصَّوَابِ ، وَلَا اسْتَفَهُمُ إِلَّا عَمَّا يُسْتَفَهُمُ عَنْ مَثْلِهِ . أَمَا قَوْلُهُ : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْحَدَنِي أَمْ أَحْدَنَكَ حَتَّى تَقْطَعَ الطَّرِيقُ بِالْحَدِيثِ .

وَأَمَا قَوْلُهُ أَتَرَى هَذَا الزَّرْعُ قَدْ أَكَلَ ، فَإِنَّهُ أَرَادَ هُنْكَلَ اسْتِغْافَةً رَبِّهِ ثُمَّهُ أَمْ لَا ؟ وَأَمَا اسْتِفَاهَهُ عَنْ صَاحِبِ الْجَنَازَةِ فَإِنَّهُ أَرَادَ هُنْكَلَ خَلْفَ لَهُ عَقِيبَةً يَحْيَا بِذَكْرِهِ أَمْ لَا . فَلَمَّا سَمِعْ كَلَامَ ابْنِهِ خَرَجَ إِلَى شَنَّ وَحَدَّهُ بِتَأْوِيلِهِ ، خَطَبَهَا فَزَوَّجَهُ إِيَاهَا . وَأَدْقَ منْ هَذَا كَلَامٌ وَأَلْطَافٌ مَا يُحَكِّي عَنْ رَجُلٍ مِّنَ الْمُنَاقِذَةِ أَصْحَابِ شِيرَزِ وَهُوَ أَوْلَمُ الَّذِي اسْتَفَذَهُ مِنْ أَيْدِي الرُّومِ بِالْمُكْرَرِ وَالْخَدْرِيَّةِ ، وَلَذَلِكَ قَصْةُ طَرِيقَةِ وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعٌ ذَكْرُهَا ، وَكَانَ قَبْلَ مُلْكِهِ فِي خَدْمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ صَاحِبِ حَلْبِ ، وَكَانَ اذْ ذَلِكَ يَلْقَبُ بِسَدِيدِ الْمَلَكِ ، فَنِيَّا بِهِ مَكَانَهُ ، وَحَدَّثَتْ لَهُ حَادِثَةٌ أَوْجَبَتْ لَهُ أَنْ هَرَبَ وَمَهَى إِلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُسِ^(٢) فِي زَمْنِ بْنِ عَمَّارِ أَحْمَابِ

(١) بلد بالشام ، بفتح الطاء وضم الباء واللام . وكانت في الأصل ترابلس .

البلد ، فأرسل إليه ابن صالح واسمه عطفة ليعود إليه . خفافه ولم يعد ، فأخضر ابن صالح رجلاً من أهل حلب صديقاً لابن منقذ وبينه وبينه الحمة مودةً كيدة ، وأجلسه بين يديه ، وأمره أن يكتب إليه كتاباً عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود ، فما وسعه إلا أن يكتب ، وهو يعلم أن باطن الأمر في ذلك خلاف ظاهره ، وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب هَرَثَ ، ذُكْرَ و هو يكتب في إشارة عمياً لا تفهم ، ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ ، فأداه فكره أن كتب في آخر الكتاب عند إنتهاءه «إن شاء الله تعالى» وشدد ابن وكسرها ، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح ، فوقف عليه وأرسله إلى ابن منقذ ، فلما صار في يده وعلم ما فيه قال : هذا كتاب صديقي وما يُعْنِي ، ولو أنه يعلم صفاء قلبه ابن صالح لـ ما كتب إلى ولا غرئي ، ثم عزم على العَوْد ، وكان عنده ولده ، فأخذ الكتاب وكرر نظاره فيه ، ثم قال له : يا أبا مكارث ، فإن صديفك قد حذرك وقال لا تَمُدْ ، فقال : وكيف أقول : إنه قد كتب «إن شاء الله تعالى» في آخر الكتاب ، وشدد ابن وكسرها ، وضبطها ضبطاً صحيحاً لا يصدُرُ مثله عن سَهْوٍ ، وهي ذلك أنه يقول : «إن الملا يأترون بك ليقتلوك »^(١) وإن شُكِّت في ذلك فأرسل إلى حلب .

وهذه من أتعجب ما بلغني من حِدة الذهن وَ فطنة الخاطر ، ولو لا أنه صاحب الحادثة الخوفة لما تَفَطَّن إلى مثل ذلك أبداً ، لأنه ضرب من علم الغَيْب ، وإنما الخوف دَلَّه على استنباط ما استنبطه .

ووُجد بعض الأدباء لُغزٌ في حَمَام ، فمنه ما أجاد فيه كقوله : « وقد أظلَّها

سَمَاءُ ذاتٍ نجومٍ، لا استراقَ لها ولا رُجومٌ، وهي مُركبةٌ في ذلك سَجْنٌ
اصطدارَهُ، وسكنَتْ إدارَهُ.

أَعْجَبَ بِهَا مِنْ أَنْجُومٍ عِنْدَ الصُّبَاحِ ظَاهِرَهُ
لِكُنْمَا إِذَا بَدَأَ نَجْمُ الظَّلَامِ غَائِبَهُ

فَهِيَ عَلَى القياسِ جَنَّةٌ نَعِيمٌ، مَبْدِيَّةٌ عَلَى لَفَّى جَحِيمٍ، لَا خُلُودَ فِيهَا
وَلَا مُقَامَ، وَلَا تَرَازُورَ بَيْنَ أَهْلِهَا وَلَا سَلَامٌ، أَهْارَهُ مُتَدَفِّقٌ، وَمِيَاهُهُ مُتَرَكَّفَةٌ،
وَالْأَكْوَابُ بِهَا مُوضِوعَةٌ، وَالنَّمَارِقُ عَنْهَا مَرْزُوعَةٌ.

يُطْبَعُ بِهَا الْمَوْلَى أَوْ أَمْرَ عَبْدِهِ وَيُصْبِحُ طَوْعًا فِي يَدِيهِ مَقَاتِلُهُ
وَيُرْفَعُ عَنْهُ التَّاجُ عِنْدَ دُخُولِهِ وَتُسْلَبُ مِنْ قَبْلِ الْجُلوسِ غَلَائِلُهُ

التَّجَهُّلُ بِهَا مَعْدُومٌ، وَالْخَادِمُ فِيهَا كَحْدُومٌ، يُنْكَرُ بِهَا النَّسْتَرُ مِنَ الْبَرْزَدِ،
وَيُنْكَرُ هُرَّهُ إِذَا جَاوزَ الْأَنْدَادَ.

هَذَا الْأَغْرِزُ مِنْ فَصِيحِ الْأَلْفَاظِ، وَلَا يُقَالُ إِنَّ صَاحِبَهُ فِي الْمَمَّ صَانِعُ الْعُكَازِ،
وَإِذَا تَطَرَّزَ غَيْرُهُ بِلِمَّةٍ مِنَ الْوَثْنِ فَهَذَا كَاهِ طِرَازٌ.

وَمَا سَمِعْتُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُحَسَّنَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْمَحاورَاتِ مَا يُحْكَى عَنْ عُمَرَ
ابْنِ هَبِيرَةَ وَشُرَيْكَ النَّمَّيِّرِيَّ، وَذَاكَ أَنَّ عَمْرَبْنَ هَبِيرَةَ كَانَ سَارِمًا عَلَى بَرَدَوْنَ
لَهُ وَإِلَى جَانِبِهِ شُرَيْكَ النَّمَّيِّرِيَّ عَلَى بَغْلَةٍ، فَتَقْدِمُهُ شُرَيْكَ فِي الْمَسِيرِ، فَصَاحَ بِهِ عَمْرٌ:
أَغْضَضَ مِنْ لِجَامِهَا، فَقَالَ : أَصْلَحْ اللَّهُ الْأَمْيَرُ إِلَيْهَا مَكْتُوبَةً^(١). فَتَبَسَّمَ عَمْرٌ،

(١) كَانَتْ فِي الْأَصْلِ مَكْبُوتَةً.

فِيْ قَالَ : وَبِحَكَ ، لَمْ أُرِدْ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ شُرِيكٌ : وَلَا أَنَا أُرِدْهُ .

وَكَانَ عَمَرُ أَرَادَ قَوْلَ جَرِيرَ :

فَفُضَّلَ الظَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَمْبَأَ بَلَغْتَ وَلَا كَلَابًا^(١)

فَأَجَابَهُ شُرِيكٌ بِقَوْلِ الْآخِرِ :

لَا تَأْمَنْ فَزَارِيَّا تَرَاتْ بِهِ عَلَى قَلْوَصَكَ وَأَكْتُبْهَا بِأَسْيَار^(٢)

وَهَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الْأَطْيَفَةِ ، وَتَاطِفُ كُلُّ مِنْ هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ لِمِثْلِهِ
الْأَطْفَلُ وَأَخْسَنُ .

وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرَى أَنْ رَجُلًا مِنْ نَبِيِّمْ قَالَ لِشُرِيكِ الْمِيرِى : مَا فِي
الْجَوَارِعِ أَحَبُّ إِلَى مِنَ الْبَازِى . فَقَالَ لَهُ شُرِيكٌ : إِنْ كَانَ يَصْبِدُ الْقَطَّا .

وَكَانَ النَّبِيِّ أَرَادَ قَوْلَ جَرِيرَ :

أَنَا الْبَازِى الْمُطِيلُ عَلَى نُمَيْرٍ أَنْبَيْعَ مِنَ السَّهَاءِ هَا اِنْصَبَابًا^(٣)

وَأَرَادَ شُرِيكٌ قَوْلَ الظَّرْمَاحَ .

تَعَيِّمُ بَطْرُوقُ الْأَوْمَ أَتَدِى مِنَ الْقَطَّا وَلَوْ سَلَكْتُ طُرقَ الْمَكَارِمِ خَلَكَ

(١) ديوان جرير ٧٥ من قصيدة في هجاء الراعي .

(٢) البيت لسامي بن دارة في هجاء بني فزاره (الشعر والشعراء ٣٦٤/١) .
القلوص : النافقة الشابة . أكتبهما : قيدها .

(٣) الديوان ٧٧ من هجاء للراعي .

واعلم أن خواطر الناصن تتفاصل كتفاصل الأشخاص ، ومن هنا
قيل : سبعان خالق أبي موسى وعمرو من العاصم^(١)

النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتراضات

هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار إليها في الفصل القاسع من
مقدمة الكتاب .

وحقيقة هذا النوع أن يُجمل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً
على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان فتحاً فتحاً ، وإن كان هناءً فهناءً ،
أو كان عزاءً فعزاءً ، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني .

وفائدته أن يُعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ، ولِمَ هذا النوع ؟

والقاعدة التي يُبني عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيدةً أن
ينظر ، فإن كانت مدحها صريحاً لا يختص بمحادثة من المحادث فهو مُخْبِر بين
أن يفتحها بغزل أو لا يفتحها بغزل بل يرتجل المدح ارتجالاً من أورها
كقول القائل :

(١) يحسن أن نعقب على ابن الأثير في الألغاز برأى ابن سنان المفاجي ، وقد سبقه
بنحو قرنين من الزمان ، قال المفاجي : « فإن قيل : « ما تقولون في الكلام الذي وضع لغزاً ،
وقصد ذلك فيه ؟ قيل : إن الموضوع على وجه الإلغاز قد قصد قائله إغراض المني ولإخفاءه ،
وجمل ذلك فنا من الفنون التي تستخرج بها أفهم الناس ويتعذر أذهانهم . فلما كان وضعه
على خلاف وضع الكلام في الأصل كان القول فيه مخالفًا لقولنا في فصيح الكلام ، حتى صار
يمحسن فيه ما كان ظاهره يدل على التناقض ، أو ما جرى بجرى ذلك وقد كان شيخنا
أبو العلاء يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً . (سر الفصاحة ٢١٥) . »

إِنْ حَارَتِ الْأَهَابُ كَيْفَ تَقُولُ فِي ذَا الْمَقَامِ فَمُذْرُّهَا مَقْبُولٌ
سَامِعٌ بِفَضْلِكَ مَا دِحِيكَ فَمَا أَرْهَمْ أَبْدًا إِلَى مَا قَسَّمْتُ سَبِيلٌ
إِنْ كَانَ لَا يُرْغِيْكَ إِلَّا تُخْسِنْ فَالْمُحْسِنُونَ إِذَا لَدَيْكَ قَلِيلٌ
فَإِنْ هَذَا الشَّاعِرُ ارْتَجَلَ الْمَدِيْحَ مِنْ أُولَى الْقُصْيَدَةِ، فَأَتَى بِهِ كَمَا تَرَى مَسَنَّا
لَا نَقْدًا.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقُصْيَدَةُ فِي حادَثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ كَفَتْحَرْ مَقْلٍ^(١) أَوْ هَزِيمَةُ
جَيْشٍ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْدأَ فِيهَا بِغَزْلٍ، وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ ذَلِكَ
عَلَى ضَعْفٍ قَرِيمَةٍ الشَّاعِرِ وَقُصُورِهِ عَنِ الْغَايَةِ، أَوْ عَلَى جَهَلِهِ وَضُعُمِ الْكَلَامِ
فِي مَوَاضِيعِهِ.

فَإِنْ قَيْلَ إِنَّكَ قَلْتَ بِحَبٍ عَلَى الشَّاعِرِ كَذَا وَكَذَا فَلَمْ ذَلِكَ؟
قَلْتَ فِي الْجَوابِ : إِنَّ الغَزْلَ رِقَّةٌ تُخْضِهُ، وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تَنَظِّمُ فِي الْحَوَادِثِ
الْمَشَارِ إِلَيْهَا مِنْ فَحْلِ الْكَلَامِ وَمَقْيَنِ الْقَوْلِ، وَهِيَ صِدْرُ الغَزْلِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ
الْأَسْمَاعَ تَكُونُ مَقْطَالِيَّةً إِلَى مَا يُقْتَلُ فِي ذَلِكَ الْحَوَادِثِ وَالْإِبْقَادَ بِالْخُوْضِ فِي
ذَكْرِهَا لَا إِبْقَادَ بِالْغَزْلِ، إِذَا أَمْهِمْ وَاجْبُ التَّقْدِيمِ.

وَمِنْ أَدْبِ هَذَا النَّوْعِ إِلَّا ذَكْرُ الشَّاعِرِ فِي افْتَقَاحِ قُصْيَدَةِ الْمَدِيْحِ
مَا يُتَطَيِّرُ مِنْهُ، وَهَذَا يُرْجِعُ إِلَى أَدْبِ النَّفْسِ لَا إِلَى أَدْبِ الدَّرْسِ، فَيَنْبَغِي أَنْ
يَخْتَرَّ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ، كَوْصِفِ الدِّيَارِ بِالدُّثُورِ وَالْمَنَازِلِ بِالْعَفَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ
أَشَدَّ الْأَلَافِ وَذُمِّ الزَّمَانِ، لَا يَمْحَا إِذَا كَانَ فِي الْتَهَانِيِّ، فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا،
وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ فِي الْخَطُوبِ النَّازِلَةِ وَالنَّوَابِ الْحَادِثَةِ، وَمِنْ كَانَ الْكَلَامُ
فِي الْمَدِيْحِ مَفْتَحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَطْبِيرٌ مِنْهُ سَامِعُهُ.

(١) كَانَ بِالْأَصْلِ مَقْلٌ .

ولأنها خُصّت الابتداءات بالاختيار ، لأنها أول ما يُطرُق السمع من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استئاعه .

ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن الكريم ، كالتحميدات المفتوحة بها أوائل السور ، وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وك قوله تعالى في أول سورة الحج : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه .

وكذلك الابتداءات بالحرروف ، كقوله تعالى ﴿أَلْمَ وَطَسْ وَحْم﴾ وغير ذلك ، فإن هذا أيضاً يبعث الاستماع إليه ، لأنه يَقْرَعُ السمع شيئاً غريباً ليس له بمثيله عادة ، فيكون سبباً للتَّطَلُّع نحوه والإصغاء إليه .

ومن قبيح الابتداءات قول ذي الرمة : «ما بال عينك منها الماء ينسكب»^(١) ، لأن مقابلة المدوح بهذا الخطاب لا خفاء بقبعه وكراهته .

ولما أنسدَ الأخطل عبدَ الملائكة بنَ مرْوانَ قصيده التي أولها «خفَّ التَّطَلُّعُ فراحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا»^(٢) قال له عند ذلك : لا بل منك ، وتطير

(١) كانت عين عبد الملك دائمة الدمع ، فلما افتحت ذو الرمة قصيده في مدحه بقوله : ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأن من كل مفرية سرب وهو لا يخاطبه في الحقيقة وإنما يخاطب نفسه على سبيل التجريح ، لم يسترح عبد الملك إلى قبح المواجهة بهذه الصورة ، لأنها تؤلم أنه هو المراد ، فقال له : وما سؤالك عن هذا بيان الفاعلة ، وكرهه وأمر بإخراجه .

(٢) الشطر الثاني : وأزعجتهم نوى في صرفها غير (الديوان ٤٠٤)

من قوله فغيرها ذو الرمة وقال : « خَفَّ الْقَطَانُ فرَاخُوا الْيَوْمَ أَوْ بَكَرُوا ». .

ومن شاء أن يذكر الدمار والأطلال في شعره فليتأدب بأدب القطاني على جفاه طبعه وبعديه عن فطانته الأدب ، فإنه قال : إنما تحيوك فاسلم أيها الطالل^(١) ، فبدأ قبل ذكر الطالل بذكر التحية والدعاء له بالسلامة .

وقد قيل إن أمراً القيس كان يحبه الابتداء كقوله : « ألا إنتم صبياحاً أيها الطالل البالي »^(٢) وكقوله : « قفا تبلك من ذيكرى حبيب ومتزل »^(٣) .

وهما يكره من الابتداءات قول أبي تمام : « تَجَرَّعْ أَمِي قَدْ أَفَرَّ أَلْجَرَعْ الْفَرْد »^(٤) ، وإنما ألقى أبا تمام في مثل هذا المكره تتباهه للتجنيس بين تَجَرَّعْ وأَلْجَرَعْ ، وهذا دأب الرجل ، فإنه كثيراً ما يقع في ذلك .

وكذلك استُقبح قول البحترى : « فَوَادْ مَلَاهُ الْحَزَنُ حَتَّى أَصَدَّعَا »^(٥) .
فإن ابتداء المدح يمثل هذا طيره ينبو عنها السمع ، وهو أجرد لأن يكون ابتداء صرفيه لا مدح ، وما أعلم كيف يخفى هذا على مثل البحترى وهو من مُقلِّقِ الشعراء .

(١) الشطر الثاني : وإن بليت وإن طالت بك الطيل (الأغاني ١٦/١٨) .

(٢) الشطر الثاني : وهل يعني من كان في العصر الحالى (الديوان ٢٧) .

(٣) الشطر الثاني : بسقوط الاوى بين الدحول خومل (الديوان ٨) .

(٤) تكملة البيت : ودع حنى عين يحيطاب ماءها الوجد (الديوان ٢/٨٠) .
الجرع : ما سهل من الأرض . الحسى : ماء قليل في الأرض .

(٥) ليس المصالم بديوانه .

وُحَكِّيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ الْمَعْتَصِمُ مِنْ بَنَاءِ قَصْرِهِ بِالْمَيْدَانِ جَاءَ فِيهِ ، وَجَمِيعُ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِيَّتِهِمْ ، فَمَا رَأَى النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَاقُ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصَلِيَّ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَهَفَائِمِهَا فَقَالَ :

يَا دَارُ غَيْرَكَ الْبِلَى وَتَحَاكُرُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاثَ
فَتَطَهِّرَ الْمَعْتَصِمُ بِذَلِكَ ، وَتَغَامِزُ النَّاسُ عَلَى إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ ذَهَبَ
عَلَيْهِ مُثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ الْمُلُوكُ ، ثُمَّ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ
وَانْصَرَفُوا ، فَمَا عَادُ مِنْهُمْ أَثْنَانٌ إِلَى ذَلِكَ الْجَهَنَّمِ ، وَخَرَجَ الْمَعْتَصِمُ إِلَى
مُرْءَ مَنْ رَأَى وَخَرَبَ الْقَصْرَ^(١) .

فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيْحَتِهِ فَلَيْذَكُرْ كَمَا ذَكَرَ كَمَا ذَكَرَ أَشْبَعُ السَّلَمِيُّ^(٢) ،
حِيثُ قَالَ :

قَصْرٌ عَلَيْهِ نَحِيَةٌ وَسَلَامٌ
خَلَقَتْ عَلَيْهِ جَاهَلَهَا الْأَيَامُ^(٣)

وَمَا أَجَدَرَ هَذَا الْبَيْتُ بِمَفْتَحَ شِعْرِ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَنْشَدَهُ الْمَعْتَصِمُ ،
فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ حَسَنًا لَا ثَقَافًا .

(١) الصناعتين ٤٣٢ وفى سر الفصاحة ١٧٥ أَنَّ أَبا نواس أَنْشَدَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى
قصيدةً تَهْمِي مطاعِمَهَا :

أَرْبَعَ الْبَلَى لَأَنَّ الْحَشْوَعَ لَبَادِي
عَلَيْكَ وَلَانِي لَمْ أُخْنِكَ وَدَادِي
فَتَطَهِّرَ الْفَضْلَ مِنْ هَذَا الْإِبْدَاءِ . فَلَمَّا انتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدِّينِ إِذَا مَا فَقَدْتُمْ
بَنِي بَرْمَكَ مِنْ رَائِبِينَ وَغَادَ
اسْتَعْكِمْ تَطَهِّرَهُ ، فَلَمْ يَعْضُ إِلَّا أَسْبَوعَ حَتَّى نَكَبَ بَنِي بَرْمَكَ ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى
(٢) الصناعتين ٤٣٣ وَبِهِ (نشرت) .

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراه ، فقال : من أجد الابداء والمطلع ،
الا ترى إلى قصيدة أبي نواس الق أولها :

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكِ الْأَيَامِ لَمْ يَبْقِ فِيكِ إِشَاشَةٌ فَسَقَامٌ^(١)

فإنها من أشرف شعره وأعلاه منزلة ، وهي مع ذلك مُسْتَهْلِكَةُ الابداء ،
لأنها في مدح الخليفة الأمين ، وافتتاح المدح بذكر الدبار وذورها مما يُطَيِّرُ
منه ، لا سيما في مشافهة الخلفاء والملوك ، ولهذا يختار في ذكر الأماكن والمنازل
مارق افظه وحسن النطق به كالعذيب والغوير ورامة وبارك والمعيق وأشباه
ذلك^(٢) ، ويختار أيضاً أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأميم وفوز وما جرى
هذا المجرى .

وقد عيب على الأخطل في غزله بقدر وهو اسم امرأة ، فإنه مستقبح في
الذكر ، وقد عيب على غيره التغزل باسم تماضر ، فإنه وإن لم يكن مستقبحاً في
معناه فإنه ثقيل على الآسان ، كما قال البحترى :

إِنَّ لِلَّبَيْنِ مِنْهُ لَا تُؤَدِّيْ وَيَدِاً فِي تُعَاضِيرِ بَيْضَادٍ^(٣)

لغزله بهذا الاسم مما يشهده رقة الغزل ، ويقل من خفتة ، وأمثال هذه
الأشياء يحب مراعاتها والتحرز منها .

وقد استثنى من ذلك ما كان اسم موضع تضمن وقعة من الواقع ، فإن

(١) الديوان ٤٠٢ .

(٢) أسماء أماكن ونبات يكثر ورودها في الشعر وبخاصة في الغزل .

(٣) من قصيده في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١) .

ذكره لا يذكره ، وإن كان في اسمه كراهة ، كما ذكر أبو تمام في شعره مواضع مكرورة الأسماء لضرورة ذكرِ الواقع التي كانت بها ، كذلك الحشائل وعفة وقعن وأمثالها ، وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبي هزيرط وشميم صاط وما جرى مجرها ، وهذا لا عيب في ذكره ، لكن الضرورة التي تدعوه إليه .

وهيذا يسأَّجحُ الشاعر والكاتب أيضاً في ذكر ما لا بد من ذكره وإن قبح ، ومهم ما يمكنه من التورىة في هذا المقام فليست كثراً ، وما لا يمكنه فإنه معدور فيه .

واعلم أنه ليس من شرط الابتداء إلا يكون مما يتطلب منه فقط ، فإن من الابتداءات ما يستحبه وإن لم يتطلب منه ، كقول أبي تمام : « قدك أثبْ أربَيتَ فِي الغَلَوَاءِ »^(١) . وكقوله : « تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤْنَى »^(٢) . وكقول أبي الطيب المتنبي : « أَقْلُ فَعَالِي بَلْهُ أَكْثَرُه بَجْدٌ »^(٣) .

(١) قدك أثبْ أربَيتَ فِي الغَلَوَاءِ كم تَعْذَلُونَ وَأَنْتُم سِجْرَائِي
مطلع قصيدة في مدح محمد بن حسان الصبي (الديوان ١/٢٢) . قدك : حسبك .
أثبْ : استبع . سِجْرَائِي : أصدقائي .

(٢) تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤْنَى وليس جنبي لأن عذلت بعصبي
مطلع قصيدة في مدح عياش بن لهيعة الحضرى (الديوان ١/١٥٣) .
تقِي : أمر للواحد من تقى المخفف . جَمَحَاتِي : المراد ثوراتي وعصبياني . الجنين :
المجنوب ، والمراد به هوه ونفسه . يقول لعاذله إن عذلك لا يجدى نفعاً ، لأنى لا أطيع
المؤمن . وليس قلبي متقاد إلى إذا لامى أحد .

(٣) أَقْلُ فَعَالِي بَلْهُ أَكْثَرُه بَجْدٌ وهذا الجهد فيه نلت أم لم أزل جد
مطلع قصيدة في مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي (الديوان ٢/١٠٧) .
الفعال : الفعل الحسن من الجود والاسکرمت ونحوه . بله : اسم فعل بمعنى دع . الجهد بكسر
الجيم : الاجتهاد ، وبفتحها الحظ . يقول : أَقْلُ فَعَالِي بَجْدٌ ، دع أَكْثَرُه ، فكل أفعال قليلها
وكثيرها في سبيل الجهد ، وهذا السعي الدائب في سبيل الجهد بعد حظاً لي سواء نلت مطلوبني
أم لم أنته .

وَكَفُوله : « كُفٌّ أَرَانِي وَبِكِ لَوْمَكِ الْوَمَاء » (٤) .

والعجب أن هذين الشاعرين المقلقيين يعتقدان بهمثل ذلك ، ولهما من الآية دعاء الحسنة ما أذكره .

أما أبو تمام فإنه افتتح قصيده التي مدح بها المعتصم عند زيارته مدينة عمورية فقال :

السيف أصدق أنياء من الكتب في حدّه الحد بين الجد واللعب
بعض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

هذه الأبيات لها قصة ، وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجاشة أنها لا تفتح في ذلك الوقت ، وأقاضوا هذا حتى شاع وصار أحدوثة بين الناس ، فلما فتحت بي أبو تمام مطلع قصيده على هذا المعنى ، وجعل السيف أصدق من الكتب التي خبرت بامتناع البلد واعتصامها ، ولذلك قال فيها :
والعلم في شعب الأزماح لامة بين الخمسين لا في السبعة الشعب
أين الرواية أم أين النجوم وما صافوه من زخرف فيها ومن كذب
نحرها وأحاديثها ملائكة ليست بذبئع إذا عدت ولا غرب (٢)
وهذا من أحسن ما يأتى في هذا الباب .

(١) كفى أراني وبك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجها مطلع قصيده في مدح لانسان مجهول (الديوان ٤/١٨٤) .
كفى : دعى . أراني : يريد عرفني وأعلمني . وبك : كلمة تعجب وانكار . هم فاعل أراني . أنجم : أقلم . يقول العاذلة : اتركي عذلي ، فقد أراني لهم المقيم على فؤادي الزاهي مع المحبب أن لومك إيمى أحق بإن يلام مني .

(٢) من قصيده في مدح المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ١/٤٥) .
الصفائح : السيف . النبع : شجر صلب تخدم منه القسي . الغرب : شجر ضعيف لا قوة له .

و كذلك قوله في قصيدة يمدحه بها أيضاً، ويدرك فيها خروج بابك الخرمي
عليه وظفره به، وهي من أمها شعره قال :

الحق أباجُ والسيف هَارِ خذارٍ من أَسْدِ الْعَرَبِينَ خذارٍ^(١)

و كذلك قوله متغزلاً :

عسى وطنٌ يلدُنُ بهم ولعلنا وأن تُعْتَبَ الأَيَامُ فِيهِمْ فِرْبَعًا^(٢)
وهذا من الأفزال الخلوة الرائفة، وهو من محسن أبي تمام المعروفة.

و كذلك قوله في أول مرثية :

أَصَمْ بَكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَشْتَمَاً وَأَصْبَحَ مَنْفِي الْجُودِ بَعْدَكَ بَلْنَعَماً^(٣)

وأما أبو الطيب فإنه أكثر من الابتداءات الحسنة في شعره، وكذلك
في قصيدة يمدح بها كافوراً، وكان قد جرت بيته وبين سيده نزعة، فبدأ
قصيدته بذلك الغرض المقصود فقال :

حَسَنَ الصَّلْحُ مَا اشْتَمَمْتُهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ الْأَسْنُ الْمُشَاهَد^(٤)

وهذا من بدائع الابتداء ونادره.

(١) في مدح المعتصم (الديوان ٢/١٩٨).

(٢) في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٣/٢٣٢) تعجب : من اعتب إذا أعطاه
العتي أو طلبها إليه . فربما : فربما دنا البعيد .

(٣) الديوان ٣٧٤ طبعة محمد جمال والمطالم بالموازنة ٩٤ وبمعجم البلدان ٨/٨٨ في رثاء
أبي نصر محمد بن حميد الطائي .

(٤) كان قوم من القلمان اتصلوا بابن الإخشيد سيد كافور، وأرادوا أن يفسدوا الأمر
على كافور، فطالبوا بتسليمهم إليه ، فسلم لهم بعد أن امتنع مدة سبعة وعشة ، ولما تسلّمهم كافور
آلقاهم في النيل واصطلحا (الديوان ٢/١٥٦).

وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان ابن شمشيق حلف لياليقينه كفاحاً، فلما التقى لم يطأ ذلك رولى هارباً، فافتتح أبو الطيب قصيده بهجوى الأمر فقال :

عُقْبَى الْبَيْنِ عَلَى عُقْبَى الْوَغْنِ نَدَمْ . مَاذَا يَرِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسْمُ
وَفِي الْبَيْنِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مادلْ أَنْكَ فِي الْمَوْمَادِ مُمْهَمْ^(١)

وكذلك قوله وقد فارق سيف الدولة إلى مصر ، فجم بين ذكر فراقه أيامه ولقاءه كافوراً في أول بيت من القصيدة فقال :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذَمَّمٍ وَأَمْ وَمَنْ يَمْهُتْ خَيْرٌ مُمْهَمْ^(٢)

ومن البديع الفادر في هذا الباب قوله متغزاً في مطلع قصيده القافية وهي : أَثْرَاهَا لِكَثْرَةِ الشَّاقِ تَخْسَبُ الدَّمَعَ خَلْقَةً فِي الْمَآقِ^(٣)

وله مواضع أخرى كثيرة لا حاجة إلى ذكرها.

ومن محاسن الابتداءات التي دلت على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأ أنه في كتاب الروضة لأبي العباس المبرد ، فإنه ذكر غزوة غزاهما الرشيد هارون رحمه الله في بلاد الروم، وأن رقاور ملك الروم خضم له وبذل الجزية ، فلما عاد عنه

(١) (الديوان ٤/١٦٧) يقول : من حلف أن عاقبة الحرب له كانت عاقبته الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى أن البطريق المسمى ابن شمشيق أقسم عند ملك الروم أنه لا بد أن يظفر بسيف الدولة ، وسأله أن ينجد له بطارقته وبالعدد والعدد ، ففعل ، ثخاب ظنه وانهزم .

(٢) الديوان ٤/٣٣٣ .

(٣) مطلع قصيده في مدح أبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان (الديوان ٣/١٢١) يريد أنها لكترة عشاقيها الباكيين تتوجه أن الدم خلقه في العيون فلا ترحم من يبكى .

وامتنقى بـ مدینة الرّقة وسقط الثلوج تغصّ نقوص العهد ، فلم يجسّر أحد على إعلام
للرشيد ، لـ كان هيبيه في صدور الناس ، وبذل بمحبّي بن خالد لأشعراء الأموال
على أن يقولوا أشعاراً في إعلامه ، فـ كلهم أشتفق من لفائه بـ مثل ذلك ، إلا شاعرًا
من أهل جُدَّة يـ كـ بـ نـيـ أـبـاـ مـعـدـ ، وـ كان شاعرًا مـ غـ لـ قـ ، فـ نـظـمـ قـصـيـدـةـ وـ أـنـشـدـهاـ الرـشـيدـ ،
أولـهاـ :

تَغْصَنَ الدَّى أَعْطِيهِ تَقْفُورُ فَلَمِيزَه دَارَةُ الْبَوارِ تَدُورُ
أَبْشِرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّه فَتْحُ أَمَكَ بِهِ الإِلَهُ كَبِيرٌ
تَقْفُورَ إِنَّكَ حِينَ تَغْدِيرُ أَنْ تَأْتِي عَنْكَ الْإِمامُ بِجَاهِلٍ مَغْرُورٍ
أَظْفَانَتْ حِينَ غَدَرْتَ أَنْكَ مُفْلِتَ هَبَلَتْكَ أَمَكَ ، مَا ظَنَنتَ غَرُورٍ
فَلَمَّا أَنْهَى الأَبِيَاتَ قَالَ الرَّشِيدُ : أَوْ قَدْ فَعَلَ ؟ ثُمَّ غَزَاهُ فِي بَقِيَةِ الثَّلَاجِ وَفَتْحِ
مَدِينَةِ هَرَقْلَةِ .

وَقَرَأْتَ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي لِأَبِي الْفَرجِ الْأَصْبَهَانِي مَا رَوَاهُ مِنْ شِعْرٍ سُدَيْفٍ
فِي تَحْرِيضِ الْخَلِيلِيَّةِ السَّفَاحِ رَحْمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أُمَّيَّةٌ فَقَالَ : قَدْمَ سُدَيْفٍ مِنْ مَكَّةَ
إِلَى الْحَيْرَةِ وَالسَّفَاحِ بِهَا ، وَوَاقَ قَدْوَمَهُ جَلوْسَ السَّفَاحِ لِلنَّاسِ ، وَكَانَ بَنُو أُمَّيَّةَ
يَجْلِسُونَ عَلَى الْكَرَامَى تَكْرُمَةً لَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سُدَيْفٌ حَسَرَ لِثَامَهُ ، وَأَنْشَدَهُ
أَبِيَاتًا مِنَ الشِّعْرِ ، فَالْتَّقَتْ رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَالِكِ ، وَقَالَ لِآخَرَ
إِلَى جَانِبِهِ : قَتَلَنَا وَاللَّهُ الْعَبْدُ . فَلَمَّا أَنْهَى الأَبِيَاتَ أَمْرَ بِهِمِ السَّفَاحُ فَأَخْرَجُوا
مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ ، وَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِ ، وَكُتُبُهُ إِلَى عَمَالَهُ بِالْبَلَادِ يَأْمُرُهُمْ بِقتْلِ
مِنْ وَجْدَهُ مِنْهُمْ .

ومن الأبيات :

أَصْبَحَ الدِّينُ ثَابِتًا فِي الْأَسَاسِ بِالْأَبْهَالِ مِنْ بَنَى الْمَهَاجِسِ
 أَنْتَ مَهْدِيٌّ هَاشِمٌ وَهُدَادُهَا كَمْ أَذَاسِ رِجُوكَ بِهَدْدِ إِيمَانِ
 لَا تُقْيِنْ عَبْدَ شَمْسِ عِثَارًا وَانْطَهَنْ كُلُّ رَقْلَةٍ وَغِرَاسِ
 أَنْزَلُوهَا بِحِيثِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ مَدَارُ الْهَوَانِ وَالْإِنْعَاصِ
 خَوْفُهُمْ أَظْهَرَ النَّوْدُودَ مِنْهُمْ وَبِهِمْ مَنْكُمْ كَجْزَى الْمَوَامِي
 أَقْصِهِمْ أَبِيهَا الْخَلِيفَةُ وَاحْسِمْ عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَافَةُ الْأَرْجَاسِ
 وَاذْكُرْنَ مَهْرَبَعَ الْحَسِينِ وَزِيدَ وَقَبْلًا بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ
 وَلَقَدْ سَاءَنِي وَسَاءَ سَوَائِنِي قُرْبُهُمْ مِنْ مَفَابِرِ وَكَرَامِي^(١)
 وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ فَاخِرِ الشِّعْرِ وَنَادِرِهِ افْتَاقَاهَا وَابْقَادَاهُ وَتَحْرِيضاً وَتَأْلِيهً،
 وَلَوْ وَصَفْتُهَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ الإِسْهَابُ وَالْإِطْنَابُ لَمَا بَلَغَتْ مَقْدَارُ مَاهِمَهُ الْحَسِينِ.

وَمِنْ لَطِيفِ الْابْقَادَاتِ مَا ذَكَرَهُ مِهْرَيَارُ، وَهُوَ :

أَمَا وَهَوَاهَا عِذْرَةٌ وَتَفَصِّلَا لَقَدْ نَقَلَ الْوَانِي إِلَيْهَا فَانْتَهَ لَا
 سَيِّدُ جُنُونِهِ لَكَنْ تَحْاوزَ حَدَّهُ وَكَثُرَ فَارِتَابَتْ وَلَوْ شَاءَ قَلَّلَا^(٢)

(١) الأبيات من قصيدة بالأغاني ٤/٩٢ مع تغيير طفيف . زيد : المراد زيد بن على زين العابدين بن الحسين . وكان قد خرج بالكوفة على هشام بن عبد الملك ، فقتل وصلب سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ . القتيل الذي بجانب المهراس (وكانت بالأصل المهراس) المراد حزرة بن عبد المطلب ، قتله وحشى غلام جيير بن مطعم يوم أحد ، والمهراس ماء بأحد ، وقد نسب الشاعر قتل حزرة إلى بني أمية لأن قائد الناس يوم أحد كان أبو سفيان بن حرب ، ولأن وحشياً قتله بتحريره هند أم معاوية ، وقالوا إنها لا كرت قطعة من كبد حزرة . رقله : نخلة . طالت وفاته اليad . والمراد اقض على كبارهم وعلى صغيرهم .

(٢) الديوان ٣/١٩٤ عذرَة : معدنة . أَعْلَل : باللغ في مكره وكيده .
 كان قد وشي به بعض حساده في أمر يتصل بالملك شاهنشاه جلال الدولة أبي طاهر بن بوشه ، ثم تبيّنت براءته وأنهم للملك عليه ، فأنشأ قصيدة يمدحه بها ويعرض بالواشى .

فإنه أبرز الاعتزاز في هيبة الفوز ، وأخرجه في معرض النسب ، وكان قد وُبِّرَ به إلى المدح ، فافتتح قصيده بهذا المعنى فأحسن .

ومما جاء على نحو ذلك قول بعض المتأخرين من العراقيين :

وراءك أقوال الوشاة الفواجر ودونك أحوال الغرام المُخامر
ولولا ولوع منك بالصد ما سعوا ولولا الهموى لم أنتدب للمعاذر

فذلك في هذا القول مسلاط مميار ، إلا أنه زاد عليه زيادة حسنة ، وهي المعاذنة على الإصلاح إلى أقوال الوشاة والاسئماع منهم ، وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى .

ومن الحداقة في هذا الباب أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية م المناسبة لمانى تلك الكتب ، وإنما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لأن التحميد لا تصدر في غيرها ، فإنها تكون قد تضمنت أموراً لائقة بالتحميد ، كفتح معقل^(١) أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا المجرى .

ووجدت أبا إسحاق الصابى على تقدمه في فن الكتابة قد أدخل بهذا الركن الذي هو من أوكل أركان الكتابة ، فإذا أني بتحميدة في كتاب من هذه الكتب لا تكون م المناسبة لمانى ذلك الكتاب ، وإنما تكون في وادٍ الكتاب في وادٍ ، إلا ما قل من كتبه . فمما خالف فيه معناه أنه كتب كتاباً يتضمن فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها ، وكان ذلك فتحاً عظيماً ، فابتداً بالتحميد فقال : « الحمد لله رب العالمين ، الملاك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلي المجيد »

(١) كانت بالأصل مغلق .

الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يُنعت^١ إلا برفع النبوت ، الأزلى بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا مُنْذَ أمدٍ محدود ، الدائم لا إلى أجلٍ محدود ، الفاعل لا من مادة استمدّها ، ولا باكلة استعملها ، الذي لا تدركه الأعين بالمحاظتها ، ولا تتحده الألسن بالفاظتها ، ولا تخلقه المصور بمرورها ، ولا تُهرِّمه الدهور بكرورها ، ولا تصارعه الأجسام بأقطارها ، ولا تنجانبه الصور بأعراضها ، ولا تجاريه أقدام النظر أو الأشكال ، ولا تزاحه مناقب الفرقاء والأمثال ، بل هو الصمد الذي لا كُفُّ له ، والذى لا توأم معه ، والحق الذى لا تخرجه المأون ، والفيوم الذى لا تشنّله الشئون ، والقدير الذى لا تؤده المضيلات ، والخبير الذى لا تعينه المشكلات » .

وهذه التحمييدة لا تفاصي الكتاب الذى افتتح بها ، وإن كثراً تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ، ككتاب الشامل للجويني أو كتاب الاقتصاد أو ما جرى بجريها ، وأما أن توضع في صدر كتاب فتح فلا .

وهو وإن أساء في هذا الموضع فقد أحسن في مواضع أخرى ، وذاك أنه كتب كتاباً عن الخليفة العظيم - رحمه الله تعالى - إلى الأطراق ، عند عزده إلى كرمي ملكه وزوال ما نزل به وبأبيه المطيم - رحمه الله تعالى - من فادحة الأثراك فقال : « الحمد لله ناظم الشمل بعد شقائه ، وواصل الخبل بعد بقائه ، وجابر الوهن إذا انثم^(١) ، وكشف الخطب إذا أظلم ، والقاضي المسلمين بما يضم نشرهم ، ويشد أزرهم ، ويصلح ذات ينفهم ، ويحفظ الآفة عليهم ، وإن

(١) كانت بالأصل (نم) .

شابـت ذلك في الأحيـان شوائب من الـلـهـان ، ذـلـكـ تـجـاوزـ بـهـمـ الـلـهـ الذـيـ
يـوـقـظـ غـافـلـهـمـ ، وـيـذـهـ ذـاهـهـمـ ، ثـمـ لـاـنـهـمـ عـائـدـونـ إـلـىـ فـضـلـ ماـ أـولـامـ اللهـ
وـهـوـ دـهـمـ ، وـوـقـقـ لـهـمـ وـوـعـدـهـمـ ، مـنـ إـيمـانـ مـيـرـبـهـمـ وـإـعـذـابـ شـيـرـبـهـمـ ، وـإـعـزـازـ جـانـبـهـمـ ،
وـإـذـالـلـ بـجـانـبـهـمـ ، وـإـظـهـارـ دـيـنـهـمـ عـلـىـ الدـيـنـ كـلـهـ وـلـوـ كـرـهـ المـشـرـكـونـ » .

وهـذـهـ تـحـمـيـدـةـ مـنـاسـبـةـ لـمـوضـعـ الـكـتـابـ ، وـإـنـ كـانـ المـعـانـيـ فـيـهاـ مـكـرـرـةـ
كـالـذـىـ أـذـكـرـهـ عـلـيـهـ وـعـلـىـغـيرـهـ مـنـ الـكـتـابـ ، وـقـدـمـتـ القـوـلـ فـيـهـ فـيـ بـابـ السـجـعـ ،
فـلـيـؤـخـذـ مـنـ هـذـاـ .

وـمـنـ الـمـبـادـىـءـ الـتـىـ قـدـ أـخـلـقـتـ وـصـارـتـ مـزـدـرـاـةـ أـنـ يـقـالـ فـيـ إـلـأـئـلـ الـتـقـلـيدـاتـ
إـنـ أـحـقـ الـخـدـمـ بـأـنـ تـرـعـيـ خـدـمـةـ كـذـاـ وـكـذـاـ ، وـإـنـ أـحـقـ مـنـ قـلـدـ الـأـعـمـالـ
مـنـ اـجـتـمـعـ فـيـهـ كـذـاـ وـكـذـاـ ، فـيـاـنـ هـذـاـ لـيـسـ مـنـ الـمـبـادـىـءـ الـمـسـتـحـسـنـةـ ، وـمـنـ
اسـتـعـالـهـ أـوـلـاـ فـوـرـ ضـمـمـ فـكـرـتـهـ عـنـ اـقـتـراـحـ مـاـ يـجـسـنـ اـسـتـعـالـهـ مـنـ الـمـبـادـىـءـ ،
وـالـذـىـ تـبـعـهـ فـيـ ذـلـكـ إـمـاـ مـقـلـدـ لـيـسـ عـنـدـهـ قـدـرـةـ عـلـىـ أـنـ يـخـتـارـ لـنـفـسـهـ ، وـإـمـاـ
جـاهـلـ لـاـ يـفـرقـ بـيـنـ الـحـسـنـ وـالـقـبـيـحـ وـالـجـيـدـ وـالـرـدـيـءـ .

وـأـهـلـ زـمـانـاـ هـذـاـ مـنـ الـكـتـابـ قـدـ قـصـرـوـاـ مـبـادـىـءـ تـقـالـيدـهـمـ عـلـىـ هـذـهـ
الـفـاتـحةـ دـوـنـ غـيرـهـاـ ، وـإـنـ أـنـواـ بـتـحـمـيـدـةـ مـنـ التـحـامـيـدـ كـانـ مـبـارـيـةـ لـمـعـنـيـ الـتـقـلـيدـ
الـذـىـ وـضـعـتـ فـيـ صـدـرـهـ .

وـكـذـلـكـ قـدـ كـانـ الـكـتـابـ يـسـتـعـمـلـونـ فـيـ الـتـقـلـيدـاتـ مـبـداـ وـاحـدـ لـاـ يـتـجـاـزوـهـ
إـلـىـ غـيرـهـ ، وـهـوـ «ـ هـذـاـ مـاـ عـهـدـ فـلـانـ إـلـىـ فـلـانـ »ـ وـالـتـحـمـيـدـ خـيـرـ مـاـ اـفـتـقـحـ بـهـ
الـتـقـلـيدـاتـ وـكـتـبـ اـفـتـوـحـ وـمـاـ جـرـىـ مـجـرـاـهـاـ ، وـقـدـ أـذـكـرـتـ ذـلـكـ عـلـىـ سـتـعـالـهـ
فـيـ مـفـتـحـ تـقـلـيدـ أـنـشـأـهـ بـوـلـاـيـةـ وـالـيـقـلـتـ :ـ «ـ كـانـ الـتـقـلـيدـاتـ تـفـتـحـ بـكـلامـ لـيـسـ

بُذى شان ، ولا يوضع في ميزان ، ولا يُجْتَنِي من أَفْنان ، وغاية ما يقال هذا
ما عَهِدَ فلان إلى فلان ، وتلائِقَتْ فاتحة لم تـكُنْ جديدة فـتَخْلَقَ^(١) بـتـطاول الأـيـام ،
ولا حـسـنة النـظـم فـيـضـاهـي بـعـمـلـهـاـ من ذـوـاتـ النـظـام ، وهذا التـقـليـد مـفـتوـحـ بـحـمـدـ اللهـ
الـذـىـ تـكـفـلـ لـخـامـدـهـ بـالـزـيـادـةـ ، وـبـدـأـ النـعـمـةـ ثـمـ قـرـئـهـاـ من فـضـلـهـ بـالـإـعـادـةـ ، وـهـوـ
الـذـىـ بـلـغـ بـنـاـ مـنـ مـارـبـ الدـنـيـاـ مـنـقـھـ الـإـرـادـةـ ، وـسـلـمـ إـلـيـهـ مـقـادـھـ فـذـالـ إـنـاـ بـھـاـ
كـلـ مـقـادـةـ ، وـوـسـدـ الـأـمـرـ مـنـاـ إـلـىـ أـهـلـهـ فـائـسـةـ وـطـأـتـ الرـعـاـيـاـ مـنـهـ عـلـىـ وـسـادـةـ ، وـنـرـحـوـ
أـنـ يـجـمـعـ لـنـاـ بـيـنـ سـعـادـةـ الـأـوـلـىـ وـالـأـخـرـىـ حـتـىـ تـصـلـ هـذـهـ السـعـادـةـ بـقـلـكـ السـعـادـةـ .
ثـمـ نـصـلـيـ عـلـىـ نـبـيـهـ مـحـمـدـ الـذـىـ مـيـزـهـ اللـهـ عـلـىـ الـأـنـيـاءـ بـشـرـفـ السـيـادـةـ ، وـجـمـلـ اـنـشـقـاقـ
الـقـمـرـ لـهـ مـنـ آـيـاتـ النـبـوـةـ وـأـنـشـقـاقـ الـإـيـوانـ مـنـ آـيـاتـ الـوـلـادـةـ ، وـقـلـ اـلـهـ وـأـحـابـهـ
الـذـينـ شـادـوـاـ الـدـيـنـ مـنـ بـعـدـهـ فـأـحـسـنـواـ فـيـ الـإـشـادـةـ ، وـبـسـطـتـ عـلـيـهـمـ الدـنـيـاـ كـمـاـ
بـسـطـتـ عـلـىـ الـذـينـ مـنـ قـبـلـهـمـ فـلـمـ يـحـوـلـوـاـ عـنـ خـلـقـ الزـهـادـةـ . أـمـاـ بـعـدـ كـذـاـ وـكـذـاـ «
ثـمـ أـمـهـىـتـ التـقـليـدـ إـلـىـ آـخـرـهـ .

ومن الحداقة في هذا الباب أن يُجهَّل الدعاء في أول الكتاب من السلطانيات والإخوانيات وغيرها متضمناً من المعنى ما يُنْهِي عليه ذلك الكتاب، وهذا شيء انفرد بابتداعه، وتراه كثير فيها أنشأته من المكاثبات، فإلى توخيه فيه أو قصدهه، فمن ذلك ما كتبته في الماء بفتح وهو «هذا الكتاب مُشَافَةٌ بخدمة الماء» العباس السامي الفلافي جدد الله له في كل يوم فتحاً، وبدل عرشه كل ذي سلطان لديه صرحاً، وجعل كل موقف من موافق جوده وبأسه يوم فطر ويوم أصبحى، وكسب له على إسان الإسلام وإن الأئمَّةُ ثقاءُ خالدًا ومدحًا،

(١) تحریق : قبول .

وأسكنه بعد العمر الطويل داراً لا ينظم فيها ولا يضحي » ثم أخذت بعد ذلك في إنشاء الكتاب المتضمن معانٍ ما يقتضيه ذلك الفتح .

ومن ذلك ما ذكرته في البناء بمولود وهو « جَدَّدَ اللَّهُ مَسَرَّاتِ الْمَحْلَسِ السَّامِيِّ الْفَلَانِيِّ وَوَصَلَ صَبُوحَ هَذَا ثَهْبَقَ بَغْبُوقَهُ ، وَأَمْتَعَهُ بِسَلِيلِهِ الْمَبْشَرِ بَطْرُوقَهُ ، وَأَبْقَاهُ حَتَّى يَسْقُضِي بَنْوَرَهُ ، وَبَرْنَى عَنْ فُوقَهُ ، وَسَرَّهُ بِهِ أَبْكَارِ الْمَعَانِي حَتَّى تَخْلُقَ أَعْظَافَهَا بِخَلْوَقَهُ ، وَجَعَلَهُ كَزْرَعَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَخْلَفَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقَهُ » ثم أخذت في إتمام الكتاب بالبناء بمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى .

فتأمل ما أوردته هنا من هذين للذالين ، وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعانى التي تبى عليهم كتبك ، فإن ذلك من دقائق هذه الصناعة .

وأما فوائح الكتاب التي أنشأتها فمنها ما اختراعاً ولم أسبق إليه ، وهي عدة كثيرة ، وقد أوردت هنا بعضها .

ومن ذلك مفتح كتاب إلى ديوان الخلافة وهو « نشأت سجابة من سداء الديوان العزيز النبوى ، جعل الله الخلود لدولته أوطاناً ، والحدود لها أركاناً ، ونصب أياماً

في أيام الدهر أعياناً ، وصورها في وجهه عيناً وفي عينه إنساناً ، ومد ظالماً على الناس عدلاً وأحساناً ، وجهم الأمم على دين طاعتـها وإن تفرقوا أدياناً ، وآتـها من معجزات سلطـانـه مالم يتركـه لغيرـها ساطـاناً ، فارتـاح الخادـم لـاقـتها ، وبـسطـيـده لـاستـقـتها ، وقال رحمة مـرـملـة لا تـخـشـي رـعـودـها ، وـلا تـخـلـفـ وـعـودـها ، وـمن شـأنـها تـروـيـضـ الصـنـائعـ التي تـبـقـى آثارـها ، لا الخـائـلـ التي تـذـوـي أزـهـارـها ، وقد يـمـبرـ عنـ

الـكتـابـ وـنـاثـلهـ بـالـسـجـابـ وـوابـلهـ ، فـإـنـ صـدـرـ عنـ يـدـ كـيدـ الـديـوانـ العـزـيزـ فقدـ وـقـعـ

الـتشـابـيهـ مـوـقـعـ الصـوابـ ، وـصـدـقـ حـيـلـهـ قـولـ القـائلـ : إـنـ الـبعـرـ عـنـصـرـ السـجـابـ ،

لَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ مَا يَجِدُ بِمَاهِهِ وَمَا يَجِدُ بِغَمَاهِهِ، وَبَيْنَ مَا يَسِّمُ الْأَرْضَ الْمَاحِلَةَ،
وَبَيْنَ مَا يُسَمِّي الْأَفْدَارَ الْخَامِلَةَ، وَمَا زَالَتْ كِتَابَ الدِّيَوَانِ الْعَزِيزَ تُفْرَبُ إِلَيْهَا
الْأَمْثَالُ، وَتُهَرَّفُ نَحْوُهَا الْآمَالُ، وَيُرَى الْحَسَدُ فِيهَا حَسَناً وَإِنْ عَدَ فِي غَيْرِهَا
مِنْ سُبِّ «الْأَعْمَالِ» وَهَذَا فَصْلٌ مِنْ أُولَئِكَ الْكِتَابِ.

وَمِنْ جَهَةِ الْكِتَابِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ مِنْهُ فَتَحَ كِتَابَ كِتَابِهِ إِلَى بَعْضِ الْإِخْرَانِ، وَأَرْسَلَهُ
إِلَيْهِ مِنْ الْمَوْصَلِ إِلَى أَرْضِ الشَّمَالِ مِنْ بَلَادِ الرُّومِ، وَهُوَ «طَلْمَعُ كُوكُبٍ مِنْ أَفْقِ
الْمَجَلسِ السَّائِي لَا خَلَّتْ سِيَادَتُهُ مِنْ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ، وَلَا شَيْنَتْ بَتْوَامٌ بُخْرِجَهَا مِنْ
حُكْمِ الْوَاحِدِ، وَلَا عَدِمَتْ صُبْحَةُ الْجَدُودِ الْمُقْيَظَةُ فِي الزَّمَنِ الرَّاقِدِ، وَلَا أُوْحَشَتْ
الْهَنْيَا مِنْ ذِكْرِهِ الْخَالِدِ»، الَّتِي هُوَ هُرُورُ خَالِدٍ، وَلَا زَالَ مَرْفُوعًا إِلَى الْمَحْلِ الَّذِي
يُنْكِلُّ بِهِ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ فَاقِدٌ، وَالْكَوَاكِبُ تَخْتَلِفُ مَطَالِعُهَا فِي الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ،
فَمِنْهَا مَا يَطَّافُ دَائِمًا فِي أَحَدِهَا وَهُوَ فِي الْآخِرِ دَائِمًا لِلْغَرْبِ، وَكِتَابُ الْمَجَلسِ
كُوكُبٌ لَمْ يُرَأِ بِهَذِهِ الْأَرْضِ مَطْلَعَهُ، وَإِنْ عُلِّمَ مِنَ الْمَاءِ أَيْنَ مَوْضِعُهُ، وَمَا ظَاهِرٌ
الآنَ لِلْخَادِمِ سَبِّحَ لَهُ حَامِدًا، وَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا، وَقَالَ قَدْ عَبَدَتِ الْكَوَاكِبُ مِنْ
قَبْلِي فَلَا عَجَبَ أَنْ أَكُونَ هَذِهِ الْكَوْبُ عَابِدًا، وَهَا أَنَا قَدْ أَصْبَحَتُ بِالْعَكْوَفِ
عَلَى عِبَادَتِهِ مُغْرِيًّا، وَقَالَ النَّاسُ هَذَا ابْنُ أَبِي كِبْشَةَ الْكِتَابِ لَا ابْنُ أَبِي كِبْشَةَ
الْشَّعْرَى» وَهَذَا مَطَّلِعٌ غَرِيبٌ، وَالسِّيَاقَةُ التَّالِيَةُ لِمَطَالِعِهِ أَغْرِبٌ.

وَمِنْ أَغْرِبِ مَا فِيهَا قَوْلٌ «وَهَا أَنَا قَدْ أَصْبَحَتُ بِالْعَكْوَفِ عَلَى عِبَادَتِهِ مُغْرِيًّا،
وَقَالَ النَّاسُ هَذَا ابْنُ أَبِي كِبْشَةَ الْكِتَابِ لَا ابْنُ أَبِي كِبْشَةَ الشَّعْرَى» وَالْمَرَادُ
بِذَلِكَ أَنَّ أَبَا كِبْشَةَ كَانَ رَجُلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُ الشَّعْرَى، نَخَالِفُ بِذَلِكَ دِينَ
قَوْمِهِ، وَلَا بَعْثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ قَرِيشٌ هَذَا قَدْ خَالَفَ دِينَنَا، وَسَمِعْهُ
(م - ٨ المثل السائر)

انَّ أَيِّ كِبِشَةً، أَيِّ أَمَّهُ قَدْ خَالَفَنَا كَمَا خَالَفَ أَبُوكِبِشَةَ قَوْمَهُ فِي عِبَادَةِ الشِّعْرِيِّ،
فَأَخْذَرْتُ أَنَا هَذَا الْمَعْنَى وَأَوْدَعْتُهُ كَمَا نَجَاهَ كَمَا تَرَاهُ مِنْهُ لِدَعْمَ غَرِيبِهِ .

وَمِنْ جَلَّ الْكَتَبِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا مُفْتَحٌ كِتَابٌ كَتَبَتْهُ إِلَى بَعْضِ الْإِخْرَانِ وَهُوَ
« طَلَعَتْ مِنَ الْغَرْبِ شَمْسٌ فَقِيلَ قَدْ آذَنَتْ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ بِالْاقْتِرَابِ ، وَلَمْ يُعْلَمْ
أَنَّ تَلْكَ الأَنْوَارِ إِنَّمَا هِيَ أَنْوَارُ الْكِتَابِ ، لَمْ تَأْلِفِ الْأَبْصَارُ مِنْ قَبْلِهِ أَنْ تَطْلُمَ
الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا كِتَابٌ الْمَجْلِسُ لَا سَلَبَهُ اللَّهُ مِزِيَّةٌ هَذَا
الْوَصْفُ الْكَرِيمُ ، وَآتَاهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا يَقُولُ مَعَهُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ، وَأَخْيَى
النَّفُوسَ مِنْ كَلْمَاهَا بِرُوحِ كَلِمَهِ كَاشِفِ غُلَامِهَا مِنْ أَفْلَامِهِ بِسُقُونِ الْكَلِيمِ ، وَلَمَّا
وَرَدَ عَنِ الْخَادِمِ صَارَ لِيَلَهُ نَهَارًا ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الْحَدِيثِ بِهِ أَطْوَارًا ، وَلَلَّذِينَ
هُنْ مِنْهُمْ يَقُولُونَ قَدْ جَرَتِ الشَّمْسُ إِلَى مُسْتَقْرَرِهَا ، وَالشَّمْسُ لَا تَجِدُ قَرَارًا » وَهَذَا
الْكِتَابُ فِي الْحَسْنِ وَالْغَرَبَةِ كَالَّذِي قَبْلَهُ .

وَمِنْ جَمْلَةِ الْكِتَبِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا مُفْتَّحٌ كِتَابٌ كَتَبَهُ إِلَى الْإِخْرَانِ وَهُوَ
« تَأْوِبَ زَوْرٌ » مِنْ جَانِبِ الْمَجْلِسِ السَّاعِي أَدْنَى اللَّهِ دَارِهِ ، وَجَعَلَ كَلَامَهُ التَّاْمَةَ جَارِهِ ،
وَأَنْهَدَ أَفْعَالَ الْقَوْيِ لِيَلِهِ وَأَفْعَالَ الْمَكَارِمِ نَهَارِهِ ، وَوَهْبَهُ مِنْ أَعْمَارِ الْعِمرِ
طِوَالِهِ ، وَمِنْ أَعْمَارِ الْعِدْشِ قِصَارِهِ ، وَلَا أَقْدَرَ الْأَسَابِقَيْنِ إِلَى الْمَعَالِي أَنْ يَجْزِرُوا
مَعَهُ ، وَلَا أَنْ يَشْفُرُوا غَبَارِهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ الزَّوْرُ إِلَّا سَطُورًا فِي قِرْنَاطِاسِ ،
وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْكِتَابِ وَبَيْنَ مَرْسَلِهِ فِي مَلاطِنَةِ الْإِيْفَاقِ ، وَأَنَّهُ لَا يُصْغَىُ تَحْمِشَيْ
هَذَا الزَّأْرُ وَيُقْرَأُ عَيْنِي بِرُؤْبِتِهِ حَتَّى لا أَزَالُ بِهِ قَرِيرَ النَّاظِرِ ، وَمِمَّ هَذَا فَانِي عَاتِبُ
لِلتَّأْخِرِ ، وَهَا هَذَا مَظْنَةُ الْعَقَابِ ، وَمِنْ تَأْخِرِ عَنْهُ كِتَابٌ صَدِيقٌ فَلَابِدُ أَنْ يَخْطُرَ لِهِ
خَاطِرُ الْأَرْتِيَابِ ، وَالظَّنِينِ بِالْمَوْدَةِ لَا يُبَرِّى إِلَّا ظَنِينَا ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا وَدِيَةٌ وَقَلِيلًا
عَمَّا نَجَدَ عَلَى الْوَدَائِعِ أَمْيَنَا » وَهَذَا فَحْصٌ مِنَ الْكِتَابِ .

وَمِنْ جَلَّ الْكِتَابِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا مُفْتَحٌ كِتَابٌ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْإِخْرَانِ وَهُوَ
مِنْ سَفْحَتِ رُوْضَةٍ مِنْ جَانِبِ الْمَعْلُوسِ السَّامِيِّ جَعَلَ اللَّهُ الْمَعْالِيَ لَهُ رِدَاءً ، وَنَهَايَاتِ
الْمَسَاعِيِّ لَهُ ابْتِدَاءً ، وَفِدَاءً بِمَنْ يُقْهِرُ عَنْ دَرْجَتِهِ حَتَّى تَكُونَ الْأَكَارِمُ لَهُ فِدَاءً ،
وَهَدَى الْخَامِدَ لِأَفْوَاهِهِ وَأَهْدَى الْبَقَاءِ لِأَيَّامِهِ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ لَهُ الْأَمْرَانِ لَهُ هُدَى
وَإِهْدَاءً ، وَآتَاهُ مِنَ الْمُبَادَةِ مَا يَجْعَلُ أَعْدَاءَهُ أَصَادِقَ ، وَمِنَ الْمُسَادَةِ مَا يَجْعَلُ
أَصْدَقَاهُ أَعْدَاءَ ، قَاتِلَتْ نَشْقَ الْخَادِمِ رَبِّيَّاهَا^(١) ، وَتَلَقَّى بِالْتَّحْيَةِ سَحَّابَاهَا ، وَاسْتَمْتَعَ
بِأَزْهَارِهَا الَّتِي أَنْبَتَهَا سَقِيَّاً الْأَقْلَامَ ، لَا سَقَى الْغَمَامَ ، وَقَالَ هَذَا رَبِيعُ الْأَرْوَاحِ
لَا رَبِيعُ الْأَجْسَامَ ، وَلَوْ رَأَمَ الْإِحْاطَةَ بِوَصْفِهَا لَكَانَتِ الْأَقْوَالُ الْمَطْوَلَةُ فِيهَا
مُخْتَصَرَةً ، وَلَكَنَّهُ أَكْتَفَى بِأَنْ رَفَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ أَنَّ الْجَنَّةَ فِي شَجَرَةٍ ،
وَمِنْ أَوْصَافِهَا أَنَّهَا جَاءَتْ رَائِدَةً ، وَمِنْ شَأنِ الرُّوْضَنِ أَنَّهُ يُرْقَادَ ، وَحَلَّتْ مَحَاسِنُهَا
الَّتِي هِيَ فِي غَيْرِهَا مِنْ حَظَّ الْبَعْرِ ، وَفِيهَا مِنْ حَظَّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفَوَادِ ، وَلَمَّا
سَرَحَ فِيهَا نَظَرُهُ وَجَدَ شَوْقَهُ حَمَّامَةً تَغَرَّدُ فِي أَكْفَافِهَا ، وَرَدَدَ الشَّجَّارُ الْمُبَعَّدُ أَلْيَفَهَا ،
إِذَا رَدَدَتِهِ الْحَامِمُ لِقَرْبِ الْأَفْهَامِ ، وَهَذَا قَوْلُ عَذْدَ إِخْرَانِ الصَّفَاءِ عَلَامَةً ، وَإِذَا تَمَثَّلَ
كِتَابُ الْحَبِيبِ رُوْضَةً فَهُلْ يَتَمَثَّلُ شَوْقُ مَحْبِبِهِ إِلَّا حَمَّامَةً؟ وَأَيْ فَرْقٌ بَيْنَ هَذِهِ وَبَيْنِ
أَخْوَاتِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَطْوَاقِ ، إِلَّا أَنَّهَا تُمْلِي شَجَنَوْهَا عَلَى صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَتَلَكِّ
تَلَكِّيَّةً عَلَى عَذَّبَاتِ الْأَورَاقِ .

وَهَذَا فَصْلٌ مِنَ الْكِتَابِ وَهُوَ غَرِيبٌ عَجِيبٌ ، وَفِيهِ مَعْنَيَانٌ مُبْتَدَعٌ ،
وَأَعْجَبُهُمَا وَأَغْرِبُهُمَا قَوْلِي « حَتَّى يَتَمَثَّلَ أَنَّ الْجَنَّةَ فِي شَجَرَةٍ » وَهَذَا مُسْتَخْرَجٌ مِنَ
الْحَدِيثِ النَّبُوِيِّ .

وَمِنْ جَلَّ الْكِتَابِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا مُفْتَحٌ كِتَابٌ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْإِخْرَانِ وَهُوَ
مِنْ تَضَوَّعَتْ نَهْجَةُ مِنْ تَلَقَّاهِ الْمَعْلُوسِ السَّامِيِّ رَعَى اللَّهُ عِبَادَهُ وَسَقَاهُ ، وَصَانَ وَدَهُ

(١) كَافَتْ بِالْأَصْلِ (رَبِّيَّاهَا) .

وَوَقَاهُ، وَيُسْرِلِي إِلَيْهِ الْمَصَانِبُ لِمُقَاهَ، فَهَطَرَتِ الْطَّرِيقُ الَّتِي سَابَرْتُهَا، وَالرَّبِيعُ الَّتِي
جَاءَوْرُتُهَا، فَأَفْرَشْتُهَا خَدْدِي، وَضَمَّتِ عَلَيْهَا وُدُّي، وَجَعَلْتُهَا رُدْنَةً^(١) لِحَبِيبِي
وَلَطَّايمَةً لِرُدْنَةِي، وَسِخَابًا^(٢) لِعِقْدِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفْحَةِ طَيْبٍ، وَلَكِنَّهَا
كِتَابٌ حَبِيبٌ، فَإِنْ مَنَشِقَ الْأَرْوَاحُ غَيْرَ مَنَشِقِ الْأَجْسَامِ، وَلَا يَسْتَوِي عَرْفُ
الْطَّيْبِ وَعَرْفِ الْأَفْلَامِ، ثُمَّ مَدَتْ بَدِي إِلَى الْكِتَابِ بَعْدَ أَنْ صَافَاتِي بَدِي مُوَصَّلَهُ،
كَمَا صَافَتْ عَبْقَ مَنْدَلَهُ^(٣)، وَقَلَتْ أَهْلَهُنَّ أَدْنَى مِنْ الْحَبِيبِ مَزَارًا، وَأَهْدَى
أَعْمَى قُرْرَةً وَلَقْلَبِي قَرَارًا.

وَهَذَا فِي الْفَرَا، كَأَخْوانِهِ الَّتِي تَقْدَمْتُ، وَلَمْ أَسْتَقْصِ مَا اخْتَرَعَهُ مِنْ هَذَا
بَابَ فِي مَطَاعِمِ الْكِتَابِ.

وَأَمَا مَا أَتَيْتُ فِيهِ بِالْمَحْسَنِ مِنْ الْمَعْانِي وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُخْتَرِعٍ، فَنَّ ذَلِكَ مَطْلَعُ
كِتَابِ كَتَبَهُ عَنِ الْمَلَكِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ بْنِ مُسْعُودِ صَاحِبِ الْمَوْصَلِ إِلَى الْمَلَكِ
الْأَفْضَلِ عَلَى بْنِ يُوسُفِ يَتَضَمَّنُ تَعْزِيزَةً وَتَهْنِيَةً، أَمَّا التَّعْزِيزُ فَوَقَاهُ أَخِيهِ الْمَلَكُ الْعَزِيزُ
عَمَّانُ صَاحِبِ الْمَهْرِ، وَأَمَّا التَّهْنِيَةُ فَبِحُورَاتِهِ الْمَلَكِ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ « لَا يَعْلَمُ الْقَلْمَ أَيْنَ يَطْلَقُ
بِلْسَانَ التَّعْزِيزِ أَمَّ بِلْسَانَ التَّهْنِيَةِ، لَكِنَّهُ جَمِيعُهُمَا فَآتَى بِهِمَا عَلَى حُكْمِ الْقَدْنِيَّةِ»،
وَفِي مَثَلِ هَذَا النَّحْطَبِ يَظَلُّ الْقَلْمُ حَارِرًا، وَقَدْ وَقَفَ وَقْفَ السَّمْطِ وَالرَّضَا فَسَخَطَ
أُولَئِنَمْ رَضِيَ آخِرًا، وَهَذَا الْبَيْتُ النَّاصِرِيُّ يَتَدَالِلُ دَرَجَاتِ الْعِلَالِ فَمَا يَعْفُى إِلَّا وَإِلَيْهِ
تَرْجَعُ، وَشَمْوَسُهُ وَأَفْهَارُهُ تَقَنَّاقِلُ مَطَاعِمِ السَّمْوَدِ فَهَا يَغْيِبُ مِنْهَا غَائِبٌ إِلَّا وَآخِرُ يَطَالِمُ،
وَالنَّاسُ إِنْ يَخْوِلُوا بِمَاجِدٍ، رَدَّدَهُ مِنْ بَعْدِهِ مَاجِدٌ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّ الْمَاضِيَ كَانَ وَاحِدًا

(١) كَانَتْ فِي الأَصْلِ رَدْعَةً

(٢) السَّعْدَابُ عَلَى وزَنِ كِتَابٍ قَلَادَةً مِنْ مَسْكٍ (نُوْعٌ مِنْ الطَّيْبِ) وَقَرْنَفَلٍ وَمَحْلَبٍ
يَلَا جُوهِرٌ.

(٣) العَبْقُ : مَصْدَرُ عَبْقِ الطَّيْبِ إِذَا فَاحَتْ رَائِعَتِهِ، وَكَانَتْ فِي الأَصْلِ (عَبْقَةً).
الْمَنْدَلُ : عَلَى وزَنِ مَقْدَدِ الْعُودِ أَوْ أَجْوَدِهِ كَالْمَنْدَلِ.

قبل بل الآنى هو الواحد » وهذا فصل من أول الكتاب .
نم كتبت في هذا المعني كتابين آخرين وفي الذى أورده من هذا الفصل مقنع .

ومن هذا الأسلوب ما كتبته إلى بعض الإخوان جواباً عن كتابه ، وكانت
الكتاب قد انقطعت بيني وبينه زماناً وهو (لقاء كتب الأحباب كلقاء الأحباب) ،
وقد تأثر بعد ذلك منها في شتيه دعم المزور بدم المكثاب ، ومن أحسنها كتاب
المجلس السامي الفلايى جعل الله الداء إلى له صحياً ، والمعانى له عقباً ، ورفع مجده
فرق كل ماجد حتى يكون حسناتهم لدى حسناته ذنبها ، ولا زال اسمه في الأفواه
عذراً ، وذكره في الألسنة رطباً ، وونه لكل إنسان إنانا ونكل قلب قلباً «
ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا النسق ، وإنما ذكرت هنا بهذه داراً لأنه
الفرض المقصود في هذه الموضوع .

ومن ذلك ما كتبته إلى بعض الإخوان جواباً عن كتابه وهو « البدشرى
تعطى الكتاب كما نفعى لمصلحة وكل منها يوفى حق قدره وينزل في منزلة ،
وكذلك فعل الخادم بكل كتاب المجلس السامي الفلايى لازال محله أنيساً ، وذكره للفرقدان
جلسياً ، وسميه على المكارم حبيساً ، وبجره جديداً الملابس إذا كان المجد لم يبساً «
وه هنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرته من الذى قبله ، فإني لم أذكر
إلا بهذه الذي هو الفرض .

وما ينظم هذا السالك ما كتبته في صدر كتاب يقتضى تعزية وهو « لو لم
يلبس قلبي ثوب الحداد لمجرد مداده ، وتنضاجه سواده ، وبعد عن قرينته ، وعاد
إلى طياته ، وحرم على نفسه أن يمتهن يداً ، أو يجري إلى تمدّى ، لكنه أحد
أندب ونبي فسّكب ، وسطر هذا الكتاب من دموعه ، وضمه ما حملته أحنته
ضلوعه ، وإنما استعار ذلك من صاحبه الذى أعداه ، وأبدى إليه من عزمه

ما أبداه ، وهو نائب عنه في تربة سيدنا أَنْجَدَ اللَّهُ صَبْرَهُ، ويسر أمره ، وأرضي عنه دهره » ثم أنهيت الكتاب إلى آخره .

ومن محسن هذا الباب أن يفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم ، أو يخبر من الأخبار النبوية ، أو بيت من الشعر ، ثم يعن الكتاب عليه ، فعن ذلك ما كتبته في ابتداء كتاب يقصد من البشري بفتح وهو :

وَمِنْ حَلْبَ الْفَتْحِ الْجَالِيلِ فَإِنَّا مَفَاتِيحُهُ لِبِرِّضُ الْخَقَافَ الصَّوَادِمَ^(١)

وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم ، وجعلنا السيف وسيلة إلى استدراك الملك العظيم ، ورایة الجدلا تُنصَبُ إلا على النصب ، والراحة الكبرى لانفال إلا على جسر من التهاب^(٢) ، وكتابتنا هذا وقد امتدوا بنا على مملكة فلانة وهي لاملكة التي تُمْسِي الآمال دونها صراغي ، وإذا قيس إليها غيرها من المالك كانت أصلاً وكان غيرها فرعاً » وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن ذلك ما كتبته في مفتتح تقليد بالحسب و هو « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفحون^(٣) »

(١) من قصيدة المتنبي في مدح سيف الدولة ، التي مطلعها :
على قدر أهل العزم تأثر العزائم وتأثر على قدر المكارم المكارم
الديوان ٤٢٢/٤ .

(٢) من قول أبي تمام :
حضرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب
من قصيده في مدح المنضم بعد فتح عمورية التي مطلعها :
السيف أصدق أبناء من الكتاب في حده الحمد بين الجد والتعب
الديوان ٤٥/١ .

(٣) قرآن كريم سورة آل عمران ١٠٤ .

هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ، ولا يختص به إلا ذرو الأوامر المطاءة وذرو المعلوم ، وقد جمع الله لنا هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلصين عليهما ، فنبداً أولاً بمحمه الذي هو سبب المزيد ، ثم لذاخذ في القيام بأمره الذي هو على كل نفس منه رقيب عقيدة ، ولاريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكي بظاهرها ، وتتامع عيونها ، ويشارك في بركات السماوات الساكنها ومسكونها ، والأمر بذلك حمل إن لم تتوزعه الأكفُ تقلُ على الرقب ، وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقر إلى مساعدة من مستقيم ومستقاب ، وقد اخترنا لمدينة فلانة رجلاً لم نألف في اختياراته جمداً ، وقد منافيه خيرة الله التي إذا صدقت نيتها صادفت رشدًا ، وهو أنت إليها الشیخ فلان ، فابسط يدك بقوة إلى أخذ هذا الكتاب ، وكن حكمة من حسفاتها التي يرجح بها ميزان المواب ، وحقق نظرنا فيك فإنه من الله الذي ليس دونه حجاب » .

فتأمل كيف فعلت في هذه الآية التي بنيت التقليد عليها ، وهو من محسن للبادي الافتتاحات .

وكذلك فعلت في موضع آخر وهو مفتقع كتاب كتبته إلى شخص كلفته السفارية إلى مخدومه في حاجة عرضت وهو « إن أولى الناس بـ إبراهيم الـ الذين اتبعوه وهذا الـبني والـ الذين آمنوا ^(١) ». هذا القول يُتبع آثاره ، وتحمل عليه أنظاره ، وأولى الناس بـ سيد ما من شاركه في ملحمة أدبه ، وإن لم يشاركه في ملحمة نفسه ، فإن المغاقب أقارب ، والمسائز أو اصر :

وليس يَعْرِفُ لـي فضلي ولا أديبي إلا أمرؤ كان ذا فضل وذا أدب

(١) قرآن كريم سورة آل عمران ٦٨ .

وَنَتْيَاجُهُ هَذِهِ الْمَقْدِمَةِ بَعْثٌ خَلْقُهُ الْكَرِيمُ عَلَى عَوَارِفِ أَفْضَالِهِ ، وَاسْتِهْدَاءٌ
صَنْيِعَةِ جَاهِهِ الَّتِي هِيَ أَكْرَمُ مِنْ صَنْيِعَةِ مَالِهِ ، وَلَا تِجَارَةٌ أَرْبَحُّ مِنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ ،
وَالْمَاعِيَّ فِيهَا شَرِيكٌ فِي الْكَسْبِ بِرَبِّهِ مِنَ الْخَسَارَةِ » .

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ النَّبُوِيَّةُ فَيُسْكَلُّ بِهَا هَذِهِ الْمَسْلَكُ ، بِأَنَّ يَذْكُرَ الْخَبْرُ فِي إِصْدَرِ
الْكِتَابِ ، نَعَمْ يُبَيِّنُ عَلَيْهِ ، وَلَنْ ذَكْرٌ مِنْهَا وَلَوْ مِثْلًا وَاحِدًا ، وَهُوَ تَوْقِيعٌ كَتَبَتْهُ لَوْلَدْ
رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَتَوْفِيقٌ وَالدِّهْ وَنَقْلٌ مَا كَانَ بِإِمْرِهِ إِلَيْهِ فَقَلَّتْ : « قَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَرَكَثَ مَالًا فَوَرَثَتْهُ
وَمَنْ تَرَكَ دِيْنًا أَوْ كَلَّا أَوْ ضَيْبًا عَلَى إِلَيْهِ وَعَلَى » وَهَذَا خُلُقٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّبُوِيَّةِ
لَا مُزِيدٌ عَلَى حَسْنَتِهِ ، وَأَسَالَ يَمِّبَ الْمَكَارِمَ بِأَسْرِهَا مُوضِوعَةً فِي ضَمَّنِهِ ، وَنَحْنُ نُرْجُو
أَنْ نَمْشِي عَلَى أُثْرِهِ ، فَنَتَغَرَّلَ مِنْزَلَةَ رَدِيفِهِ ، أَوْ نَتَشَبَّهُ بِهِ فَنَبْلُغُ مَبْلَغَ مُدْهَهِ أَوْ نَصِيفَهِ ،
وَقَدْ أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ فِي قَوْمٍ سَبَبُونَا فَأَسْعَفُنَا هُمْ بِهَا غَيْرِ الْإِنْعَامِ ، وَأَحْمَدُنَا هُمْ صُحْبَةَ الْأَيَّالِي
وَالْأَيَّامِ ، وَتَكَلَّفُنَا أَيْتَامُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ حَتَّى وَدَوْا أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْأَيْتَامُ ، وَهَذَا
إِنْ فَلَانْ رَحْمَهُ اللَّهُ مَنْ كَانَ لَهُ فِي خَلْقَةِ الدُّولَةِ قَدَّمُ صِدْقًا وَأَوْلَيَةَ سَبْقًا ،
وَحَذَّرَ كِتَابَ الْحَافِظَةِ عَلَيْهَا ، فَقَيِيلَ لَهُ فِي تِلَاءِهِ أَفْرَا وَارْقَ » .

فَمَمْ أَنْهَا تَوْقِيعُ إِلَى آخِرِهِ ، فَتَأْمَلُ مُفْتَحَعَ هَذِهِ التَّوْقِيعِ ، فَإِنَّهُ تَصْنَعُ نَصَّ
الْخَبْرِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ ، وَقَدْ ضَمَّنَهُ بَعْضُ خَبْرِ آخِرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبُوِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ
أَفْرَا وَارْقَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَفْرَا وَارْقَ وَرَتَلَ
كَمَا كَفَتْ رَتَلَ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنْ مِنْ زَلَقْتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَفَرُّهَا .

وَقَدْ مَهَلَّتْ لَكَ هَا هَنَا أَمْثَالًا يُفْتَدَى بِهَا فَاحْذُ حَذْوَهَا وَامْضِ عَلَى نَهْجِهَا ،
وَاللَّهُ أَمْوَقُ لِلصَّوَابِ .

النوع الثالث والعشرون

في التخلص والاقتضاب

وهذا النوع أيضا كالذى قبلى في أنه أحد الأركان الخمسة التي تقدمت
الإشارة إليها في الفصل الناسع من مقدمة الكتاب ، وينهى أنها المتواشح لهذه
القضولة أن تصرف إليها حين همك ، فإنه مهم عظيم من مهمات
البلاغة .

[التخلص]

اما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعانى ، فبینما هو فيه
إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه آخذًا برقاب
بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه
كأنما أفرغ إفراغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوته تصرفه من أجل
أن نطاق الكلام يصدق عليه ، ويكون مقبعا للوزن وللقافية فلا تواليه الألفاظ
على حسب إرادته ، وأما النائز فإنه مطابق العنوان يعني حيث شاء ، فلذلك بشق
التخلص على الشاعر أكثرا مما يشق على النائز .

وأما الاقتضاب فإنه ضد التخلص ، وذاك أن يقطع الشاعر كلامه الذي
هو فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون
لهماي علاقه بالأول ، وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين .

وَأَمَا الْمُحْدَثُونَ فَإِنَّهُمْ تَصْرِفُونَ فِي التَّخَلُّصِ فَأَبْدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ كُلَّ غَرِيبَةٍ
هُنَّ ذَلِكَ قَوْلُ أَبْنَى تَمَامٌ :

يَقُولُ فِي قَوْمٍ صَحْنِيٍّ وَقَدْ أَخْذَتْ مِنَ الْأَسْرَى وَخُطَا الْمَهْرَبَةَ الْقُودَ
أَمْطَلَّمُ الشَّمِسَ تَبَغِيْ أَنْ تَؤْمِنَ بِنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطَلَّمُ الْجُودِ^(١)

وهذا إنما يحيى في هذا الباب ونادره .

وكذلك قوله أيضاً في وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكره وما وصفه به
من الأوصاف فقال :

خَلْقٌ أَطَلَّ مِنِ الرَّبِيعِ كَانَهُ خَلْقُ الْإِمَامِ وَهَذِهِ الْمَتَبَرِّ
فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدْلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنَ النَّباتِ الْغَضْ وَرْجُ نَزْهَرِ
تَهْسَى الْرِّيَاضِ وَمَا بُرُوضَ جُودُهُ أَبْدَأَ عَلَى مَرِ الْيَالِيِّ يُذْكَرُ^(٢)
وهذا من أطرف التخلصات وأحسنها .

(١) في مدح عبد الله بن طاهر لما خرج إليه (الديوان ١٢٢/٢) قومٌ : بلد بين العراق وخراسان وطبرستان بالقرب من أصفهان . المهرية : الإبل الكريمة نسبة إلى مهرة ابن حيدان . قود : طوبلات الأعناق المفردة قوداء . والذى بالديوان (تبغى أن تؤمِن بنا) .

(٢) من قصيدة في مدح المنعم (الديوان ١٩١/٢) والذى بالديوان (بروض فعله) بدلاً من جوده ، وفي الأصل (على مر الزمان ويذكر) فأصلحنا الشطر من الديوان . يزيد أن الرياض تنسى وتذبل أما فعله فلا ينقم ولا ينسى .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي قُصْبِدَتِهِ الْفَائِيَّةِ الَّتِي أَوْلَاهَا أَمَا الرِّسُومَ فَقَدْ أَذْكَرْنَّ مَا سَلَفَـا (١) .

فَقَالَ فِيهَا (١) :

خَيْدَاهُ جَادَ وَلَىٰ الْحَسَنَ سُفْهَاهُ فَصَاغَمَـا بِيَدِيهِ جَنَّةَ أَنْهَا
يُضْحِي العَذُولَ عَلَى تَأْبِيهِ كَلِـمًا بُعْدُرَ مَنْ كَانَ مَشْفُوفًا بِهَا كَلِـمًا
وَدَعَ دُؤَادَكَ تَوْدِيعَ الْفِرَاقَ فَا أَرَاهُ مِنْ سَقَرِ التَّوْدِيعِ مُفْصَرَةً
يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طُورًا ثُمَّ يَجْزِي بِهِ جِهَادَهُ لِلْقَوَافِي فِي أَبِي دُلَّـفَا

وَهَذَا أَحْسَنُ مِنَ الدُّرْيَ قَبْلَهُ ، وَأَدْخُلْ فِي بَابِ الصَّنْعَةِ .

وَكَذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ :

رَأَمْتُ هُوَكَ عَنْهَا الْغَدَةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طَلُولَ الْأَوَى وَرِسُومَ
لَا وَالَّذِي هُـوَ عَالَمُ أَنَّ النُّوَى صَبَرَ وَأَنَّ أَبَا الْحَسَنِ كَرِيمَ
مَازَلْتُ عَنْ سَفْنِ الْوَدَادِ وَلَا عَدَتْ نَفْسِي عَلَى إِلَفِ سَوَالِكَ تَحْوُمَ (٢)

وَهَذَا خَرْوَجٌ مِنْ غَزْلٍ إِلَى مَدِيجٍ أَغْزَلَ مِنْهُ .

(١) مِنْ قُصْبِدَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي دَلْفِ الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى الْعَجْلَى (الْدِيْوَانُ ٣٥٩/٢) ،
الَّتِي مَطْلُعُهَا .

أَمَا الرِّسُومَ فَقَدْ أَذْكَرْنَّ مَا سَلَفَا فَلَا تَكْفُنْ عَنْ شَانِيكَ أَوْ يَكْفَا
وَفِي الْدِيْوَانِ (رُوضَةُ أَنْهَا)

وَلِي الْحَسَنُ : الْحَسَنُ الْمَذْوَالُ الْمُتَابِعُ ، مِنَ الْوَلَى وَهُوَ الْمَاطِرُ بَعْدَ الْمَطْرِ .

(٢) مِنْ قُصْبِدَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَبِيبِ بْنِ شَبَانَةَ (الْدِيْوَانُ ٢٨٩/٣) ،
الَّتِي مَطْلُعُهَا :

أَسْقَ طَلَوْهـمْ أَجْسَنْ هَرِيمْ وَهَدَتْ هَلِيـمْ نَخْرَةَ دَنِيمْ
كَانَ الأَصْلُ (الْوَلَى أَجْل) وَ (مَا حَلَتْ هُنَّ سَفْنَ الْوَدَادِ) .

ومن البديع في هذا الباب قول أبي نواس من جملة قصيدة المشهورة
التي أولها « أجارة بَيْتِيْنَا أَبُوكَ غِيَور » فقال عند الخروج إلى ذكر
المذوح :

تفول التي من بيتها خف مركبي عزيز عاينا أن نراك تسير
أما دون مصر للفني متطلب بلى إن أسماب الفن لكنير
فقات لها واسطة بجلتها بوادر جررت فجري في جريهن عبر
ذرني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيها الخصيب أمير^(١)

وما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدة الدالية
التي أولها « عواذل ذات الخال في حواسد » :

وأورد نفسى والمهند فى يدى موارد لا يصدرن من لا يجالد
ولكن إذا لم يحمل القلب كفه على حالة لم يتحمل السكن ساعد
خليلى لانى لا ارى غير شاعر فلم منهم الداعوى ومن الفصائل^(٢)
فلا تعجبما إن السيف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد^(٣)

(١) الديوان ٤٨٠) من قصيده في مدح الخصيب . بالديوان (من بيتها) و فيه (الخصيب) . بوادر : دموع مستبقات . عبر : رائحة ذكية ، أي اختلط دمها بغيرها .

(٢) من قصيده في مدح سيف الدولة الذي مطلعها :

عواذل ذات الخال في حواسد وإن ضجيم العود مني اساجد
(الديوان ١ / ٣٥٥) .

لا يصدرون من لا يجالد : أورد نفسى في الحرب ، وارد هلاك لا يرجم واردمها حبا .
ومعنى البيت الثاني أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكتف ؟ فإذا لم تقو الكتف بقوته
= القلب فإنها لا تقوى بقوه الساعد .

وهذا هو الكلام الآخر بعضه برباب بعض .

الآن إلى الخروج إلى مدح المدوح في هذه الآيات كأنه أفرغ في قائب واحد ، ثم إن أبو الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة بيدت واحد وهو من بدائع المشهورة .

وكذلك قوله أيضاً وهو من أحسن ما أتي به من التخلصات ، وهو في قصيدةه
الثانية التي أولها « يربّ محسنة حُرمت ذَواتها » فقال في أئفتها :

وَمَطَالِبٌ فِيهَا الْمَلَكُ أَنْتُهُمَا نَبَتَ الْجَفَانِ كَأَنِّي لَمْ آتُهُمَا
وَمَقَابِلٌ بِمَقَابِلٍ غَادَرْتُهُمَا أَقْوَاتَ وَخِشْ كَمْ مِنْ أَقْوَاتِهِمَا
أَفْبَلْتُهُمَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا أَنْيَدَى بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَّاهِهِمَا
الثَّابِتِينَ فُرُوسَةَ كَجَلْودِهِمَا فِي ظُهُورِهِمَا وَالظَّاعِنَ فِي لَبَّاهِهِمَا
فَكَأَنَّهَا تُتَجَّتُ قِيامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِّدُوا عَلَى صَهْوَاهِهِمَا
تَلَكَ النَّفُوسُ الْفَالِبَاتُ هُلِّ الْعَلَا وَالْمَعْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهْوَاهِهِمَا
سَرِيَتْ مَفَاقِعُهَا الْقِيَ سَقَتِ الْوَرَى بِيَدَى أَبِي أَيُوبَ خَيْرِ أَبَاهِهِمَا (١)

== ومعنى البيت الرابع أنه في الشهراه ممتاز سيف الدولة في السيف ، وكل منها
منقطع النظر وإن كان له أشباه ونظائر في التسمية .

(٢) من قصيده في مدح أبي أيوب أحد بن عمران (الدبوان ٤٥٥) .

مقاب : جم مقابل وهو الطائفه من الغيل تجتمع للغارة . أقوات : مفعول ثان افادتها
بقول رب جيش من الفرسان لقيته بعثله من صحبي فتركته قوتا للوحوش التي كانت قوتا
له يصددها ويذبحها ويأكلها .

أفبلتها غرَّ الجياد : جعلتها تقبل غرَّ جيادها التي أوصلتها إلى أهدافها وشفت
صدرها منهم ، لأن هذه الغرَّ أيدى بني عمران . تجت : ولدت . صهواها : جم ضهوة .
وهي مقعدا لفارس على الحصان .

فاظظر إلى هذين التخلصين البدويين ، فالأول خرج به إلى مدح قوم المدوح ، والثاني خرج به إلى نفس المدوح ، وكلامها قد أغرب فيه كل الإغراط .

وعلی هذا جاء قوله :

إذا صُلتْ لم أُنْرِكْ مَهْمَلًا لصائل دَانْ قُلْتْ لم أُنْرِكْ مقالاً لعالم
وَإِلَّا نَحْمَانْيِ الْوَافِي وَعَاقِنِي عن ابن عَبْيِيدِ اللَّهِ ضَفْفُ العَزَامِ^(١)
والشُعُراء متفاوتون في هذا الباب ، وقد يُقْصَرُ عنه الشاعر الملقى المشهور
بالإجادة في إيراد الألفاظ واختيار المعانى ، كالمحترى فإن مكانه من الشعر
لا يُجْهَل ، وشعره هو السهل الممتنع الذي رأه كالشمس قريباً ضوفها بعيداً
مكانها ، وكالقناة لَيْلَةً كَسْهَا خَشِنَّا بِسَنَانَها ، وهو على الحقيقة قِيَمةُ الشُعُراء فِي الإطْرَاب ،
وَعَنْقُؤُمُ فِي الإِغْرَاب ، ومع هذا فإنه لم يُوْفَقْ فِي التخلص من الغزل
إِلَى الْلَّدِيع ، بل افْتَضَبَه افْتَضَابًا .

وأقد حفظت شعره فلم أجده من ذلك شيئاً مرضياً إلا الإسراء ، كقوله
في قافية الباء من قصيدة .

وَكَفَانِي إِذَا الْمُؤْمِنُونَ أَظْلَمُهُمْ - نَّعَمْ شَهَادَةُ بُنْرَةٍ إِنْ شَهَابٌ^(٢)

وكقوله في قافية الدال من قصيدة :

قَصَدَتْ لِنَجْرُانِ الْعَرَاقِ رَكَابُهَا يَطْلُبُنَ أَرْجُونَ مَحْلَةَ مَاجِدِ

(١) من قصيدة في مدح أبي محمد الحسن بن عبيدة الله بن طفج (الديوان ٤ / ٣٠٣)
كان الأصل (مصالح لفاظك).

(٤) من قصيدة في مدح أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ شَهَابٍ الْمُطَلِّعِيَا :

بِمَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وَقْفِ الرَّكَابِ فِي مَغَانِيِ الْعَبَا وَرَسْمِ التَّصَابِيِّ
الْدِيوَانُ ١ / ٧١) .

آئُتْ لَا تَلَقَّيْنَ جَدًّا صَاعِدًا فِي مَطْلَبِ حَقٍ تُخْنَ بِصَاعِدٍ^(١)
وَكَقُولَهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا « حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ يَوْمَ التَّفْرِقِ » فَإِنَّهُ تَشَوَّقُ
عِنْهَا إِلَى الْعَرَاقِ مِنَ الشَّامِ ، وَوَصَفَ الْعَرَاقَ وَمَنَازِلَهُ وَرِيَاضَهُ فَأَحْسَنَ فِي ذَلِكَ كَلَمَهُ ،
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَدْحَنِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ بِسِيَاقَةِ آخِذَةٍ بِعِضْهُمْ بِرِقَابِ بَعْضِهِمْ فَقَالَ :
رِبَاعٌ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ لَمْ تَرَكْ . غَنِيَ الْقَدِيمُ أَوْ فَكَاكَا كَلْمُوقُ^(٢)

ثُمَّ أَخْذَ فِي مَدْحَنِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِضَرْبِهِ مِنَ الْمَعْنَى ، وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ
فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا : « مَيْلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ كَلْمِيلِ تَحْيِيْهَا » فَإِنَّهُ وَصَفَ الْبَرَكَةَ
فَأَبْدَعَ فِي أَوْصَافِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى مَدْحَنِ الْخَلِيفَةِ الْمَتَوَكِّلِ فَقَالَ :

كَأَنَّهَا حِينَ ابْتَتْ فِي تَدْفِيْتِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَا سَالَ وَادِيهَا^(٣)

وَأَحْسَنَ مَا وَجَدَتِهِ لَهُ ، وَهُوَ هَمَا تَلَطَّفَ فِيهِ كُلُّ التَّلَاطُفِ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ
الَّتِي يَمْدُحُ بِهَا ابْنَ بَسْطَامَ وَمَطْلَعَهُ « تَصِيبُ عَيْنَيْكَ مِنْ سُعُّ وَتَسْبِحَامٍ » فَقَالَ
عَنْدَ تَخَلُّصِهِ إِلَى الْمَدْحَنِ :

هَلْ الشَّبَابُ مُلِيمٌ بِفِرَاجَةِ أَيَامِهِ لِيَ فِي أَعْقَابِ أَيَامِ ؟

لَوْ أَنَّهُ بَابِلَ عَمْرٌ يَجَذِّبُهُ إِذَا تَطَبَّقَهُ عَنْدَ ابْنِ بَسْطَامِ^(٤)

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحَنِ صَاعِدِ بْنِ مُخْلَدٍ (الْدِيْوَانُ ١٠٨/١) فِي الأَصْلِ (فَظَلَّكَ أَزْجِيْهَا حَلَةً مَا جَدَ) وَلَا مَعْنَى لَهُ ، وَهُوَ (حَتَّى تَنَاهَى) وَالْدِيْوَانُ أَصْوَبُ .

(٢) تَكَلَّهُ الْمَطْلَعُ : وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِيْهِ بِهَا الْمُتَعْلِقُ (الْدِيْوَانُ ١٢٢/٢) وَبِالْدِيْوَانِ (نَكَاكَا لِرْهَقِ) .

(٣) تَكَلَّهُ الْمَطْلَعُ : نَعَمْ وَنَسَأَلُهُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِيْهَا (الْدِيْوَانُ ٣١٨/٢) .

(٤) لَمْ نَعْثُرْ عَلَى الشَّعْرِ وَلَا عَلَى الْبَيْتَيْنِ فِي دِبْوَانِهِ . وَقَوْلُهُ (لَوْ أَنَّهُ بَابِلَ عَمْرٌ) فِي تَحْرِيفٍ وَغَمْوَضٍ .

وهذا من الملائحة في هذا الباب .

وله مواضع أخرى يشير إلى كثرة شعره .

وقال أبو الملا محمد بن غانم المعروف بالغاني^(١) إن كتاب الله خال من التخلص . وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من الكلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعظ والذكير والإذار والبشرة بالجنة إلى أمر ونهي ووعيد ووعيد ، ومن محكم إلى متشابه ، ومن صفة النبي مرسى ومملكت مُنْزَل إلى ذم شيطان مريض وجبار عنيز ، بلطائف دقيقة ومعانٍ آخذ بعضها برقاب بعض .

فما جاء من التخلص في القرآن الكريم قوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا آنْبُد أصناماً فـنـظـال هـا عـاـكـفـين . قال هل يـسـعـونـكـمـ إـذـ تـدـعـونـ أـوـ يـنـفـعـونـكـمـ أـوـ يـهـرـعـونـ ؟ قالوا بل وـجـدـنـا آـبـاءـنـا كـذـلـكـ يـفـعلـونـ . قال أـفـرـأـيـتـمـ هـاـ كـنـقـمـ تـعـبـدـونـ أـنـقـمـ وـآـبـاؤـكـمـ الـأـنـدـمـونـ فـإـنـمـ عـدـوـلـيـ إـلـاـ رـبـ العـالـمـينـ الـذـيـ خـلـقـنـيـ فـهـوـ يـهـدـيـنـ ، وـالـذـيـ هـوـ يـطـعـمـنـ وـيـسـقـيـنـ ، وـإـذـاـ مـرـضـتـ فـمـوـ يـشـفـيـنـ ، وـالـذـيـ يـمـيقـنـ ثـمـ يـعـيـنـ ، وـالـذـيـ أـطـعـمـ أـنـ يـغـفـرـ لـيـ خـطـيـئـتـيـ يـوـمـ الدـيـنـ ، رـبـ هـبـلـيـ حـكـمـاـ وـالـحـقـنـيـ بـالـصـالـحـيـنـ ، وـاجـعـلـ لـيـ لـسانـ صـدـقـ فـيـ الـآـخـرـيـنـ ، وـاجـمـلـنـيـ مـنـ وـرـثـتـ رـجـنـةـ النـوـمـ ، وـارـغـفـ لـأـبـيـ إـيـهـ كـانـ مـنـ الضـالـيـنـ ، وـلـاـ تـخـزـنـيـ بـوـمـ يـبـعـثـونـ . بـوـمـ لـأـيـفـعـ مـالـ وـلـاـ بـنـونـ إـلـاـ مـنـ أـنـيـ اللـهـ بـقـابـ سـلـيـمـ ، وـأـزـلـفـتـ الجـنـةـ الـمـتـقـيـنـ ، وـرـزـقـتـ الـجـحـيـمـ لـفـاظـيـنـ ، وـقـبـلـ لـهـمـ أـبـنـ مـاـ كـنـقـمـ تـعـبـدـونـ

(١) أبو الملا محمد بن غانم ، كان من شعراء عصره وفضلاه ، وهو من شعراء نظام الملك (الباب ابن الأنبار ١٦٦/٣) .

من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فلهم كما كنتم بهم والغاؤون ،
وَجْهُوكُلِّ أَجْهَمْ ، قالوا لهم فيما يخترقونه إله إله إن كُلُّا في ضلالٍ مُبِين ،
إذ أَسْوِيْكُم بِرَبِّ الْعَالَمِين ، وما أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُون ، فَالآنَ مِنْ شَافِئِين
وَلَا صَدِيقٍ حَيْيِمٍ ، فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِين »^(١) .

هذا كلام يُسْكِنُ العقول ، وَيَسْحِرُ الأَبَابَ ، وفيه كفاية لطالب البلاغة ،
فيماه متى أَنْعَمَ فيه نظاره ، وتدر أَهْمَاءه وَمَطَّاوِي حِكْمَتِه عِلْمٌ أَنْ في ذلك غَنِي عن
تصفح الْكِتَابِ الْمُؤْلَفُ فِي هَذَا الْفَنِ ، إِلَّا تَرَى مَا أَحْسَنَ مَا رَتَبَ إِلَيْهِمْ عَلَيْهِ
السلام كلامه مع المشركيين حين سأَلُوهُمْ أَوْلَى عَمَّا يَعْبُدُونَ سُؤالٌ مُقرَرٌ لا سُؤالٌ
مُسْتَفْسَرٌ ، ثُمَّ أَنْجَحَ عَلَى آلهِهِمْ فَأَبْطَلَ أَمْرَهَا بِأَنَّهَا الْأَنْفَرُ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبَصِّرُ
وَلَا تَسْمُمُ ، وَعَلَى تَقْلِيدِ آبَاهُمُ الْأَقْدَمِينَ فَكَسَرَهُ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ
شَبِيهَ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ حَجَةً ، ثُمَّ أَرَادَ الْخَرْوَجَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى ذِكْرِ الإِلَهِ الَّذِي
لَا تَنْجِبُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ ، وَلَا يَنْهَا الرِّجْوُعُ وَالإِذَاْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ ، فَصُورَ الْمَسَأَةَ فِي
نَفْسِهِ دُوْسِهِ بِفَوْلَهُ : «فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِي» ، عَلَى مَعْنَى أَنِّي فَكَرَتْ فِي أَمْرِي فَرَأَيْتُ عِبَادَتِي
هَذَا عِبَادَةً لِلْعَدُوِّ وَهُوَ الشَّيْطَانُ فَاجْتَبَاهَا ، وَآتَتْ عِبَادَةَ مَنْ الْخَيْرُ كَائِنٌ فِي يَدِهِ ،
وَأَرَاهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهَا أَنْصِيَّةٌ يَنْصَحُّ بِهَا نَفْسُهُ ، لِيَنْظَارُوا فَيَقُولُوا مَا نَصَحَنَا إِلَيْهِمْ
إِلَّا بِمَا أَنْصَحْنَا بِهِ نَفْسُهُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعِيَ لَهُمْ إِلَى الْقَبُولِ لِقَوْلِهِ ، وَأَبْعَثْ عَلَى
الْاسْتَعْمَاعِ مِنْهُ ، وَلَوْ قُلْ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِكُمْ لَمْ يَكُنْ بِهِمْ الْمُثَابَةُ ، فَتَخْلُصُ عَنْهُ تَصْوِيرُهُ
الْمَسَأَةَ فِي نَفْسِهِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَجْزِي عَلَيْهِ تَلَاقُ الصَّفَاتِ الْمُظَانِ مِنْ تَفْخِيمِ

شأنه ، وتعديل دينه ، من أدنى خلقه رأشاه إلى حين وفاته ، مع ما يرجي في الآخرة من رحمة ، ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة ، واجب على الخلق الخضوع له والامتنان لعظمته .

ثم خرج من ذلك إلى ما يلامه ويقاشه ، فدعاه الله بدعوات الخاصين ، وابتَلَ إِلَيْهِ ابْتِلَ الْأَوَّلِينَ ، لأن الطالب من مولاه إذا قدم قبل موته وتضرعه الاعتراف بالذمة كان ذلك أسرع الإجابة ، وأنجح لحصول الطلبة .

ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ، ويوم القيمة ومجازاته الله تعالى من آمن به وانقاده بالجنة ومن ضل من عياده بال النار ، فجمع بين الترغيب في طاعته ، والترهيب من معصيته .

ثم سأله المشاركون عما كانوا يعبدون سؤالاً ثانية عند معانقة الجزاء ، وهو سؤالٌ موجّح لهم مستهزئ بهم ، ذكر ما يدّعون إليه عند ذلك من الندم والمحسنة على ما كانوا فيه من الفسال ، وتمي العودة لبيوتهموا .

فانظر إليها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض ، من احتواه على ضروب من المعانى ، **فَيَخْلُصُ** من كل واحد منها إلى الآخر بلطيفة ملائمة ، حتى كأنه أفرغ في قالب واحد ، خخرج من ذكر الأصنام وتنفير أبيه وقومه من عبادتهم إياها ، مع ماهي فيه من التبرير عن صفات الإلهية ، حيث لا تفسر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، إلى ذكر الله تعالى ، فوصفة بصفات الإلهية ، فنظم شأنه ، وعد دينه ، ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح إلا له .

ثم خرج من هذا إلى دعائه إياه وخصوصه له ، ثم خرج منه إلى ذيذكر يوم

القيمة وثواب الله وعقابه ، فتدرك هذه التخلصات الاطافية المودعة في أمناء هذا الكلام .

وفي القرآن مواضع كثيرة من التخلصات ، كالذى ورد في سورة الأعراف ، فإنه ذكر فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية من آدم إلى نوح عليهمما السلام ، وكذلك إلى قصة موسى عليه السلام ، حتى انتهى إلى آخرها الذي هو :

﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِيَقَاتِنُوا ، فَلَمَّا أَخْدَهُمُ الرَّجْفَةَ قَالَ رَبُّ لَوْرَشَتَ أَهْلَكْتُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِبَابِي ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَا ، إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَةٌ تُهْلِكُ بِمَا مِنْ تَشَاءُ وَتَنْهَى . مِنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلَيْسَنَا فَانْغَفِرْنَا وَارْجَحْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . وَاكْتَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ، قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءُ ، وَرَحْقَي وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَاكَنَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقَونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا بُؤْمَوْنُ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَجْدُونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَحْلِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضْعِفُ عَنْهُمْ أَصْرَارَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَانْتَهَبُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكُمْ لِلْفَاجِحَوْنَ^(١) .﴾

هذا تخلص من التخلصات الحسان ، فإن الله تعالى ذكر الأنبياء والقرون

للاضيـة إـلـى عـهـد مـوـمـعـي عـلـيـهـ السـلـامـ ، ذـلـكـ أـرـادـ ذـكـرـ ذـيـنـا صـلـواتـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـهـ
ذـكـرـهـ بـتـخـالـصـ اـنـظـمـ بـهـ بـعـضـ الـكـلـامـ بـعـضـ .

أـلـاـ تـرـىـ أـنـهـ قـالـ قـالـ مـوـمـعـي عـلـيـهـ السـلـامـ « وـاـكـتـبـ لـنـاـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ حـسـفـةـ
وـفـيـ الـآـخـرـةـ » فـأـجـبـ بـقـوـلـهـ تـعـالـيـ قـالـ عـذـابـ أـصـيـبـ بـهـ مـنـ أـشـاءـ وـرـحـقـيـ
وـسـعـتـ كـلـ شـيـءـ فـسـأـكـتـبـهـ لـلـذـينـ مـنـ حـالـهـ كـذـاـ وـكـذـاـ ، وـمـنـ صـفـتـهـ كـيـتـ
وـكـيـتـ ، وـهـمـ الـذـىـ يـتـبعـونـ الرـسـولـ النـبـىـ الـأـمـىـ ، ثـمـ وـصـفـهـ صـلـواتـ اللـهـ عـلـيـهـ بـصـفـاتـهـ
إـلـىـ آـخـرـ الـكـلـامـ .

وـبـالـلـهـ الـعـجـبـ كـيـفـ بـزـعـمـ الغـانـىـ أـنـ لـلـقـرـآنـ خـلـيـ منـ التـخـالـصـ ؟ أـلـمـ يـكـفـهـ
سـوـرـةـ بـوـسـفـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، فـإـنـهـاـ قـصـةـ بـرـأـسـهـ ، وـهـيـ مـضـمـمـةـ شـرـحـ حـالـهـ مـعـ إـخـوـتـهـ
مـنـ حـمـارـهـ إـلـىـ آـخـرـهـ ، وـفـيـهـ عـدـهـ تـخـلـصـاتـ فـيـ الخـرـوجـ مـنـ مـعـنـىـ إـلـىـ مـعـنـىـ ،
وـكـذـلـكـ إـلـىـ آـخـرـهـ .

وـلـوـ أـخـذـتـ فـيـ ذـكـرـ مـاـفـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ لـأـطـلـتـ ، وـمـنـ أـنـمـ
نـاظـرـهـ فـيـهـ وـجـدـ مـنـ ذـلـكـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ^(١) .

وـقـدـ جـاءـنـىـ مـنـ التـخـاصـاتـ فـيـ الـكـلـامـ المـنشـورـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ ، وـسـأـذـكـرـ
هـاهـنـاـ نـوـذـةـ يـسـيـرـةـ مـنـهـاـ ، فـنـ ذـلـكـ مـاـ أـوـرـدـتـهـ فـيـ كـتـابـ إـلـىـ بـعـضـ الـإـخـوانـ
أـصـفـ فـيـهـ الـرـبـيعـ ثـمـ خـرـجـتـ مـنـ ذـلـكـ إـلـىـ ذـكـرـ الـأـشـوـاقـ فـقـلتـ « وـكـماـ أـنـ هـذـهـ

(١) أـوـرـدـ الزـرـكـشـىـ فـيـ كـتـابـهـ الـبـرـهـانـ فـيـ عـلـومـ الـقـرـآنـ ١/٣ـ ، ٠٠ دـعـوىـ الغـانـىـ
الـتـىـ ذـكـرـهـ اـبـنـ الـأـنـبـىـ ، وـذـكـرـ أـمـيـلـةـ مـنـ التـخـاصـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، بـعـضـهـاـ ذـكـرـهـ اـبـنـ
الـأـنـبـىـ ، وـنـرـجـعـ أـنـ الزـرـكـشـىـ نـقـلـ مـنـ اـبـنـ الـأـنـبـىـ لـأـنـ الزـرـكـشـىـ تـوـقـىـ سـنـةـ ٧٩٤ـ وـابـنـ الـأـنـبـىـ
تـوـقـىـ سـنـةـ ٦٣٧ـ .

الأوصاف في شأنها بدويّة، فـكذلك شوق في شأنه بداع، غير أنه لحره فصل
صيف وهذا فصل ربيع، فـأنا أمني أحديه العجيبة على النــوى، وقد عرـفت
ـHadith من قتلـ الشــوق فلا أــستــغــضــ حدــيثــ من قــتــلهــ الهــوىــ».

وــمنــ هــذــاــ الأــســلــوبــ ماــ كــتــبــهــ إــلــىــ بــعــضــ الإــخــوــانــ أــيــضاــ وــأــرــســلــتــهــ إــلــيــهــ مــنــ بــلــادــ الرــومــ، وــهــوــ كــتــابــ يــشــتــقــلــ عــلــيــ وــصــفــ الــبــرــدــ وــمــاــ لــاقــيــتــهــ مــنــهــ، ثــمــ خــرــجــتــ مــنــ ذــالــكــ إــلــىــ ذــكــرــ الشــوقــ فــقــلتــ «ــ وــمــاــ أــشــكــوــهــ مــنــ بــرــدــهــ أــنــ الــفــرــ وــلــاــ يــلــهــســ إــلــاــ فــ شــهــرــ نــاجــرــ، وــهــوــ قــائــمــ مــقــامــ الطــالــلــ الذــىــ يــتــبــرــدــ بــهــ مــنــ لــفــحــ الــهــواــجــرــ، وــأــفــرــطــ شــدــتــهــ لــمــ أــجــدــ مــاــ يــخــفــفــهــ، فــضــلــاــ عــمــاــ يــذــهــبــهــ؛ــ فــإــنــ النــارــ الــمــعــرــةــ لــهــ تــطــلــبــ مــنــ الدــفــءــ أــيــضاــ مــاــ أــطــلــبــهــ، لــكــنــ وــجــدــتــ نــارــ أــشــوــاــقــ أــشــدــ حــرــاــ، فــاــصــطــلــيــتــ بــحــمــرــهــ الــقــلــاــنــذــ كــيــ بــزــنــادــ، وــلــاــ تــؤــلــ إــلــىــ دــمــاــدــ، وــلــاــ يــدــقــعــ الــبــرــ الــوــارــدــ عــلــ الــجــمــدــ بــأــشــدــ مــنــ حــرــ الــفــوــادــ.ــ غــيرــ أــيــ كــتــتــ فــيــ ذــالــكــ كــمــ مــدــ خــلــةــ بــخــلــةــ، وــاســتــشــفــيــ مــنــ عــلــمــ بــعــلــةــ، وــأــفــتــلــ مــاــ أــعــلــكــ مــاــ شــفــاكــ، فــاــظــنــكــ بــمــنــ يــصــطــلــلــ نــارــ الــأــشــوــاــقــ.ــ وــقــدــ قــنــعــ مــنــ أــخــيــهــ بــالــأــورــاقــ، فــضــلــاــ عــلــيــهــ بــالــأــورــاقــ».

وــمــاــ يــنــتــظــمــ فــيــ هــذــاــ عــقــدــ مــاــ ذــكــرــتــهــ فــيــ مــفــتــحــ كــتــابــ يــتــضــمــنــ عــنــيــاــةــ بــعــضــ الــمــتــظــلــمــينــ فــاــســتــطــرــدــتــ فــيــهــ إــلــىــ ذــكــرــ الــمــكــتــوبــ إــلــيــهــ»ــ وــهــوــ «ــ هــدــاــيــاــ الــمــكــارــمــ أــنــفــســ مــنــ هــدــاــيــاــ الــأــمــوــالــ، وــأــبــقــىــ عــلــيــ تــعــاــقــبــ الــأــيــامــ وــالــلــيــالــ، وــقــدــ جــلــ هــذــاــ الــكــتــابــ مــنــهــ هــدــيــةــ تــورــثــ حــمــداــ، وــتــكــســبــ تــجــداــ، وــهــيــ خــيــرــ تــوــابــاــ وــخــيرــ مــرــداــ، وــلــاــ يــســيــرــ بــهــ الــإــســجــيــةــ طــبــعــتــ عــلــيــ الــكــرــمــ، وــخــلــقــتــ مــنــ عــنــصــرــ الــدــبــيمــ، كــســجــيــةــ مــوــلــاــنــاــ أــعــلــاهــ اللــهــ عــلــوــاــ تــفــخــرــ بــهــ الــأــرــضــ عــلــيــ الســمــاءــ، وــتــحــســدــهــ شــمــســ الــهــارــ وــنــجــومــ الــظــلــمــاءــ، وــلــاــ زــالــتــ أــيــادــيــةــ تــخــلــلــ صــوــبــ الــغــامــ، مــعــدــيــةــ عــلــيــ نــوــبــ الــأــيــامــ، مــفــتــيــةــ بــشــرــفــ فــضــلــهــ عــلــيــ شــرــفــ الــأــخــوــالــ وــالــأــعــامــ.ــ وــتــلــكــ الــهــدــيــةــ هــيــ تــجــدــيدــ الــثــفــاعــةــ فــيــ أــمــرــ

فلان ، ومن إيمان المرء معيه في حاجة أخيه ، وإن لم يمسه بشيء أسباب أو أخيه ، فإن المؤمنين إخوة وإن تباينت مفاسِبُهم ، وتفاوتت مراتبهم ، ومن صفاتهم أن يسعى بذمتهم أدناهم ، وخيرهم من عَنَاه من الأمر ما عناهم ». ثم مضيت على هذا النهج إلى آخر الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه من كتاب إلى صديق اسمه حديث مودته ، وهو من أهل العرق وكنت اجتمعت به بالموصل ، ثم سار عَنْي فككتبت إليه أستهله به رُطْبًا ، قالت « هذه المكانة ناطقة بلسان الشوق الذي تزِفْ كليمة زَفِيفَ الأوراق ، وتسجع سجع ذات الأطواق ، وتهتف وهي مقيمة بالموصل فتسجيح من هو مقيم بالعراق ، وأرجح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد ، ورُود استجرت حلتها ، واللذة مفترضة بكل شيء جديده . وأرجو ألا يُبلي قدم الأيام لهذه الجيدة لباسا ، وأن يعاد في نظرة الجن والإنس حتى لا تخشى جنة ولا بأسا . وقد قيل إن المودات طعمها ، كما أن لها وسما ، وأن ذا اللب يصادق نفسها قبل أن يصادق جسمها . وإن لأجد لومة سيدنا حلاوة يُستَلَذُ دوامها ، وقد أذكرتني الآن بحلوة الرطب الذي هو من أرضها ، وغير عجيب لمناسبة الأشياء أن يُذَكَّر بعضها ببعضها ، إلا أن هذه الحلاوة تعال بالأفواه ، وتلك تعال بالأمرار ، وفرق بين ما يُغترَسُ بالأرض وما يُغترَسُ بالقلب في شرف التمار ، فلا ينظر سيدنا على في هذا التهليل ، ولربما كان ذلك تعرضاً ينوب مناب التطفيل ». .

وهذا من التخلصات البدية ، فانظر إليها المتأمل كيف سقت الكلام إلى استهلاك الرطب ، وجعلت بعضه آخذًا برقاب بعض ، حتى كأنه أفرغ في قالب واحد ، وكذلك فليــكن التخلص من معنى إلى معنى . وهذا القدر من الأمثلة كاف للتعلم .

وَمَا أَسْتَظْرَفُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ فِي الشِّعْرِ قَوْلُ (ابن الزَّمَكْرَم) ^(١)
الْمَوْصِلِيُّ وَهُوَ :

وَلَيْلٌ كَوَاجِهُ الْبَرْقَعِيدِيُّ مَظْلُمٌ وَرِدٌ أَغَانِيهُ وَطُولُ قَرْوَنِهِ
سَرَيْتُ وَنُومِي فِيهِ نُومٌ شَرِيدٌ كَعْقُلٌ سَلِيمَانَ بْنَ فَهْدٍ وَدِينِهِ
عَلَى أَوَاقِ فِيهِ التَّفَاتٌ كَأَنَّهُ أَبُو جَارِ فِي خَبْطَهِ وَجَنُونِهِ ^(٢)
إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ سَفَّا وَجْهَ قَرْوَاشَ وَضَوْءَ جَبَيْنِهِ ^(٣)

وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِهَا حَكَاهِيَّةٌ، وَذَاكُ أَنَّ هَذَا المَدْوُحُ وَهُوَ شَرْفُ الدُّولَةِ قَرْوَاشُ
مَلَكُ الْأَرَبِ وَكَانَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ جَاسِّسًا مَعَ فَدْمَاهِ فِي إِيمَانِهِ مِنْ
إِلَى الشَّقَاءِ وَفِي جَهَنَّمِ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ هَجَاهُمُ الشَّاعِرُ، وَكَانَ الْبَرْقَعِيدِيُّ مَنْفِعَاهُ

(١) ذَكَرَ يَاقوُتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ غَيْرَ مَنْسُوبَةٍ إِلَى قَائِلِهَا (مَادَةُ بَرْقَعِيدِ).

وَرَجَعْنَا إِلَى كَثِيرٍ مِنْ كِتَابِ الْأَدْبِ، إِلَعْلَمَا نَهْتَدِي إِلَى تَصْوِيبِ اسْمِ الْقَائِلِ (ابن
الْزَّمَكْرَم) كَمَا ذَكَرَهُ الْمُؤْلِفُ، فَلَمْ نَمْتُ عَلَى ضَالِّنَا. ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى السَّكَامِلِ فِي التَّارِيخِ لِابن
الْأَئِمَّةِ، وَتَعَقَّبْنَا كُلَّ مَا ذُكِرَ عَنْ قَرْوَاشِ الَّذِي جَاءَ ذَكْرُهُ فِي الْأَبْيَاتِ، فَوُجِدَنَا يَذَكُرُ
أَنَّ الشَّاعِرَ اسْمُهُ ابنُ الزَّمَكْرَمِ (الْسَّكَامِلُ لِابنِ الْأَئِمَّةِ ٣٠٨/٧) أَمَّا فَوَاتَ الْوَفِيَّاتِ لِابنِ شَاهِكَرِ
فَهُوَ يَذَكُرُ الْأَبْيَاتَ مَنْسُوبَةً لِلْمَطَاهِرِ الْجَزَرِيِّ.

(٢) أَوَاقِ : الْوَاقِ : النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ، وَالْأَوَاقِ : الْجَنُونُ وَشَبَهُهُ، وَلِعَلِهِ ذَكْرُ
(الْأَوَاقِ) مَرِيدًا بِهِ التَّذَكِيرُ لِيَدِلُ بِهِ عَلَى الْجَمْلِ السَّرِيعِ، وَإِنْ كَانَتِ الْأَنْفَةُ لَا تَطَاوِعُهُ
فِي هَذَا.

(٣) الْبَرْقَعِيدِيُّ : مَنْسُوبٌ إِلَى بَرْقَعِيدِ، بَلْدُ مِنْ أَخْمَالِ الْمَوْصِلِ، مِنْهُ بَنُو حَمْدانُ التَّغَلِبِيُّونُ
سَيِّفُ الدُّلَةِ وَأَهْلِهِ. وَالْأَبْيَاتُ فِي هَجَاهِ سَلِيمَانَ بْنَ فَهْدِ الْمَوْصِلِيِّ وَمَدْحُ قَرْوَاشِ ابْنِ الْمَقْلُدِ
أَمِيرِ بَنِي عَقِيلِ، مَعْ تَغْيِيرِ يَسِيرٍ (مَعْجِمُ الْمَلَدَانِ مَادَةُ بَرْقَعِيدِ).

وَالْأَبْيَاتُ فِي السَّكَامِلِ لِابنِ الْأَئِمَّةِ ٣٠٨/٧ كَاهِيٌّ، عَدَا ظَلْمَةً بَدْلًا مِنْ مَظْلَمٍ . وَهِيَ
كَمَا قَالَ فِي قَرْوَاشِ وَابْنِ فَهْدٍ وَالْبَرْقَعِيدِيِّ وَأَبْنِ جَارِ، وَقَدْ أَجْعَمَ أَهْلُ الْبَيَانِ عَلَى أَنَّهَا غَايَةُ فِي
الْجَوْدَةِ، لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ خَيْرًا مِنْهَا فِي مَعْنَاهَا.

وَقَدْ مَاتَ قَرْوَاشُ أَوْ قُتِلَ سَنَةُ ٤٤٤ (فَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٢٦٥/٢)،

أَوْ سَنَةُ ٤٤٢ (الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ٦٢/١٢).

وسلميـان بن فـهد وزـيراً، وأـبو جـابر حـاجـياً، فـالـمـسـ شـرـفـ الـدـوـلـةـ مـنـ هـذـاـ لـلـشـاعـرـ أـنـ يـهـجـوـهـ الـمـذـكـورـيـنـ وـيـمـدـحـهـ، فـأـنـشـدـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ اـرـجـالـاـ، وـهـيـ غـرـبـةـ فـيـ بـابـهاـ لـمـ يـسـعـ بـعـثـامـاـ، وـلـمـ يـرـضـ قـائـمـهاـ صـنـاعـةـ الـتـخـاصـ وـحـدـهـ حـتـىـ رـقـيـ فـيـ مـعـانـيـهـ لـاقـصـودـةـ إـلـىـ أـعـلـىـ مـنـزـلـةـ، فـاـبـدـأـ الـبـيـتـ الـأـوـلـ يـهـجـوـ الـبـرـقـيـدـيـ، فـجـاءـهـ فـيـ ضـمـنـ مـرـادـهـ ذـكـرـ أـوـصـافـ لـيـلـ الشـاءـ جـمـيعـهـاـ، وـهـيـ الـظـالـمـةـ وـالـبـرـدـ وـالـطـوـلـ، ثـمـ إـنـ هـذـهـ الـأـوـصـافـ الـثـلـاثـةـ جـاءـتـ مـلـائـمـةـ لـمـاـ شـهـرـتـ بـهـ مـطـابـقـةـ لـهـ، وـكـذـلـكـ الـبـيـتـ الـثـانـيـ وـالـثـالـثـ، ثـمـ خـرـجـ إـلـىـ الـمـدـيـحـ بـالـطـفـ وـجـهـ وـأـدـقـ صـنـعـةـ، وـهـذـاـ يـسـمـيـ الـاسـتـطـرـادـ، وـمـاـ سـمـعـتـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ بـأـحـسـنـ مـنـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ.

وـمـاـ يـجـرـىـ عـلـىـ هـذـاـ الـأـسـلـوبـ مـاـوـرـدـ لـاـبـنـ الـحـجـاجـ الـبـغـادـيـ وـهـيـ أـبـيـاتـ لـطـيفـةـ جـدـاـ:

أـلـاـ يـاـ مـاءـ دـيـجلـةـ لـسـتـ أـدـرـىـ بـأـنـ حـامـيدـ لـكـ طـولـ عـمـرـيـ
وـلـوـ أـنـيـ اـسـتـطـعـتـ سـكـرـمـتـ سـكـرـأـ عـلـيـكـ فـلـمـ تـكـنـ يـاـ مـاءـ تـجـرـىـ
فـقـالـ الـمـاءـ: مـاـ هـذـاـ عـجـيبـ بـمـاـ اـسـتـوـجـبـهـ يـاـلـيـتـ شـعـرـيـ
فـقـلـتـ لـهـ: لـأـنـكـ كـلـ يـوـمـ تـمـرـ عـلـىـ أـبـيـ الـفـضـلـ بـنـ بـشـرـ
زـرـاهـ وـلـاـ أـرـاهـ وـذـاكـ شـئـ يـضـيقـ عـنـ اـحـمـالـكـ فـيـ صـبـرـيـ^(١)

وـمـاـ عـلـمـتـ مـعـنـىـ فـيـ هـذـاـ الـقـصـدـ أـلـطـفـ وـلـاـ أـرـقـ وـلـاـ أـعـذـبـ وـلـاـ أـحـلـىـ مـنـ هـذـاـ الـفـظـ، وـيـكـفـيـ اـبـنـ الـحـجـاجـ مـنـ الـفـضـيـلـةـ أـنـ يـكـونـ لـهـ مـمـلـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ.

(١) معاهد التنصيص ٤/٢٥٣ وفيه الـبـيـتـ الـثـالـثـ هـكـذـا:

فـقـالـ الـمـاءـ قـلـ لـيـ كـلـ هـذـاـ بـمـ اـسـتـوـجـبـهـ يـاـلـيـتـ شـعـرـيـ
وـفـيـ الـبـيـتـ الـأـخـيـرـ كـلـمـةـ صـدـرـيـ بدـلاـ مـنـ صـبـرـيـ.

ولا نظن أن هذا شيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة والاطالة ، وقات من تقدّمهم لما عندهم من قشّ العيش وغلظ الطعم ، بل قد تقدم أولئك إلى هذا الأسلوب وإن أفلوا منه وأكبر منه المحدثون ، وأي حنفٍ من محاسن البلاغة والفصاحة لم يُسبّبوا إليه ؟ وكيف لا وهم أهل و منهم علم وعوهم أخذ ؟

فن ذلك ما جاء للفردق وهو :

ورَكِبَ كَانَ الريح تطلب عَنْهُمْ هَا تِرَةً مِنْ جَذْرِهَا بِالْعَسَافَةِ
تَرَوَا يَخْبُطُونَ اللَّيلَ وَهِيَ تَلْفُّهُمْ عَلَى شَعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا مَا رَأَوْا نَارًا يَقُولُونَ لِتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ فَارُّ غَالِبٌ^(١)

فانظر إلى هذا الاستطراد ما أفله وأنفه .

واعلم أنه قد يقصد الشاعر التخلص فيأني به قبيحًا ، كما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدة التي أوصها [مُلِثُ الْقَطْرِ أَعْطِشُهَا رُبُوعًا] فقال عقد الخروج من الغزل إلى المدح :

غدا بك كل خلدو مشتهاما وأصبح كل مستورٍ خليعاً
أحبك أو يقولوا جر نمل سميرأ وان لبراهيم ريعاً^(٢)

(١) الديوان ٤/٣٠ وكان البيت الأول بالأصل (عندها ، لها قوة) والبيت الثاني (بخطبون) أما البيت الثالث فقد كان بالأصل (إذا آنسوا) وهي رواية معاهد التنصيص وفي الأغاني (إذا استوضعوا) .

(٢) الديوان ٤/٤٢٧ في مدح على بن لبراهيم التنوخي ، ملث القطر : المطر الدائم .
الخلو : الغالي من الهوى : المشتمام : الذاهب للاب من الهوى . الخلع : الذي ترك الحياة
وتنهك في الهوى . أو يقولوا : إلى أنت يقولوا . ثير : جبل بالمحجاز . ربع : أخيف . ابن
براهيم ، هو على الممدوح .

هذا التخلص كما تراه نارد ليس عليه من مسحة الجمال شيء ، وهذا هنا يكون الاقتضاب أحسن من التخلص .

فينبغي اسالك هذه الطرق أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن واتاه التخلص حسناً كما يأنبغي ، وإلا فليدعه ولا يستذكره حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو الطيب . ولهذا اظافر وأشباهه ، وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدة له التي أولها :

« أَحِيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاتَتْ مَا قَتَلَ » فقال :

عَلَّ الْأَمِيرَ بِرَىَ ذُلَىَ فِي شَفَعَ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكَتِنِي فِي الْهُوَى مَثَلًا^(١)
والإضراب عن مثل هذا التخلص خيرٌ من ذكره ، وما ألقاه في الهوة
إلا أبو نواس فإنه قال :

سأشكوك إلى الفضل بن يحيى من خالد هو أك لعل الفضل يجمع بينهما^(٢)
على أن أبو نواس أخذ ذلك من قيس بن ذرية ، لكنه أفسده ولم يأت
به كما أتي به قيس ، ولذلك حكاية وهو أنه لما هام به في كل واد وجن بها
رق له الناس ورحوه ، فسمى له ابن أبي عتيق إلى أن طلقها من زوجها وأعادها
إلى قيس ، فزوجها إيه ، فقال عند ذلك :

جَزَى الرَّحْنَ أَنْصَلَ مَا يُحَاجِزِي عَلَى الْإِحْسَانِ خَيْرًا مِنْ صَدِيقٍ
فَقَدْ جَرَبْتُ إِخْرَانِي جَيْعاً فَإِنَّ الْفَيْمَةَ كَانَ أَبِي عَتَيقَ
سَمِيَ فِي جَمْعِ شَمْلٍ بَعْدَ صَدْعٍ وَرَأَيِّي حَدَّتْ فِيهِ عَنْ طَرِيقٍ
وَأَطْفَأَ لَوْءَةً كَانَتْ بِقَلْبِي أَغْصَنَتِنِي حَرَارَتْهَا بِرِيقٍ^(٣)

(١) الديوان ٣٥٢/٣ في مدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الـكلابي المنجبي .

(٢) الديوان ٤٧٤ .

(٣) الأغاني ١٢٩/٨ كان في الأصل (وقد جربت) و (رأى حررت)

وَبَيْنَ هَذَا الْكَلَامِ وَبَيْنَ كَلَامِ أَبِي نُوَاسٍ بَوْنَ بَعِيدٍ ، وَقَدْ حَكِيَ عَنْ أَبِي عَتْيَقِ أَهْرَافِهِ قَالَ : يَا حَبِيبِي أَنْتَكَ عَنْ هَذَا الْمَدِيجِ ، فَاِسْمَعْهُ أَحَدٌ إِلَّا ظَنَنَ قَوْادِاً .

[ابو ذئفهاب]

وَأَمَّا الْأَنْتَصَابُ فَهُوَ الَّذِي أَشْرَنَا إِلَيْهِ فِي صَدْرِهِ هَذَا النَّوْعُ ، وَهُوَ قَطْعُ الْكَلَامِ وَأَمْسَأَنَّفَافَ كَلَامَ آخَرَ غَيْرِهِ بِلَا عَلَاقَةٍ تَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّخَاصِ وَهُوَ فَصْلُ الْخَطَابِ ، وَالَّذِي أَجْعَمَ عَلَيْهِ الْمُحْقِقُونَ مِنْ عَلَمَاءِ الْبَيَانِ أَهْرَافَهُ أَمَّا بَعْدُ ، لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَفْتَقِعُ كَلَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ دِيْنِيْنَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَنَحْمِيدِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْغَرَضِ الْمُسُوقِ إِلَيْهِ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ أَمَّا بَعْدُ .

وَمِنَ الْفَصْلِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَصْلِ لِفَظَةٍ هَذَا ، وَهِيَ عَلَاقَةٌ وَكِيدَةٌ بَيْنَ الْخَرْوَجِ مِنْ كَلَامِ إِلَى كَلَامِ آخَرَ غَيْرِهِ كَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ كَرِبَ عِبَادِنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَمْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِ وَالْأَبْصَارِ، إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنْ أُحْصِنَتْ فِينَ الْأَخْيَارِ، وَإِذْ كَرِبَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَالِكَفَلَ وَكُلَّ مِنَ الْأَخْيَارِ، هَذَا ذِكْرٌ وَإِنْ لَدَتِنِيْنِ لِحْنٌ مَآبٌ، جَفَّاتِ عَدَنِ مُفْتَحَةٌ لِهِمُ الْأَبْوَابِ﴾^(١) .

الْأَتَرِى إِلَى مَا ذُكِرَ قَبْلَ (هَذَا) ؟ ذُكْرٌ مِنْ ذُكْرِ مِنَ الْأَنْتَهَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ عَلَى عَقْبِهِ بَابًا آخَرَ غَيْرِهِ وَهُوَ ذُكْرُ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا ، فَقَالَ « هَذَا ذُكْرٌ » ثُمَّ قَالَ « وَإِنْ لَدَتِنِيْنِ لِحْنٌ مَآبٌ » ثُمَّ لَمَّا أَتَمْ ذُكْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَرَادَ

أن يقتببه بذكر أهل النار قال « هذا وإن لطاغين لشَّرَّ مَآبٌ » وذلك من فصل الخطاب الذي هو ألطاف موقعاً من التخلص .

وقد وردت لفظة هذا في الشعر ، إلا أن ورودها فيه قليل بالنسبة إلى الكلام المنشور ، فمن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدي^(١) في قصيدة أو لها « العِيش عَمَّنْ وَالزَّمَانْ غَرِيرٌ ». .

أَنِي لِي مَجْبُونِي الْزَّيْنَا فِي سُحْرَةِ
وَرْدَقْ لِي بِالْجَاهِشِرِيَّةِ زَيْرٌ^(٢)
وَأَكَادُ مِنْ فَرَحِ السُّرُورِ إِذَا بَدَا
ضُوءُ الصَّبَاحِ مِنْ السُّتُورِ أَطْيَرَ
وَإِذَا رَأَيْتُ الْجَوَّ فِي فِضَّيَّةِ
مَفْقُوشَةِ صَدْرَ الْبُزَّاَةِ كَانَهُ
نَادَتِ بِاللَّذَاتِ وَيَحْكُكَ فَاتَّهَزَ
رَمْلِي إِلَى جَوْرِ السَّقَافَةِ فَإِنِي
هَذَا وَكُمْ لِي بِالْجَاهِشِرِيَّةِ مَكْرُورٌ
بِاسْكَرُّتُهَا وَغَصُونُهَا مَغْزُورَةُ
فِي صَفَّةٍ : أَنَادَ وَالنَّدِيمُ وَقَيْنَةُ

(١) من بلدة يقال لها بلد من بلاد الجزائر التي فيها الموصل . اسمه أبو بكر محمد بن أحمد بن حدان . وكان أمياً ، وشعره كلُّه ملح وتحف وطرف ، ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر (بقيمة الدهر ٢٠٨ / ٢) .

(٢) الجاهشريّة : شرب مع الصبح ، وهي أيضاً السحر . الزيز : وتر من أوتار العود .

(٣) المرز بالفتح الحباس الذي يحبس الماء ، فارمى مغرب (هامش القاموس مادة مرز) والمروز جم مرز ، يريد أن الأغصان متاشابكة تحبس الماء . مغزورة : أصابها مطر غزير أو ماء كثيف .

هذه الأبيات حسنة وخر وجهها من يصدق هذا الرجل الخباز عجيبة ، ولو جاءت في شهر أبي نواس لزانت ديوانه .

والاقضاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى ، والتخالص بالنسبة إليه قطرة من بحر ، ولا يكاد يوجد التخالص في شعر الشاعر الحميد الأقليل بالنسبة إلى المفهوم من شهره .

فن الاقضاب قول أبي نواس في قصيدة النونية اللّٰتِي أَوْلَاهَا .

« يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدَّمَنِ »

وهذه القصيدة هي عين شعره ، والملاحة لمعيون ، وهي تنزل منه منزلة ألف لامنزلة النون ، إلا أنه لم يُكمل حسماً بالخصوص من الغزن إلى المدح ، بل اقتضبه اقتضاباً ، فبينما هو يصف الخمر ويقول :

فَارْسِقْنِي كَأساً عَلَى سَمْدَلٍ كَرَهْتُ مَسْمُوعَهُ أَذْنِي
مِنْ كُحْيَتِ الْأَوْنِ صَافِيَهُ خَيْرٌ مَا سَلَسَلَتَ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقْرَتْ فِي فَوَادِ فَقَيْ فَدَرَّايِ مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ
حَتَّى قَالَ .

تضحك الدنيا إلى مَلِكٍ قَام بالآثار والسفائن
سَنَّ للناس النَّدِي فَنَدُوا فَكَانَ الْبَخْلُ لَمْ يَكُنْ^(١)
فَأَكْثَرَ مَدَائِعِ أَبِي نواس مفهومية هكذا ، والتخالص غير ممكن في كل الأحوال ، وهو من مستحبات علم البيان .

ومن هذا الباب الذي نحن به مدد ذكره قول البحترى في قصيدة المشهورة بالجودة التي مدح بها الفتح بن خاقان وذكر لقاءه الأسد وقتل إيه ، وأولها

(١) الديوان ١٢٤ ومطلعها :

يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدَّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ

« أَجَدَكَ مَا يَفْكِرُ بِصَرِيْ فِيْنَهَا »

وهي من أمهات شعره ، ومع ذلك لم يوفق فيها للخلص من الغزل إلى المدح ، فإنه بينما هو في تغزله وهو يقول :

هَذِهِكَ إِنْ مَنْيَتْ مَنْيَتْ مُوعِدًا جَهَاماً وَإِنْ أَبْرَقْتَ خُلْبَا وَكُنْتُ أُرِى أَنَ الصُّدُودَ الَّذِي مَهَى دَلَالٌ فَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنَّبْهَا فَوَا أَسْفَا حَتَّامَ أَنْتَلُ مَا نَعْمَ وَآمَنَ خَوَافِيْ وَأَغْتِبُ مُذْنِبَا ؟

حتى قال في أثر ذلك :

أَقُول لِرَكْبِ مُعْتَقِينَ تَدَرَّعُوا عَلَى عَجَلٍ قَطْعَمَا مِنَ اللَّوْلِ فَيْمَا رِدُوا ذَاقُلَّ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ إِنَهُ أَعْمَ نَدَى فِيْكُمْ وَأَيْسَرَ مَطَابِهَا^(١)

فخرج إلى المدح بغير وصلة ولا سبب .

وكذلك قوله في قصيدة المشهورة بالجودة التي مدح بها ابن خاقان أيضا ، وذكر نجاته عند الخساف الجسر به وقد أغرب فيها كل الإغراب ، وأحسن كل الإحسان ، وأولها (متى لاح برق بدأ طلل قفر) :

فَيَنِّا هُوَ فِي غَزْلِهَا حَتَّى قَالَ :

لَعْنَكَ مَا الدُّنْيَا بِنَا قَصْدَةُ الْجَدِيدِ إِذَا بَقَى الْفَتْحُ بَيْنَ خَاقَانَ وَالْقَطْرِ^(٢) خرج إلى المدح مقتضاها له متعلقا به ، وأمثال هذا في شعره كثير .

(١) الديوان ١/٥٥ وفي الديوان (علمتك إن منيت) و (أقرب مطابها) .

(٢) الديوان ١/٢١٧ و مطلع الفصيدة .

متى لاح برق أو بدا طلل قفر جرى مستهل الدمع لا بكء ولا نذر

النوع الرابع والعشرون
في المناسب بين المعانى

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول في المطابقة، وهذا النوع يسمى ^{بـ}المدح ^{أيضاً}، وهو في المعانى ضد التبعيس في الألفاظ ، لأن التبعيس هو أن يتعدد اللفظ مع اختلاف المعنى ، وهذا هو أن يكون المعاني ضد ^{بـ}بعضها.

وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجم ^{بـ}بين الشيء وضده ، كالسواد والبياض والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر ^{بـ}الكاتب ، فقال : المطابقة لا يراد لفظين متساوين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى . وهذا الذي ذكره هو التبعيس ^{بـ}بعضه ، غير أن الأسماء لامشائحة فيها إلا إذا كانت مشتقة .

ولذلك نحن في ذلك وهو أن نكشف عن أصل المطابقة في وضع اللة ، وقد وجدنا العلائق في اللغة من طابق ^{بـ}المير في سيره إذا وضّم رجله موضع يده ، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضد لها ، والموضع الذي يقعان فيه واحد ، وكذلك المعاني يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد ، فقدامة سمي هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الأسم مشتقا ^{بـ} مما سمى به ، وذلك مناسب وواقع في موقعه ، إلا أنه جعل للتبعيس اسم آخر وهو المطابقة ، ولا يأس به إلا إن كان مثلك بالضدين كالسواد والبياض ، فإنه يكون قد خالف الأصل الذي أصله ^{بـ}بالمثال الذي مثله ^(١) .

(١) ذكر قدامة أن الناس يضمون من صفات الشعر المطابق والمحانس ، وهو داخلان في باب اختلاف اللفظ والمعنى . ومعناها أن تكون في الشعر معانٍ متغيرة قد اشتراك في لفظة =

وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضربَ من الكلام مطابقةً لغير اشتقاء ولا مذاتية بينه وبين مسماه، هذا الظاهر لنا من هذا القول، إلا أن يكونوا قد علموا بذلك مذاتيةً لطيفةً لم نعلمها نحن.

وانترجم إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقته فنقول : الألائق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة ، لأنَّه لا يخلو الحال فيه من وجدين ، إما أن يقابل الشيء بضده ، أو يقابل بما ليس بضده ، وليس لنا وجه ثالث ، فاما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسود والبياض وما جرى مجرّد إيهامه ينقسم قسمين : أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى ، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ .

(المقابلة في اللفظ والمعنى)

أما المقابلة في اللفظ والمعنى فـ كقوله تعالى « فَلَمَّا ضَحَّ كَوَافِرُوا قَلِيلًا وَيَهْكُوا كثيرًا ^(١) » فـ مقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير .
وكذلك قوله تعالى « لَكِبِيلًا نَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَكُم ^(٢) » وهذا أحسن ما يجلى في هذا الباب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

== واحدة وألفاظ متجلسة مشتقة . ثم عرف (المطابق) بأنه ما يشترك في لفظة واحدة بعینيه ، وعرف (المجاز) بأن تكون المعانى اشتراكهما في ألفاظ متجلسة على جهة الاشتقاء (نقد الشعر ٩٢ طبعة برل . ليدن) .

وقد سبق الأمدي ابن الأثير إلى نقد قدامة في تصريحه في المصطلحات ، قال الأمدي : وهذا باب — أهنى المطابق — ألقبه قدامة (المتكاف) وسمى ضرباً من المتجلسة (المطابق) وما علمت أن أحد فعل هذا غيره ... ولم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل عبد الله ابن المعتز وغيره من تكلم في هذه الأنواع وألف فيها (الموازنة بين أبي تمام والبعثى ٢٧٥ طبعة دار المعارف) .

(١) التوبية ٨٢ .

(٢) الحديد ٢٣ .

ومن الحسن المطبوع الذي ليس به كلف قول على رضي الله عنه لعمان رضي الله عنه : « إِنَّ الْحَقَّ يُقِيلُ مَرْءَىً ، وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ وَّهِيَّ ، وَأَنْتَ رَجُلٌ إِنْ صُدِّقْتَ سَخْطَتَ ، وَإِنْ كُذِّبْتَ رَضِيتَ » فقابل الحق بالباطل ، والمقيل المري بالخفيف الولي ، والصدق بالكذب ، والسخط بالرضا ، وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات الفصار .

وكذلك ورد قوله رضي الله عنه : لما قال الخوارج لا حكم إلا الله تعالى : « هَذِهِ كَلَمَةُ حَقٍّ أَرِيدُ بِهَا بَاطِلًا » . وقال الحجاج من يوسف اسعيد بن جعير رضي الله عنه وقد أحضره بين يديه ليقتله ، فقال له ما اسمك ؟ قال سعيد بن جعير ؟ قال بل أنت شقي بن كثير . وقد كان الحجاج من الفصحاء المعدودين ، وفي كلامه هذا مطابقة حسنة ، فإنه نقل الاسمين إلى ضدّهما ، فقال في سعيد شقي وفي جعير كثير .

وهذا النوع من الكلام لم تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات .
وما وجدته في لغة الفرس أنه لما مات قياد أحد ملوكيهم قال وزيره : « حَرَّ كَنَا بِسَكُونٍ » .

وأول كتاب الفصول لأبي قراط في الطاب قوله : العرقصیر والصناعة طوبیة وهذا الكتاب على لغة اليونان .

ومن كلامي في هذا الباب ما كتبته في صدر مكتوب إلى بعض الإخوان وهو : « صدر هذا الكتاب عن قلبٍ مُقيِّمٍ ، وَجَدِيدٍ صَارِ ، وَصَبِرٍ مُلِيمٍ ، وَجَزِيعٍ عَذْرٍ ، وَخَاطِرًا دَهْشَتَهُ لَوْعَةُ الْفَرَاقِ فَلَمَّا يُخَاطِرُ ». .

وكذلك كتبت إلى بعض الإخوان أيضا فقلت : « صدر هذا الكتاب عن قلبٍ مأْوَسٍ بِأَقْاهِهِ ، وَطَرْفٍ مَسْتَوْحِشٍ لِفَرَاهِهِ ، فَهَذَا مَرْوَعٌ بِكَاهَةِ إِظْلَامِهِ ، وَهَذَا مَمْتَعٌ بِبِهْجَةِ إِشْرَافِهِ ، غَيْرُ أَنْ لِقَاءَ الْقُلُوبِ أَقْاهَ عَيْنَيَتْ بِهِنْلَهُ خَوَاطِرٍ ». .

الأَنْكَارِ، وَتَنَاجَى بِهِ وَرَاءَ الْأَسْتَارِ، وَذَلِكَ أَخُو الطَّيْفِ الْمَلِئُ فِي الْمَنَامِ، الَّتِي يَوْهُ بِلِقَاءَ الْأَرْوَاحِ عَلَى لِقَاءِ الْأَجْسَامِ».

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ أَصْفَحِ الْمَسِيرِ مِنْ دِمْشَقِ إِلَى الْمُوْصَلِ عَنْ طَرِيقِ الْمَفَاطِرِ فَقَلَتْ فِي جَلْهُ : «ثُمَّ زَلَتْ أَرْضُ الْخَابُورَ فَغَرَّتِ الْأَرْوَاحُ وَشَرَّفَتِ الْجَسُومُ، وَحَصَلَ الْإِعدَامُ مِنَ الْمَسَارِ وَالْإِزَالَ مِنَ الْهَمُومِ، وَطَالَتِنِي النَّفْسُ بِالْعُودِ وَالْقَدْرَةِ مَفْلِسَةً، وَأُوْيَتْ إِلَى ظَلِ الْآمَالِ وَالْآمَالِ مُشْمَسَةً».

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي جَلْهُ كِتَابَ إِلَى بَعْضِ الْإِخْرَانِ وَعَرَضَتْ فِيهِ بِذِكْرِ جَمِيعِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَدْبِرِ فَقَلَتْ : «وَهُمْ مُسْتَوْلُونَ الْأَيْنَسُونِي فِي نَادِي فَضْلِهِمِ الَّذِي هُوَ مَنْبِعُ الْآمَالِ وَمَلَأَ قَطْنَاهُ الْأَلَالِ، فَوَجَوْهُ الْفَاظُهُ مُشْرَقَةً بِأَيْدِي الْأَفْلَامِ الْمَنْسُوَّدَةِ، وَقُلُوبُهُمْ مَعَانِيهِ مُسْتَبْطَةٌ بِنَارِ الْخَواطِرِ الْمُتَوَّقَّدَةِ، وَالْوَاغْلُ إِلَيْهِ بَشَّـكَرَ مِنْ خَرْتَهُ الَّتِي تَنْبَهَتِ الْعُقُولُ مِنْ إِغْفَائِهَا، وَلَا يَشْعُرُ بِهَا أَحَدٌ غَيْرُ أَكْفَائِهَا».

وَهَذِهِ الْفَصْوُلُ الْمَذَكُورَةُ لِاَخْفَاءِ بَدَأَ تَضَمِّنَهُ مِنْ مَحَاسِنِ الْمَقَابِلَةِ .

وَمَا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ شِعْرًا قَوْلُ جَرِيرٍ :

وَأَهُورُ مِنْ نَبِيَّهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ^(١)
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْفَرِزَدِقَ :

قَبَعَ إِلَهٌ بْنِ كَلَيْبٍ إِنْهُمْ لَا يَعْدِرُونَ وَلَا يَغْنُونَ بِجَارِ
يَسْتَعْيَظُونَ إِلَى نَهَيَقِ حَارِمٍ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأُوتَارِ^(٢)
فَقَابِلُ بَيْنِ الْغَدَرِ وَالْوَفَاءِ، وَبَيْنِ الْقِيَظِ وَالنَّوْمِ، وَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَعْنَى
يَسْأَلُ عَنْهُ .

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي هَجَاءِ أَعْوَرِ نَبِيَّهَانَ (الْدِيْوَانُ ٢٦٤) يَرِيدُ أَنَّهُ فِي النَّهَارِ أَعْمَى عَنِ الْخَيْرَاتِ، وَفِي الظَّلَيلِ يَصِيرُ بِالسَّيْئَاتِ .

(٢) دِيْوَانُ الْفَرِزَدِقَ ٢ / ٤٤٨ فِي هَجَاءِهِ لِجَرِيرٍ مِنْ قَصِيدةٍ مُطْلَقاً :
يَا بَنِي الْمَرَاغَةِ إِنَّهَا جَارِيَتِي بِعَسْبَقِنِ لَدِيِ الْفَعَالِ قَصَارٍ
وَكَانَ بِالْأَصْلِ (بِجَارِ) .

و كذلك ورد قول بعضهم :

فلا الجود يُغْنِي المال وأَجْدَهُ مُذْبِرٌ^١

وقد أكثرا أبو تمام من هذا في شعره فأشحن في موضع وأساء في موضع ،

فن إحسانه قوله :

ما إن ترى الأحساب بيضاً وضحاً إلا بحيث ترى المفاید سوداً

و كذلك قال من هذه القصيدة أيضاً :

شرف على أولى الزمان وإنما خلق لمن كسب أن يكون جديداً^(١)

وعلى هذا المنهج ورد قوله :

إذا كانت الذئب سلوكاً من أمرى غدت من خليبي حتى كنته وهي متبع

وإن عترت سود الليلى وبهضها بوحدة الأميتها وهي مجتمع

ويوم يظل العز يمحظ وسطه بصر العوالى والنفوس تضيع

ومصيف من الهيجا ومن حاجم الوغى ولكنه من وابل الدم مرتع^(٢)

ومن هذا الأسلوب قوله أيضاً :

تقرب الشقة الفصوى إذا أخذت سلاحها وهو الإرقال والرمل

إذا نظمت من أرض فصالت بها كانت هي العز إلا أنها ذل

(١) من قصيده في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها :

طلل الجبيم لقد عفت حميداً وكفى على رذى بذلك شهيدا

(الديوان ٤١٠ / ١) كان في الأصل (سوف) بدلاً من شرف، يريد أن ما كان حديثاً جديداً كان خلقاً لا ينفعه كرفيه

(٢) من قصيده في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٣١٧ / ٢) كان في الأصل (وهو تبع) و (هيجاء) و (حاجم) ، الأسلوب : الذي سلب منها ولدها . المتبع التي يتبعها ولدها خليجي كفه المراد الكف الواحدة . يقول : إذا كانت النعمة من منعم واحدة فإن نعمة هذا المدح يتباعها غيرها من النعم . صيف من الهيجا : هذا اليوم صيف من حر الحرب . مريح : مجتمع .

المرء ضيّاك ما أرغنت آنفها والهادياك وهي الشرّد الضليل^(١)

وعلى هذا النحو ورد قوله :

وَاضْرِهِ الصَّبَا حِينَ اسْبَكَرْتُ طِلَاعَ الْمِرْطِ طِلَاعَ الْمِرْطِ وَالدَّرْعَ الْيَدِيَّ
تَشَكَّى الْأَئْنَى مِنْ نِصْفِ مَرِيعٍ إِذَا قَامَتْ وَمِنْ نِصْفِ بَطْلِيٍّ
وَقَدْ جَاءَ لِأَبِي نَوَاسٍ ذَلِكَ فَقَالَ :

أَقْلَنِي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذُّوبِ وَبِالْإِقْرَارِ عُذْتُ مِنَ الْجَحْودِ
أَنَا اسْتَهْدِي عَفْوكَ مِنْ قَرِيبٍ كَمَا اسْتَهْدِيْتُ سَخْطَكَ مِنْ بَعِيدٍ^(٢)

فِقَابِلَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ مِنَ الْجَحْودِ وَالْإِقْرَارِ وَالْعَفْوِ وَالسَّخْطِ وَالقَرْبِ وَالْبَعْدِ .
وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ عَلَيْهِ مِنْ جَبَلَةَ فِي أَبِي دَافَ الرِّجْلِي^(٣) وَهُوَ :

أَيْمَ الْمَهِيرِ وَنَكَاحُ الْأَيْمِ يَوْمَ أَبُوسِي وَأَنْعُمْ
رَجْمُونُ تَجْسِيدِي وَنَدَى مَقْسُمٌ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

هُوَ الْأَمْلُ الْمَبْسُوطُ وَالْأَجْلُ الدُّرْيُ يُؤْرِثُ عَلَى أَيَّامِهِ الدُّهُرِ أَوْ يَخْلُو

(١) من مقطوعة يصف فيها شدة البرد بخراسان وبصف الإبل (الديوان ٣٦٠) والبيت الأخير بالديوان قبل الأول . والدى بالديوان (وهي الرشد والضلل) والإرقان والرمل ضربان من السير . ذلل : مطية منقادة .

(٢) من قصيدة في مدح الحسن بن وهب (الديوان ٣ / ٣٥١) .
اسبكرت : تم شباهها . طلائع المرط : ملؤه يعني مرط المرأة .
اليدى : الواسم ، وبروى البدى بالباء وهو البديم العجيب .

نصف سريم : يزيد خصرها الرقيق . نصف بطىء يزيد ردها الثقيل
(٣) الديوان ٥٣٤ وليس البيت الثاني به ، وبعد البيت الأول :

وَإِنْ تَصْفُحْ فَإِلَحْسَانْ جَدِيدْ سَبَقَتْ بِهِ إِلَى شَكْرِ جَدِيدْ

(٤) يعرف على بن جبلة بالمهلكوك ، كان مداحا مجينا ووصافا بارعا ، وكان ضريرا ،
مدح الأمون وحميد بن عبد الحميد الطوسي وأكثر من مدح أبي داف وأجاد و مدح غير
هؤلاء (طبقات الشعراء لابن المعتز ١٧٠ والشعر والشعراء ٥٥ وناريخ بغداد ٣٥٩/١١
وشذرات الذهب ٢/٣٠) .

وَلَا تَحْسُنُ الْأَيَامُ تَفْعِلُ فِعْلَهُ وَإِنْ كَانَ فِي تَصْرِيفِهَا النَّقْضُ وَالْفَعْلُ
فِي شَيْءٍ وَاحِدًا أَمَّا الشَّرَاءُ فَمُسْلَمٌ مُبَاحٌ وَأَمَّا الْجَارُ فَمَوْرِحٌ بَشْلُ

وَمَا جَاءَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ قَوْلُ الْبَحْتَرِي :

أَحْسَنَ اللَّهُ فِي ثَوَابِكَ عَنْ تَفْرِيرِ مُضَاعِ أَحْسَنَتَ فِيهِ الْبَلَاءَ
كَانَ مُسْتَهْنَعًا فَعَزَّ وَخَرُوْدَ مَا فَاجَدَتِي وَمُظْلِمًا فَأَضَاءَ (١)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا وَرَدَ لَهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ :

أَشْكُوكُ إِلَيْكَ أَنَّا مِلَّا مَا تَنْطَوِي بُخْلًا وَإِمْلاقًا تُقْصِدُهُمَا الْيَدُ
أَرْضِيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يُرْضُونِي فَهُلَّا وَتَلَكَ قَضِيَّةٌ لَا تُقْصِدُ
فَأَذْمَمُهُمْ مَا يُذْمِمُ وَرِبْسَا سَاحِقُهُمْ فَحَمِدْتُ مَا لَا يُحْمِدُ (٢)

وَعَلَى هَذَا النَّهْجِ وَرَدَ قَوْلُهُ :

وَتَوَقَّعَيْ مِنْكَ الْإِمْاءَةَ جَاهِدًا وَالْعَدْلُ أَنْ أَتُوقَعَ الْإِحْسَانَ
وَكَمَا يُسْرِكُ لِيْنُ مَيْتَيْ رَاضِيَا فَكَذَلِكَ فَأَخْشَ خُشُونَتِي غَضْبَهَا (٣)
وَأَمَّا أَبُو الطَّابِ الْمَقْبَلِي فَإِنَّهُ اسْتَعْمَلَ هَذَا النَّوْعَ قَائِلًا فِي شِعْرِهِ ، فَنَّ ذَلِكَ
قَوْلُهُ :

يُهْقَالُ إِذَا لَاقُوا خِفَافًَ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّ وَأَقْلِيلٌ إِذَا عُدُّوا (٤)

(١) من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١/٢).

(٢) من قصيدة في مدح أبي أيوب بن أخت أبي الوزير الديوان (١/١٢٦) والنمس بالديوان (ما ناطق بيتسا) والضمير في أرضيهم عائد على الناس في قوله :

الناس حولك روضة ما ترتقي ريا النبات ومنهل ما يورد

(٣) من قصيدة في عتاب أبي العباسى بن سلطان الديوان (٢٧٩/٢).

(٤) من قصيدة في مدح محمد بن سبار بن مكرم التميمي ، الذي مطلعها :

وكذلك قوله :

إلى ربِّ مالِ كَا شَتْ شَمْلُ تَجْمَعُ فِي شَتِّيَّهِ لِأَعْلَى شَمْلٍ^(١)

ومما استعذبه قوله في هذا الباب :

كَانَ سُهَادَ الدَّلِيلَ يَعْشَقُ مُقْتَاتِي فَبِئْنَمَا فِي كُلِّ هَبْرٍ لَّا وَصَلَ^(٢)

ومما جاء من هذا الباب :

لَمَّا اعْتَدَنَا لِلْوَدَاعِ وَأَغْرَبَنَّ عَبَرَاتُنَا عَنَّا بِدَمْسَعِ نَاطِقٍ

فَرَّقَنَ بَيْنَ مَهَاجِرِ وَمَحَاجِرِ وَجَهَنَّمَ بَيْنَ بَنَفْسَجِ وَشَقَائِقِ^(٣)

وهذا تحققه معنى بسؤال عنه غير المقابلة ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخد المرأة ، لأن من العادة أن يشبه العارض بالبنفسج . وهذا قول غير سائع ، لأن العارض لا يشبه بالبنفسج عند أول خلموره ، فإذا طرأ وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شبيه بالبنفسج ، لأنه يكون بين الأخضر والأسود ، وليس في الشعر ما يدل على أن المؤذع كان شابا قد طرأ عارضه ، والذي يقتضيه المعنى أن المرأة قامت للوداع فزقت خمارها ، وأطمت

— أقل فهالي به أكثره مجد وذا الجد فيه ذلك أم لم أقل جد الديوان ١٠٨/٢) نقال : نعت لشيخ في البيت السابق له ، يريد أنهم ن قال الوطاة على . العدو . خفاف : سربون الإجابة للنجد . كثيراً ما شدو أدلة على أن الواحد منهم يسد مسد الجماعة .

(١) من قصيدة في مدح شجاع بن محمد الطائى المنجى ، الذى مطلعها :

عزيز أسى من داؤه الحدق النجل عياء به مات المحبون من قبل

(الديوان ٣٧٠/٣) شت : تفرق . الشمل : الاجتماع ، أى كلما تفرق شمل ما له اجتمع معاليه .

(٢) من القصيدة نفسها .

(٣) المهاجر : جم معجر على وزن منبر ثوب تتعجر به المرأة .

المهاجر : جم معجر على وزن مجلس وهو لعن .

حدّتها ، تجمعت بين أثر اللطم ، وهو شبيه بالونفسيج ، وبين لون الخد وهو شبيه الشفافث ، وفرقت بين خمارها وبين وجهها بالهزق ولهم موجدة على الوداع ، هذا هو معنى البيت لا مذهب إليه هذا الرجل .

[الافية في الأدبي دروه الألفاظ] :

وأما المقابلة في المعنى دون الألفاظ في الأضداد فـمـا جاء منه قول المقنع السكـفـدي من شعراء الحـمـاسـة :

لهم جُلُّ مالي إن تتابع لي غَنِي وإن قَلَّ مالي لم أَكْنَهُمْ رِفْدا^(١)
فـقولـهـ تـتـابـعـ لـيـ غـنـيـ بـمـنـيـ قـولـهـ كـثـرـ مـالـيـ ،ـ فـهـوـ إـذـاـ مـقـاـبـلـةـ مـنـ جـهـةـ الـمـعـنـىـ لـأـمـنـ
جـهـةـ الـأـلـفـاظـ ،ـ لـأـنـ حـقـيـقـةـ الـأـضـدـادـ الـأـلـفـاظـيةـ إـنـمـاـ هـيـ فـيـ الـمـفـرـدـاتـ مـنـ الـأـلـفـاظـ نـحـوـ قـامـ
وـقـعـدـ وـحـلـ وـعـقـدـ وـقـلـ وـكـثـرـ ،ـ فـإـنـ الـقـيـامـ ضـدـ الـقـعـودـ ،ـ وـالـخـلـ ضـدـ الـعـقـدـ ،ـ وـالـقـلـيلـ
ضـدـ الـكـثـيرـ ،ـ فـإـذـاـ تـرـكـ الـمـفـرـدـ مـنـ الـأـلـفـاظـ وـتـوـصـلـ إـلـىـ مـقـاـبـلـةـ باـلـفـاظـ مـرـكـبـ كـانـ
ذـلـكـ مـقـاـبـلـةـ مـعـنـوـيـةـ لـأـفـظـيـةـ ،ـ فـأـعـرـفـ ذـلـكـ .

[مقابلة الشيء بما ليس بضده] :

وـأـمـاـ مـقـاـبـلـةـ الشـيـءـ بـمـاـ لـيـسـ بـضـدـهـ فـهـيـ ضـرـبـانـ :ـ أـحـدـهـ أـلـاـ يـكـوـنـ مـثـلاـ
وـالـآـخـرـ أـنـ يـكـوـنـ مـثـلاـ ،ـ فـالـضـرـبـ الـأـوـلـ يـتـغـرـعـ إـلـىـ فـرـعـيـنـ :

الـأـوـلـ :ـ مـاـ كـانـ بـيـنـ الـمـقـابـلـ وـالـمـقـابـلـ نـوـعـ مـنـاسـبـةـ وـتـقـارـبـ ،ـ كـمـوـلـ قـوـيـطـ
إـنـ أـنـيـفـ :

(١) اسم الشاعر محمد بن ظفر بن عمير ، من شعراء الدولة الأموية وكان فيما قالوا جيلاً مشرقاً الوجه ، فـكان يستر وجهه بـجلـمهـ ، فـسمـيـ المـقـنـعـ .ـ وـهـذـاـ الـبـيـتـ مـنـ أـبـيـاتـ اختـارـهاـ أبوـ عـامـ فـيـ الـحـمـاسـةـ ،ـ أـوـلـهـاـ .

يعـاتـبـيـ فـيـ الـدـيـنـ قـومـيـ وـلـانـماـ دـيـوـنـيـ فـيـ أـشـيـاءـ تـكـبـهـمـ حـدـاـ

(ـ شـرـحـ دـيـوـانـ الـحـمـاسـةـ الـهـرـزـوـقـيـ ١١٧٨/٣ـ .

يَبْخِرُونَ مِنْ ظُلْمٍ أَهْلُ الظُّلْمِ مُغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا^(١)

فِقَابِلُ الظُّلْمِ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَلَيْسَ ضَدًا لَهَا ، وَإِنَّا هُوَ ضَدُّ الْعَدْلِ ، إِلَّا أَنَّهُ
لَمْ كَانَتِ الْمَغْفِرَةُ قَرِيبَةً مِنَ الْعَدْلِ حَسِنَتِ الْمُقَابِلَةُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الظُّلْمِ ، وَعَلَى هَذَا
جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى « أَشِدَّ أَهْمَاءً عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاهُ بَيْنَهُمْ »^(٢) فَإِنَّ الرُّحْمَةَ لَيْسَتْ ضَدَّ
الشَّدَّةِ ، وَإِنَّا ضَدُّ الشَّدَّةِ الَّذِينَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا كَانَتِ الرُّحْمَةُ مِنْ مُسَبِّبَاتِ الَّذِينَ
حَسِنُوكُنَّ الْمُقَابِلَةَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الشَّدَّةِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى « إِنْ تُصِبِّكُ حَسِنَةٌ تَسُؤُهُمْ ، وَإِنْ تُصِبِّكُ مَصِيرَةٌ
يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ »^(٣) . ذَلِكَ الْمَصِيرَةُ سَيِّدَةُ ، لَأَنَّ كُلَّ مَصِيرَةٍ سَيِّدَةٌ
وَلَيْسَ كُلُّ سَيِّدَةٍ مَصِيرَةٌ ، فَالْمُقَابِلَةُ هَذِهِ مِنْ جِهَةِ الْعَامِ وَالخَاصِّ .

النوع الثاني : مَا كَانَ بَيْنِ الْمُقَابِلِ وَالْمُقَابِلِ بِهِ بُعْدٌ ، وَذَلِكَ مَا لَا يَحْسَنُ اسْتِعْمَالُهُ
كَفَوْلُ أُمِّ الْذِيْنِ فَوَهْوَ سَعْدُ بْنُ قَرْطٍ وَقَدْ زَوْجَ امْرَأَةً كَانَتْ نَزَّهَتْهُ عَنْهُمَا فَقَاتَتْ مِنْ
أُبَيَّاتٍ تَذَمَّمُهَا فِيهَا :

تَرَبَّصْنَ بِهَا الْأَيَّامَ عَلَى صُرُوفِهَا سَرَرْمَى بِهَا فِي جَاهِنْمَ مُلْتَسِعٌ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ مَنَاهَ إِلَيْهِ بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسِعَةِ الْحِرْ

(١) من أبيات في الحماسة ، يقرع فيها قوله على تخليهم عن نصرته ، أولها :
لو كنت من مازن لم تستبع لابلي بنو القيطة من ذهل بن شيبانا

(شرح الحماسة للمرزوقي ٤/٢٢ والتبريزى).

(٢) الفتح ٢٩ .

(٣) التوبة ٥٠ .

(٤) في الأصل أُمُّ الْحَنْفَ ، وَابن قرظ ، لَكِنَّ الذِّي فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبَرِيزِيِّ ٤/٣٥٢
وَفِي شَرْحِهِ لِلْمَرْزُوقِيِّ ٤/٦٦٢ هُوَ مَا أَثْبَتَنَا .

فقولها مذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة ، بل الأولى أن كانت قالت بضيقه الأخلاق واسعة الحر ، حتى تصح المقابلة ، وهذا مما يدل على أن العربي غير متند إلى استعمال ذلك بصنعته ، وإنما يجوي له منه ما يجوي بطبعه لا بكتافه ، وإذا أخطأ فإنه لا يعلم ولا يشعر به ، والدليل على ذلك أنه لو أبدلت لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة ، وإنما يُعذر من يُؤذر في ترك المقابلة في مثل هذا المقام إذا كان الوزن لا يواتيه . .

وأما المحمدون من الشعراء فإنهم اعتقدوا بذلك خلاف ما كاتب العرب عليه ، لا حرج أنهم أشد ملامة من العرب .

فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

لَمْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْدِنْ هَرَبَ سَرُورَ مَحْبٍ أَوْ إِسَادَةَ جَرْمٍ^(١)

فإن المقابلة الصحيحة بين المسبّب والمسبّب لا بين المحب وال مجرم ، ولبس متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها ، وإنما هي بعيدة ، فإنه ليس كل من أجرم إليك كان مبغضاك .

[الدوافة بين المعانى .]

وَمَا يَتَصَلُّ بِهِذَا الْفَرْبُ ضربٌ من الـكلام يسمى المواخاة بين المعانى والمواخاة بين المباني ، وكان ينبغي أن نقدم له باباً مفرداً ، لكننا لما رأينا أنه يندر إلى التقابل من وجه وصلناه به .

(١) هذه هي رواية الديوان (٤/٣٤٣) وفي الأصل يطلب ويرد ومساءة . والبيت من قصيدة في مدح كافور .

أما الموافقة بين المعانى فهو أن يذكر المعنى مع أخيه ، لامع الأجنبي ،
مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقربه بما يقرب منه ويلاقيه به ، فإن
ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قد حا في الصناعة ، وإن كان جائزًا .

فمن ذلك قول الكيميت :

أَمْ هَلْ ظَمَانُ بِالْعَلَيَاهُ رَافِعَهُ وَإِنْ تَكَاملَ فِيهَا الدَّلُولُ وَالشَّبَابُ^(١)

فإن الدلول يذكر مع الفرج وما أشبهه ، والشباب يذكر مع اللعن وـما
أشبهه ، وهذا موضع يغاظ فيه أرباب النظم والنثر كثيرا ، وهو مظنة الغلط ،
لأنه يحتاج إلى ثاقب فكره وحذق ، بحيث توضع المعانى مع أخواتها لامع
الأجنبي منها .

وقرأت في كتاب الأغانى لأبى الفرج أنه اجتمع نصيّب والكميت ذو الرمة
فأنشد الكيميت « أَمْ هَلْ ظَمَانُ » الـبـيـت ، فـعـمـدـ نـصـيـبـ وـاحـدـةـ ، فـقـالـ لهـ
الـكـيمـيـتـ : ماـذـاـ تـحـمـيـ؟ـ قـالـ خـطـائـكـ ، فـإـنـكـ تـبـاعـدـتـ فـيـ القـوـالـ ، أـبـنـ الدـلـلـ
مـنـ الشـبـابـ؟ـ أـلـاـ قـلـتـ كـاـقـلـ ذـوـ الرـمـةـ :

لَمْ يَأْمُرْ فـي شـفـقـتـيـهـ حـوـةـ ، لـمـسـ وـفـيـ لـلـاثـ وـفـيـ أـنـيـاهـ شـبـابـ^(٢)

ورأيت أبا نواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك :

لـهـ اـعـتـدـالـ وـأـنـصـابـ قـدـ وـجـلـدـهـ يـشـبـهـ وـشـيـيـ الـبـرـدـ

(٢) ليس الـبـيـتـ بالـهـاشـمـيـاتـ .ـ الشـبـابـ :ـ مـاءـ وـرـقـةـ وـعـذـوـبـةـ وـبـرـدـ فـيـ الأـسـنـانـ .

(١) الأغانى ١/١٣٤ مع بعض تغيير .ـ الشـبـابـ :ـ مـاءـ وـرـقـةـ وـعـذـوـبـةـ وـبـرـدـ فـيـ الأـسـنـانـ .ـ لمـيـاءـ :ـ سـمـراءـ الشـفـةـ .ـ الـحـوـةـ :ـ حـرـةـ مـشـوـبـةـ بـسـوـادـ .ـ اللـعـسـ :ـ سـوـادـ مـسـتـجـسـ فـيـ الشـفـةـ .

كأنها الرِّدَابُ فِي الْفَرِنْدِ مُحَمَّدَ وَدُبُّ الظَّاهِرِ كَرِيمُ الْجَدِّ^(١)
 فإنه ذكر الظاهر وقرنه بذكر الجد، وهذا لا يناسب هذا، لأن الظاهر من
حمله الخلق، والجد من النسب، وكان ينبغي أن يذكر مع الظاهر ما يقرب منه
وبي أخيه .

وكذلك أخطأ أبو نواس في قوله أيضًا :

وقد حَلَفْتُ لِيَمِينِي مَبْرُورَةً لَا تُكَذِّبْ

بِرَبِّ زَمْزَمَ وَالْحَوْضِ ضِنْ وَالصَّفَا وَالْمَحَصَبِ^(٢)

فإن ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير مناسب، وإنما يذكر
الحوض مع الصراط والميزان وما جرى مجراتها، وأما زمزم والصفا والمحصب فيذكر
معها الركن والخطيم وما جرى مجراتها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله أيضًا :

أَحْسَنُ مِنْ مَنْزِلِ بَنِي قَارِيْ مَنْزِلُ خَمَارٍ وَخَمَارٍ
وَشَمْ رِيحَانَهِ وَرَنْجِسَةٌ أَحْسَنُ مِنْ أَيْنُقِيْ بَأْكُوارِ^(٣)

فالبيت الثاني لامقارنة بين صدره وعجزه، وأين شم الريحان من الأيق

(١) في الديوان تحقيق الغزالى (٦٤٥) مقطوعة في وصف ديك هندي، أولها :

أَذْتَ دِيكًا مِنْ دِيكَ الْهَنْدِ كَرِيمُ عَمٍ وَكَرِيمُ جَدٍ
وليس بها هذان البيتان . لكنهما في ديوانه من قصيدة في وصف ديك (المطبعة العمومية)

(٢) من مقطوعة مطلعها :

حَمَانٌ مَالِكٌ تَفَضِّبٌ عَلَى فِي غَيْرِ مَفَضِّبٍ
(الديوان ٧٢٤) .

(٣) المطام في الديوان (١٦٠) :

أَحْسَنُ مِنْ مَنْزِلِ بَنِي قَارِيْ مَنْزِلُ خَمَارٍ بِالْأَبْنَارِ
الْأَكُوارِ : جمع كوار وهو الرجل .

بالأكوار ؟ وكان ينبغي له أن يقول ثم الريحان أحسن من شم الشيخ والقيصوم ، وركوب الفتيمات الرؤود أحسن من ركوب الأبنق بالأكوار ، وكل هذا لا يغطّ طان لوضعيه في موضعه في كل الأوقات . وقد كان يغتاب على السهو في بعض الأحوال حتى أسلك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها أو أقاربها ، ثم إن كفت أنا مل ما صنعته بعد حين فأصلح ما سوت عنه .

[المؤاخاة بين المباني].

وأما المؤاخاة بين المباني فإنه يتعلق ببعض المباني الألفاظ .

فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح :

مُثْقَفَاتُ سَلَمَنَ الْعُرْبَ سُرْتَهَا وَالرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْمَاعِشَقُ الْقَضَفَا^(١)

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الأفراد ، غير أن فيه نظرا ، وهو قوله العرب والروم ، ثم قال العاشق ، ولوصح أن يقول العاشق لكن أحسن ، إذ كانت الأوصاف تجري على (زوج) واحد ، وكذلك قوله سرتها زرقتها ، ثم قال القضاها ، وكان ينبغي أن يقول قضاها أردوتها .

وعلى هذا ورد قول سلم بن الوليد :

نَفَضَتْ بِكَ الْأَحْلَامُ أَفْضَ إِقَامَةً وَاسْتَرْجَعَتْ زَرَاعَهَا الْأَمْصَارُ
فَازْدَقَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْكَّةً يُقْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْغَارُ^(٢)

(١) البيت من قصيدة في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى المجلبي (الديوان ٣٥٩/٣) ونصه في الديوان :

مُثْقَفَاتُ سَلَمَنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْمَاعِشَقُ الْقَضَفَا
 مُثْقَفَاتُ مَقْوَمَاتُ . الْقَضَفُ : النَّعَافَةُ وَالضَّمُورُ ، يَقُولُ لِأَنَّهَا مَقْوَمَاتُ مَعَدَّاتُ ، سَرْ
 كَالْعَرَبُ ، زَرْقُ الْأَسْنَةِ كَالرُّومِ ضَامِرَةُ كَالْمَاعِشَقِ .

(٢) من رثائه ليزيد بن مزيد ، والبيتان في الديوان ٣١٣ :

والأحسن أن يقال السهل والوعر، أو السهل والأوغار، ليكون البناء اللفظي واحداً، أى أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجم أو الأفراد، ولا يكون أحدهما مجموعاً، والأخر مفرداً:

و كذلك ورد قول أبي نواس في الخبر:

صَرَاهُمْ بِحَدَّهَا مَرَازِبُهَا جَلَّتْ عَنِ النَّظَارَاءِ وَالْمَيْلِ^(١)
جمع وأفردى معنى واحد، وهو أنه قل النظاراء مجموعاً، ثم قل المثل مفرداً، وكان الأحسن أن يقول النظير والمثل، أو النظارء والأمثال.

وعلى ذلك ورد قوله أيضاً، والإنكار بتوجيه فيه أكثر من الأول، وهو:
الا يابن الدين فنوا فناوا أما والله ما ماتوا لتبقى
ومالك فاعلمون فيها مقام إذا استكملت آجالاً ورزقاً^(٢)

وموضع الإنكار هنا أنه قال آجالاً ورزقاً، وكان ينبغي أن يقول أرزاقاً أو أن يقول آجلاً ورزقاً، وقد زاده إنكاراً أنه جمع الأجل فقال آجالاً، والإنسان ليس له إلا أجل واحد، ولو قال آجلاً وأرزاقاً، لمسايب، لأن الأجل واحد والأرزاق كثيرة، لا خلاف ضرورة وأجناسها.

نقضت بك الأمال أحلاس الغنى واسترجعت نزاعها الأمصار
فذهب كما ذهبت غوادي مزنة أني عليها السهل والأوغار
الأحلاس: جم حلس وهو الذي يوضع تحت الرحل
(١) من قصيده التي مطلعها:

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والمزل
(الديوان ٤٢) المرازب والمرازبة جم مرزان وهو أحد الحكماء والقواد الفرس.

(٢) رواية الديوان ٩٨ (المطبعة العمومية)

الا يابن الدين فنوا وبادوا أما والله ما بادوا لتبقى
ومالك فاعلمون بها مقام إذا استكملت آجالاً ورزقاً

وإذا أنسفنا في هذا الموضوع وجدنا الناشر مطالباً به دون الناظم، لما كان إمكانه من التهرب . وقد كنتُ^(١) أرى هذا الضرب من الكلام واجباً في الاستعمال ، وأنه لا يحسن المحيد عنه ، حتى سرّ بي في القرآن الكريم ما يخالفه ، كقوله تعالى في سورة الفصل ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَعْلَمُ فَيَأْتِيَهُمْ بِذِلِّ اللَّهِ عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ﴾^(٢) . ولو كان الأحسن لزوم البناء اللفظي على صنف واحد لجمع اليدين كما جمع الشمال ، أو أفرد الشمال كما أفرد اليدين .

وكذلك ورد قوله تعالى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبَّعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٣) فجمع القلوب والأبصار وأفرد السمع .

وكذلك ورد قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾^(٤) ذكر السمع بلفظ الإفراد وذكر الأبصار والجلود بلفظ الجمع .

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ، ولو كان هذا معتبراً في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أوضح من كل كلام ، والأخذ في مقام الفصاحه والبلاغه إنما يكون منه المعمول عليه .

وينبغي أن يتعاقس على هذا قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوَسَّىٰ وَأَخْيَهُ أَنْ تَبُوَا آتَهُمَا بِيَضْرَبَةٍ يَوْمَئِذٍ وَاجْمَلُوا يَوْمَئِذٍ قِبَلَةً وَشَرَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) .

(١) النحل ٤٨ .

(٢) النحل ١٠٨ .

(٣) فصلت ٢٠ .

(٤) يونس ٨٧ .

وربما قيل إن هذه الآية اشتملت على ثنائية وجهم وآفراط ، وظن أنها من هذا الباب ، وليس كذلك لأنها اشتملت على خطاب مومي وهارون عليهمما السلام أولاً في اتخاذ المساجد لقومهما ، ثم ثنى الخطاب لها ولقومهما جهينا ، ثم أفرد مومي عليه السلام بإشارة المؤمنين ، لأنه صاحب الرسالة .

[مقابلة الشيء بمحنه]

الضرب الثاني في مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع إلى فرعين : أحدهما مقابلة المفرد بالفرد ، والآخر مقابلة الجملة بالجملة .

النوع الأول كقوله تعالى « نسوا الله فنسيهم » ^(١) وكقوله تعالى « ومكرروا مكرأً أو مكررًا مكررًا » ^(٢) وقد روى عن هذا الموضوع في القرآن الكريم كثيرا ، فإذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلا ، كقوله تعالى « من كفر فعليه كفره » ^(٣) وكقوله تعالى : « وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مُمْلِحَةٌ » ^(٤) ، وهذه الأحسن ، وإنما قيل من كفر فعليه ذنبه ، كان ذلك جائزًا . لكن الأحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى ، وعليه مدار الاستعمال .

وهذا الحكم يجري في النظم والنثر من الأشعار والأبيات الشعرية ، فاما إن كان ذلك غير جواب ، فإنه لا يلتزم فيه هذه المرااعة اللفظية . الاترى أنه قد قوبلت الكلمة بكلمة هي في معناها وإن تكون متساوية لها في اللفظ ، وهذا يقع في الألفاظ المترادفة ، ولذا يستعمل ذلك في الموضع الذي ترد فيه الكلمة غير جواب .

(١) التوبة ٦٧

(٢) التبل ٥٠

(٣) الروم ٤٤

(٤) الشورى ٤٠

فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَوْلُهُ : « وَوُفِيتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ »^(١) وَلَوْ كَانَ لَا تُورِدُ الْكَلَامَ إِلَّا مِثْلًا لَقَيْلَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْلَمُونَ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَهُلْ أَنْتَ أَنْتَ الْخَصْمٌ إِذْ تَسْوِرُوا الْمُحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوكُلُّو عَلَى دَاؤُدَ فَفَرَّ عَمِّنْهُمْ ، قَالُوا لَا تَخْفِ . » خَصْمَانَ ، بَغْسَى بِعِضْنَا عَلَى بَعْضٍ »^(٢) فَقَالَ لَا تَخْفِ بَعْدَ قَوْلِهِ فَفَرَّ عَمِّنْهُمْ ، وَلِمَا كَانَ هَذَا فِي مَعْنَى هَذَا قَوْبَلَ أَحَدُهُمَا بِالآخْرَ ، وَلَمْ يَقْابِلْ الْأَفْظَارَ بِنَفْسِهِ .

وَكَذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كَنَا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَإِنَّ اللَّهَ وَآيَاتِهِ وَرَسُولَهُ كُنْتُمْ تَمْهِذُونَ »^(٣) فَذَكَرَ الْأَسْتَهْزَاءُ الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَى النَّخْوَضِ وَالنَّلْعَبِ ، وَقَابِلُ بِهِ النَّخْوَضُ وَالنَّلْعَبُ ، وَلَوْ ذَكَرَهُ عَلَى حَدِّ الْمَعَاوِلَةِ وَالْمَسَاوَاهِ أَقَالَ : أَفَيْ أَنْتُمْ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَخْوَضُونَ وَتَلْعَبُونَ ..

فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قَدْ احْتَبَجَتْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهَا ذِكْرُهُ ، وَنَرِى قَدْ رَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَنْقُضُهُ كَقَوْلُهُ تَعَالَى « وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جُزَاءُ مَا كَسَبُوا »^(٤) وَلَمْ يَقُلْ جُزَاءُ سَيِّئَاتِ مَمْلِكَتِهِ ، فَالجَوابُ عَلَى ذَلِكَ أَنِّي أَقُولُ أَرَدْتُ أَنْ تَنْقُضَ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتُهُ فَلَمْ تَنْقُضْهُ ، وَلَكِنَّكَ شَيَّدْتَهُ ، وَالَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ

(١) الزمر ٧٠

(٢) ص ٢١ - ٢٢ .

(٣) التوبه ٦٥ .

(٤) يونس ٢٧

دأيُل لِي لَا لَكَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى « جَزَاءُهُ سَيِّئَةٌ بِمِثْلِهَا » وَبَيْنَ قَوْلِهِ « جَزَاءُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » ، إِذَا الْمَعْنَى وَاحِدٌ لَا يُخْتَلِفُ ، وَلَوْ جَاءَ عِوَضًا عَنِ السَّيِّئَةِ لِفَظَّةً أُخْرَى فِي مَعْنَاهَا كَالْأَذْى وَالسُّوءُ أَوْ مَا جَرِيَ بِهَا لِصَحْلَفَةٍ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ .

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَصَدِّرِينَ فِي عِلْمِ الْجِيَانِ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتِ الْفَظْلَةُ فِي أَوَّلِ كَلَامٍ يَتَحَاجَجُ إِلَى تَنَاهٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَوَابًا كَالَّذِي تَقْدُمُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تُعَادَ بِعِينِهَا فِي آخِرِهِ ، وَمَقْعِدُهُ عَدْلٌ عَنِ ذَلِكَ كَانَ مَرْءِيَّهَا ، ثُمَّ مَمْلَكٌ ذَلِكَ بِقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَنْبَى ، فَقَالَ إِنَّ أَبَا تَمَامٍ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ :

بَسَطَ الرَّجَاءُ لَنَا بِرَغْمِ نَوَافِبِ
كَثُرَتْ بِهِنْ مَصَارِعُ الْآمَالِ^(١)

فَيُبَثِّ ذِكْرُ الرَّجَاءِ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُعِيدَ ذِكْرَهُ أَيْضًا فِي عَجَزِهِ ، أَوْ كَانَ ذِكْرُ الْآمَالِ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ دِعَجَزَهُ .

وَكَذَلِكَ أَخْطَأَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتَنْبَى فِي قَوْلِهِ :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ خَيْرٌ أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَّتْ غُرُورٌ^(٢)

فَإِنَّهُ قَالَ إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ خَيْرٌ ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ عَلِيمٌ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَقَابِلًا صَحِيحًا .

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هَذَا الرَّجُلُ لِيُسْبِّحُ بِشَيْءٍ ، بَلْ الْمُعْتَدَدُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْبَابِ أَهْ

(١) مِنْ قَصِيدةٍ فِي مَدْحُوْ الحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ ، مَطَّلِعُهَا : كَفِيْ وَغَالِكَ فَإِنِّي لَكَ قَالَ لَيْسَ هَوَادِيْ عَزْمِيْ بَتْوَالِيْ (الْدِيْوَانُ ٣/٧٦)

(٢) مِنْ رِنَائِهِ الْخَمْدَبْنِ اسْعَاقِ التَّنْوُخِيِّ (الْدِيْوَانُ ٢/٢٧٨) (م - ١١ المُشَكُّ السَّاُرُ)

إذا كانت الأفظة في معنى أخْتَهَا جاز استعمالها في المقابلة بينهما ، والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن **الكريم** ، وكفى به دليلا ، وهذه الرموز التي هي أسرار الكلام لا يَتَفَطَّنُ لِاستعمالها إلَّا أَحدَرَ رَجُلَيْنِ : إِمَامَ فَقِيهٍ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ قد مارسَه ، وَإِمَامَ شَفَوْقِ الْأَسَانِ فِي الْفَصَاحَةِ قد خَلَقَ عَارِفًا بِمَطَائِفِهَا ، مَسْتَغْنِيَا عَنْ مَطَالِعِ صَحَافِهَا ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إلَّا عَرَبِيُّ الْفَطَرَةِ يَقُولُ مَا يَقُولُه طَبَعا ، عَلَى أَنَّهُ لَا يُسَدِّدُ فِي جَمِيعِ أَفْوَالِهِ ، مَا لَمْ تَكُنْ مَرْفَقَهُ الْفَطَرَةِ مَحْزُونَةً بِمَعْرِفَتِهِ الْعُرْفِيَّةِ .

الفرع المأني في صفاتِ المجزء بالمحزن:

أَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الجملة مُسْتَقْبَلَةً قَوْبَلَتْ بِمَسْتَقْبَلَةِ ، وَإِنْ كَانَتِ مَاضِيَّةً قَوْبَلَتْ بِمَاضِيَّةِ ، وَرَبَّما قَوْبَلَتْ الْمَاضِيَّةَ بِالْمَسْتَقْبَلَةِ ، وَالْمَسْتَقْبَلَةَ بِالْمَاضِيَّةِ ، إِذَا كَانَتِ إِحْدَاهُمَا فِي مَعْنَى الْأُخْرَى .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « قُلْ إِنْ خَلَقْنَا فَإِنَّا أَعْصَلُ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنْ اهْتَدَيْتَ فَإِنَّمَا يُوحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ ^(١) » فَإِنْ هَذَا تَقَابُلٌ مِنْ جَهَةِ الْمَعْنَى ، وَلَوْ كَانَ التَّقَابُلُ مِنْ جَهَةِ الْأَلْفَاظِ لَقَالَ وَإِنْ اهْتَدَيْتَ فَإِنَّمَا أَهْتَدِي لَهُ .

وَبِيَانِ تَقَابُلِ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ جَهَةِ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ النَّفْسَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا فَهُوَ بِهَا ، أَعْنَى أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ وَبِالْأَنْعَامِ عَلَيْهَا وَخَارِقُهَا فَمُوْبَدِّلُهَا وَمُنْهَا ، لِأَنَّهَا الْأُمَّارَةُ بِالسُّوْءِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ لَهَا يَنْفَعُهَا ، فَبِهِدَايَةِ رَبِّهَا وَتَوْفِيقِهِ إِلَيْهَا ، وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌ لِكُلِّ مَكْلُوفٍ ، وَإِنَّمَا أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْنُدَ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ ، لِأَنَّ الرَّسُولَ إِذَا دَخَلَ تَحْتَهُ مَعَ عَلَوْ تَحْلِهِ وَمَدَادَ طَرِيقَتِهِ كَانَ غَيْرَهُ أَوْلَى بِهِ .

وَمِنْ هَذَا الضَّرِبِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّوْلَ أَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالْهَارَ مُبْهَرًا ^(٢) » فَإِنَّهُ لَمْ يَرَعِ التَّقَابُلَ فِي قَوْلِهِ « أَيْسَكُنُوا فِيهِ وَمُبْهَرًا » ، لِأَنَّ

(١) سورة سبأ ٥٠ .

(٢) سورة النحل ٨٦ .

القياس يقتضي أن يكون « والنَّارَ لِيُبْصِرُوا فِيهِ » وإنما هو مراعي من جهة المعنى لا من جهة الفظ ، وهذا النظم المطبوع غير المأكمل ، لأن معنى قوله ببصراء بصرروا فيه طرفة النقلب في الحاجات .

واعلم أن في تقابل المعانى بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فصل تأمل ، وزيادة نظر ، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور والأشعاع من الآيات الشعرية .

فهذا جاء من ذلك قوله تعالى في ذم المนาةين : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ^(١) ». وقوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ أَنَّاسٌ فَقَالُوا أَنَّا فُؤُمُونَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ^(٢) » .

الآرى كيف كيف فصل الآية الأخرى يعلمون ، والآية التي قبلها يشعرون ، وإنما فعل ذلك لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل ، يحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتسبوا الشاطر ^{العلم} والمعرفة بذلك ، وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدى إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتغافل ، فهو كالمحض عندهم ، فلذلك قال فيه « يَشْعُرُونَ » ، وأيضا فإنه لما ذكر السفه في الآية الأخيرة وهو جهل ، كان ذكر العلم معه أحسن طباعا ، فقال « لَا يَعْلَمُونَ » .

وآيات القرآن جميعها فصلت هكذا ، كقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا هُوَ صَبِيجٌ الْأَرْضُ لَخَضْرَةٌ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ^(٣) ». وكقوله تعالى :

(١) سورة البقرة ١١ - ١٢ .

(٢) سورة البقرة ١٣ .

(٣) سورة الحج ٦٣ .

«لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ^(١)» . وَكَفَوله : «الْمَرْأَةُ أَنَّ اللَّهَ تَسْخِرُ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَيُسْكِنُ السَّمَاوَاتِ أَنَّ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَيْا ذَنْبِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالْفَاسِدِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ^(٢)» .

فَإِنَّهُ إِنَّمَا فَصَّلَتْ الْآيَةُ الْأُولَى بِالْمُطِيفِ خَبِيرٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِ الرَّحْمَةِ خَلْقَهُ يُؤْزِّالُ الْغَيْثَ وَغَيْرُهُ . وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَإِنَّمَا فَصَّلَتْ بِغَنِيِّ حَمِيدٍ، لِأَنَّهُ قَالَ: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» لَهُ لَا لَهْجَةٌ، بَلْ هُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا جَوَادٌ بِهَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ غَنِيٍّ نَافِعًا لِغَنَاهُ، إِلَّا إِذَا كَانَ جَوَادًا مُفْعِلًا، وَإِذَا جَادَ وَأَنْهَمَ حَمْدَهُ الْمَغْنَمُ عَلَيْهِ وَاسْتَحْقَقَ عَلَيْهِ الْحَمْدُ، فَذَكْرُ الْحَمِيدِ لِيُدَلِّ عَلَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ الْفَاعِلُ بِغَنَاهِ خَلْقَهُ .

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ فَإِنَّهَا فَصَّلَتْ بِرَءُوفٍ رَّحِيمٍ، لِأَنَّهُ لَا عَدَّ لِلنَّاسِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَسْعِيرِ مَا فِي الْأَرْضِ لَهُمْ، وَاجْرَاءِ الْفَلَكِ فِي الْبَحْرِ بِهِمْ، وَتَسْبِيحِهِمْ فِي ذَلِكَ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ، وَخَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَقَوْمَهُمْ، وَإِمْسَاكِهِ إِيَّاهُمْ عَنِ الْوَقْوعِ، حَسْنٌ أَنْ يَفْصِلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ رَءُوفٍ رَّحِيمٍ، أَيْ أَنَّ هَذَا الْفَعْلُ فَعْلُ رَءُوفٍ بِكُمْ رَحِيمٌ لَكُمْ .

وَاعْلَمُ أَيْهَا الْمُتَأْمِلُ لِكَتَابِنَا هَذَا أَنَّهُ قَدْ تَوْجَدَ هَذِهِ الْمَلَائِمُ وَالْمَنَاسِبُ فِي كَلَامِ فَاطِمَةِ أُو نَافِرَ .

وَمِنَ الْآيَاتِ مَا تُشَكِّلُ فَاصْلَنَهُ فَتَعْتَاجُ إِلَيْهِ فِكْرَةٌ وَتَأْمِلُ، كَفَوله تَمَالٌ :
 «وَالَّذِينَ يَرْهُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُرَدَادٌ إِلَّا أَنَّهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِهِ إِنَّمَا مِنَ الصَّادِقِينَ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لِعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيُدْرِكُ أَنَّهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشَهِّدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّمَا مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَالْخَامِسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَابٌ حَكِيمٌ^(٣)» .

(٢) سورة الحج ٦٥

(١) سورة الحج ٦٤

(٣) سورة النور ٦ - ١٠

فإنه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع بتواب رحيم ، ويظنُّ **الظان** أنَّ هذا كذلك ، ويقول إن التوبة من الرحمة لامع الحكمة ، وليس كما يظن ، بل الفاصلة بتواب حكيم أولى من تواب رحيم ، لأنَّ الله عز وجل حكم بالقلابن على الصورة التي أمر بها ، وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده ، وذلك حكمة منه ، ففصَّلت الآية الواردَة في آخر الآيات بتواب حكيم ، فجُمِع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة .

وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه نفعاً ولا أعظم فائدة .

ومما جاء من هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي :

وقفتَ وما في الموت شئْ لواقف كأيُّك في جهنم الردي وَهُوَ نائمٌ
تَرَءُّك الأبطال كَأَنَّك هزيمةً ووجهُك وضائع وثغرُك باسمٌ
وقد أخذت على ذلك ، وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخرًا للبيت الثاني
وآخر البيت الثاني آخرًا للبيت الأول لكان أولى .

ولذلك حكاية ، وهي أنه لما استفسدَه سيف الدولة يوماً قصيده التي أورها :

« على قدرِ أهل العزم تأتي العزائم » ^(١).

فلمَا بُلِغَ إلى هذين البيتين قال قد اتفقْتُ ما عليك ، كما أنتَ قيد على أمرِي ،
الناس قوله :

كَانَ لَمْ أَرْكَبْ جُوداً لَّذْدَهْ وَلَمْ أَتْبَطَنْ كَاعِبَاتَ خَلْخَال

(١) مطلع القصيدة في مدح سيف الدولة لما بني نهر الحدث ٣٤٣ هـ
على قدرِ أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
الديوان ٤/١٢٢

ولم أستأْلِ الوقْتَ الرَّوِيَّ وَكُمْ أَقْلَىٰ . نَحِيلَ كُرْتَىٰ كَرْتَةَ بَعْدَ إِجْهَالٍ^(١)

فَيَقِيَّةَكَ لَمْ يَلْقَهُمْ شَطْرَا هُمَا ، كَمَا لَمْ يَلْتَقِمْ شَطْرَا بِيْقَ اْمْرِيَّ الْقَيْسِ ، وَكَانَ يَنْبَغِي
لَكَ أَنْ تَقُولَ :

وَقَفْتَ وَمَا فَتَ لَلْوَتْ شَكَ لَوْافَ وَوَجْهُكَ وَضَاحَ وَنَفْرَكَ بِاَسْمِ
تَعْرُثُ بِكَ الْأَبْطَالَ كَلَمَىٰ هَزِيمَةَ كَلَمَكَ فِي جَهَنَّمِ الرَّدَىٰ وَهُوَ نَائِمٌ

نَقَالَ الْمَقَابِيُّ : إِنْ صَحَّ أَنَّ الْذِي اسْتَدَرَكَ عَلَى اْمْرِيَّ الْقَيْسِ هَذَا أَعْلَمَ بِالشِّعْرِ مِنْهُ
فَهَذَا أَخْطَأُ اْمْرِيَّ الْقَيْسِ وَأَخْطَأُتُ أَنَا ، وَمَوْلَانَا يَعْلَمُ أَنَّ التَّوْبَ لَا يَعْلَمُهُ الْبَزَّازُ كَمَا
يَعْلَمُهُ الْحَانِكُ ، لَاَنَّ الْبَزَّازَ يَعْرُفُ جَهَنَّمَ وَالْحَانِكَ يَعْرُفُ تَفاصِيلَهُ ، وَإِنَّمَا قَرَنَ
اْمْرِيَّ الْقَيْصِ النِّسَاءَ بِالْمَدَّةِ الْمَرْكُوبَ لِاصِيدِهِ ، وَقَرَنَ السَّمَاحَةَ بِسَبَاهَ الْمُخْرَجِ الْأَضْيَافِ
بِالشَّجَاعَةِ فِي مَفَازَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَكَذَلِكَ لَمَّا ذَكَرْتُ الْأَوْتَ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
أَتَبَدَّأُهُ بِذِكْرِ الرَّدَىٰ فِي آخِرِهِ ، لِيَكُونَ أَحْسَنُ تَلَاقُّهُ ، وَمَا كَانَ وَجْهُ الْمَهْزُومِ الْجَرِيجُ
حَبُوسًا وَعَيْنُهُ بَاكِيَةً قَاتَ وَرَجْهُكَ وَضَاحَ وَنَفْرَكَ بِاَسْمِ ، لِأَجْمَعِ بَيْنِ الْأَضْدَادِ .

الْفَسِيمُ الْأَمَانِيُّ فِي صَحَّةِ الْقَسِيمِ وَفَارِهِ :

وَلَمْ يَنْتَهِ ذَلِكَ حَاهِنَا مَا تَقْتَضِيهِ الْقَسِيمَةُ الْعُقْلِيَّةُ كَمَا يَذَهَبُ إِلَيْهِ الْمُكَلَّمُونَ ،
فَإِنْ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَشْيَاءَ مُسْتَحْيَلَةً ، كَمَا وَلِمَ الْجَوَاهِرَ لَا تَخْلُو إِمَّا تَكُونُ مُجَمَّعَةً أَوْ
مُفَرَّقَةً ، أَوْ لَا مُجَمَّعَةً وَلَا مُفَرَّقَةً ، أَوْ مُجَمَّعَةً وَمُفَرَّقَةً ، أَوْ بَعْضُهَا مُجَمَّعَةً وَبَعْضُهَا مُفَرَّقَةً .

أَلَا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْقَسِيمَةَ صَحِيحةٌ مِنْ حِيثِ الْعُقْلِ ، لَا سِيَّفَادِ الْأَقْسَامِ جَمِيعِهَا ،

وَإِنْ كَانَ مِنْ جَلْتِهَا مَا يَسْتَحْيِلُ وَجُودُهُ .

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَلَّعُهَا :

أَلَا عَمْ صَبَاحًا أَيْهَا الظَّلَلَ الْبَالِيَّ وَهُلْ يَعْوَنُ مِنْ كَانَ فِي الْمَصْرِ الْخَالِيِّ

(الديوان ٤٧)

وإنما زبد بالتقسيم هنا ما يمكّن وجوده ، من غير أن يُترك منها قسم واحد ، وإذا ذكرتْ قام كلّ قسم منها بنفسه ، ولم يشارك غيره ، فتارة يكون التقسيم بلفظة إِمَّا ، وتارة بلفظة بين ، كقولنا بين كذا وكذا ، وتارة بلفظة منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا ، وتارة يأن يذكر العدد المراد أولاً بالذكر ثم يقسم ، كقولنا : فانشعب القوم شعْبَهَا أربعاً : فشعبة ذهبت يومينا ، وشعبة ذهبت شهلاً ، وشعبة وقفت بمكالمها ، وشعبة رجعت إلى ورائها .

فما جاء من هذا القسم قوله تعالى : « ثُمَّ أُوزِّعُنَا الْكِتَابُ الَّذِينَ اصْطَدَّنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَهُنْ هُمُ الظَّالِمُونَ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُفْتَحُونَ ، وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالخَيْرَاتِ » ^(١) .
وهذه قسمة صحيحة ، فإنه لا يخلو العباد من هذه الثلاثة ، فإما عاصٍ ظالم لنفسه ، وإما مطاعم مبادر إلى الخيرات ، وإما مقصود بيدهما .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « وَكُفَّنِيمُ أَذْوَاجَهُنَّا ، فَأَحْسَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَحْسَابُ الْمَيْمَنَةَ ، وَأَحْسَابُ الْمَشَاءَةِ مَا أَحْسَابُ الْمَشَاءَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » ^(٢) . وهذه الآية منطبقـة المعنى على الآية التي قبلها ، فأصحاب المشاءة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب الميـمة هـم المقصـدون ، والسابـقون هـم السابـقون بالـخيرات .

وعلى نحو ذلك جاء قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا » ^(٣)
فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ، وليس لفراقة قائل .

فإن قيل إن استيفاء الأقسام ليس شرطاً ، وترك بعض الأقسام لا يقدح في الكلام ، وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « لَا يَسْتَوِي أَحْسَابُ

(١) سورة فاطر ٣٤

(٢) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(٣) سورة الرعد ١٢

النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ^(١) فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار ، فالجواب على ذلك أنى أقول هذا لا ينقض على ما ذكرته ، فإن استيفاء الأقسام يلزم فيها استيفتهم الإجهال فيه ، الاترى إلى قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم » فإنه حيث قال (فهم) لزم استيفاء الأقسام الثلاثة ، ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز ، وأما هذه الآية التي هي « لا ينتهي أصحاب النار وأصحاب الجنة » فإنه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر ، للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ، ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضاً ما الأصحاب الجنة .

وكذلك كل ما يجري هذا المجرى ، فإنه إنما يُنظر فيه إلى المستفهم وغير المستفهم فاعرفه .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يُعجّلون بقول بعض الأعراب ، ويزعمون أن ذلك من أصح التقييمات وهو قوله : « النعم ثلاث : نعمة في حال كونها ، ونعمة ترجي مستقبلة ، ونعمة تأتي غير محسوبة ، فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجيه ، وتفصل عليك بما لم تخسبه » .

وهذا القول فاسد ، فإن في أقسام النعم التي قسمها تقاصاً لابد منه ، وزيادة لاحاجة إليها ، فأما النعم ^{فإغفال} الذمة الماضية ، وأما الزِّيادة فهو بعد المستقبلة « ونعمة تأتي غير محسوبة » ، لأن النعم التي تأتي غير محسوبة داخلة في قسم النعم المستقبلة ، وذلك أن النعم المستقبلة تنقسم قسمين : أحدهما يُرجى حصوله ، والآخر لا يُحتسَب ، قوله « ونعمة تأتي غير محسوبة » يوم أن هذا القسم غير المستقبل ، وهو داخل فيه .

وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول: النعم الثلاث نعمة ماضية ، ونعمة في حال
كونها ، ونعمة تأتي مسبقة لها ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية ، وأبقى عليك النعمة
التي أنت فيها ، ووفّ حظك من النعمة التي تسبقه لها .

وقد استوفى أبو تمام هذا المعنى في قوله:

جُهْتُ لَنَا فِرَقُ الْأَمَانِيِّ مُنْكِمٌ
فَصَنِعَةٌ فِي يَوْمَهَا وَصَنِعَةٌ
كَالْمُزْنِيِّ مِنْ مَافِي الْوَبَابِ ذُقْبِلٌ
مُتَنَظِّرٌ وَمُخْيِّجٌ مُتَمَلِّلٌ^(١)

وقف أعرابى على مجلس الحسن البصري رضى الله عنه فقال : « رحم الله عبداً أعظم من سَيِّدَة ، أو أَمَّى من كَفَاف ، أو آثَرَ من قِلَّة » فقال الحسن البصري : ما ترك لأحد عذرا .

وقد عاب أبو هلال العسکری علی جمیل قوله :

لو كان في قلبي كقدر قلامرة حمّا وصلتك أو أنتك رحائى^(٢)

فقال أبو الهلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل^(٣) ، وليس الأمر

(١) من مدحه لأحمد بن أبي دواد الإيادى (الديوان ٤٩/٣) فالأصل فوق بدل
من فرق .

(٢) قبل هذا البيت أسماء منها :

فَلَرَبْ عَارِضَةَ عَلَيْنَا وَصَلَهَا بِالْجَدِ تَمْخُلْطَهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
فَأَجِّتَهَا بِالرَّفْقِ بَعْدَ تَسْرِ حَيِّ بِثَنَيْهِ عَنْ وَصَالِكِ شَاغِلِي

(الديوان ٨٣)

٣٤٨ - (٣) الصناعين .

كما وقع له ، فإن جميلا إنما أراد بقوله وصلتك أى أنتهك زائرًا وقصدًا ، أو كنت رسالتك مراسلة ، والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين ، إنما زيارة وإنما رسالة .

ومن أتعجب ما وجدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالفارسي وهو قول العباس بن الأخفش :

وصالكم هجر وحبكم قل وعطفكم صد وسلامكم حرب^(١)

نعم قال الغانمي : هذا والله أصح من تقسيمات إقليدس^(٢) .

ويالله العجب ، أين التقسيم من هذا البيت ؟ هذا والله في واد والنقسام في واد ، ألا ترى أنه لم يذكر شيئاً تحضره القسمة ، وإنما ذم أحبابه في سوء صنيعهم به ، فذر ذكر بعض أحواه معهم ، ولو قال أيضًا :

وليئكم غنف وقربيكم توئي واعطاكم منع وصدقكم كيدب

لـ كان هذا جائزًا . وكذلك لو زاد بيته آخر جاز ، ولو أنه تقسيم لما احتمل زيادة ، والأولى أن يضاف هذا البيت الذي ذكره الغانمي إلى باب المقابلة ، فإنه أولى به ، لأنه قابل الوصل بالهجر ، والعطف بالصد ، والسلم بالحرب .

ومن فساد التقسيم قول البغتري في قصيدة التي مطلعها :

« ذاك وادي الأراك فاختس قليلا » فقال :

(١) الديوان ١٣

(٢) سبق التعريف بالغانمي . إقليدس : رياضي هندسي يوناني قديم .

قفْ مشوقةً أو سعيداً أو حزيناً أو معييناً أو عاذراً أو عذولاً^(١)

فإن المشوق يكون حزيناً، والمسعد يكون معييناً، وكذلك يكون عاذراً .
وكثيراً ما يقع المحتوى في مثل ذلك .

وكلذلك ورد قول أبي الطبيب المقني وهو :

فأُخْرِيَ فَإِنَّ الْفَاسِدَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ مُسْتَهْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ^(٢)

فإن المستهشم يكون حاسداً والحاسد يكون مستهظماً ، ومن شرط التقسيم
الآن داخل أقسامه بعضها في بعض .

ومن هذا الأسلوب ما ورد في آيات الحمامة^(٣) وهو :

وَكُنْتَ اَمْرًا إِمَّا ائْتَمْنَتْكَ خَالِيَا فَخَنَّتْ وَلَمَّا قَاتَ قَوْلًا بَلَّ عِلْمَه
وَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ بَعْزَلَةٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْإِثْمِ
فَإِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْإِثْمِ ، وهذا تقسيم فاسد .

(١) في مدح محمد بن علي عيسى القمي . والشطر الثاني هو : « مقصراً من صباية أو
مطيلاً » الديوان ٢/٢١٠

(٢) من قصيدة في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، مطلعها :
لَكَ يَا مَنَازِلَ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلَ أَقْفَرْتَ أَنْتَ وَهُنْ مِنْكَ أَوْ أَهْلَ
(الديوان ٤٥٥/٤)

وفي الديوان (يا أخغر) يزيد بهذا أخغر ، خذف للنادى كقراءة على بن حزة (الا
ما اسجدوا الله الذي يخرج الحب) أو أن حرف النداء هنا للتغيبة مثل ألا ، كقول ذي الرمة :
ألا يَا اسْمَى يَادَارِي عَلَى الْبَلِي وَلَا زَالَ مِنْهُ لَا يَجِرُ عَائِكَ الْقَطْرَ

(٣) ذكر التبريزى أن القائل عبد الله بن حام السلوى ، وكان قد وشى به واش إلى
زياد بن أبي سفيان ، ثم جم بينهما زياد ، فقال عبد الله لا واشى هذين البيفين وفي الحمامة .
(وأنت أمرؤ لاما ائْتَمْنَتْكَ)

(شرح التبريزى لـ ديوان الحمامة ٣/٤٢ وشرح المرزوقي ٣/١١٣٩)

وَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكُ ثُرَا قَوْلَ بِعِضِهِمْ فِي ذِكْرِ مَنْهُزِمِينَ «فَمَنْ جَرِحَ مُتَخَرِّجَ
بِدَمِهِ ، وَهَارِبٌ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى وَرَاهِهِ» فَإِنَّ الْجَرِحَ قَدْ يَكُونُ هَارِبًا ، وَالْهَارِبَ
قَدْ يَكُونُ جَرِحًا . وَلَوْ قَالَ فَمِنْ بَيْنِ قَتِيلٍ وَمَأْسُورٍ وَذَاجِ ، أَصْحَاحٌ لِهِ التَّقْسِيمُ ،
أَوْ لَوْ قَالَ فَمِنْ بَيْنِ قَتِيلٍ وَمَأْسُورٍ أَصْحَاحٌ لِهِ التَّقْسِيمُ أَيْضًا ، لِعدَمِ الْفَاجِي بِيَنْهُمَا .

وَقَدْ أَحْسَنَ الْبَحْتَرِيُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى حِيثُ قَالَ :

غَادَرْ تَهْمَمْ أَيْدِي الْهَنَّيَّةِ صُبْحَمْ بِالْقَدَّا بَيْنَ رُكْبَعِ وَسُجُودِ
فَهُمْ فِرْقَةُانْ بَيْنَ قَتِيلٍ قُتِصَّتْ نَفْسُهُ بَحْدُ الْخَدِيدِ
أَوْ أَسِيرٌ غَدَالِهِ السَّجْنُ لَهْدَأْ فَهُوَ حَيٌّ فِي حَالَةِ الْمَدْهُودِ
فِرْقَةُ الْسِّيُوفِ يَنْفَذُ فِيهَا السُّجْنُ كُمْ قَصْدًا أَوْ فِرْقَةُ الْقِيُودِ^(١)

وَمِنْ فَسَادِ التَّقْسِيمِ قَوْلُ أَبِي تَامَّ :

وَنُورِتُ بَيْنَ حُكْمِ الدَّلِيلِ مُنْقَطِعٌ صَالِيَهُ أَوْ بِحِمَالِ الْمَوْتِ مُتَصِّلٌ^(٢)

فَإِنَّهُ جَعَلَ صَالِيَهُ هَذَا الْمَوْقِفَ إِمَّا ذَلِيلًا عَنْهُ أَوْ هَالِكًا فِيهِ ، وَهَاهُنَا قَسْمٌ ثَالِثٌ
وَهُوَ أَلَا يَكُونُ ذَلِيلًا وَلَا هَالِكًا ، بَلْ يَكُونُ مُقْدِرًا فِيهِ نَاجِيَا . وَفِي هَذَا نَظَرٌ
عَلَى مَنْ ادْعَى فَسَادَ تَقْسِيمِهِ ، فَإِنَّ أَبَا تَامَّ قَصْدَ الْغُلُوْبِ فِي وَصْفِ هَذَا الْمَوْقِفِ ،
فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ فِيهِ أَحَدُ رِجَالَيْنِ : إِمَّا ذَلِيلٌ عَنْ مَوْرِدِهِ ، وَإِمَّا هَالِكٌ فِيهِ ، أَيْ
أَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ بَرِّدُهُ .

وَهَذَا تَقْسِيمٌ صَحِيحٌ لِفَسَادِهِ .

(١) لَيْسَ بِدِيوَانَهُ .

(٢) مِنْ قُصْيَدَتِهِ فِي مَدْحَ الْعَتَّصَمِ بِاللهِ وَالَّذِي فِي الْدِيوَانِ (وَمَشْهُدُ بَيْنَ حُكْمِ الْقَلْ)

ترتيب التفسير

والقسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد.

اعلم أن صحة الترتيب في ذلك أن ويد كر في الكلام معان مختلفة، فإذا عيد إليها بالذكر لتفسیر قدم المقدم وأخر المؤخر، وهو الأحسن، إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح، ولم يرَعَ فيه تقديم المقدم ولا تأخير المؤخر، كقوله تعالى: «أَفَلَمْ يرَا إِلَى مَا بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ آثَا نَخْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّذِيقٍ»^(١) ولو قدم تفسير المقدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقليل إن نشأ نسقسط عليهم كسفًا من السماء أو نخسف بهم الأرض.

وكذلك ورد قوله تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدُتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُفِّرُوا كَفَرُوْنَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ»^(٢) «فَقُدُّمَ الْمُؤْخَرُ وَآخِرُ الْمُقْدَمِ» .

والقسام وردًا جمعًا في القرآن الكريم.

ما روى في تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله تعالى: «وَمَا أُؤَخِّرُهُ إِلَّا أَجْلٌ مَدْدُودٌ ، يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَنَهْمَ شَقِّيٌّ وَسَرِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهْرِيقٌ ، خَالِدُونَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنْ رَبَّكَ فَعَالَ مَا يَرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدُونَ» .

(١) سورة سباء ٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٦

فِيمَا مَادَمْتُ السَّهَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ^(١) .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَتَينَ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبَهْرَةً^(٢) .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبَهْرًا^(٣) » فَلِمَا قَدِمَ اللَّيلُ فِي الدَّرْكِ كَرِّ النَّهَارِ قَدِمَ سَبِبُ اللَّيلِ وَهُوَ السَّكُونُ عَلَى سَبِبِ النَّهَارِ وَهُوَ التَّعِيشُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَهُ فِي كِتَابِ تَعْزِيزَةٍ وَهُوَ فَصْلٌ مِنْهُ فَقَالَتْ : وَلَقَدْ أُوْحَشَتْ مِنْهُ لِلْعَالَى كَمَا أُوْحَشَتِ الْمَنَازِلُ ، وَآمَتْ الْمَكَارِمَ كَمَا آمَتَ الْحَلَائِلَ ، وَعَمَّتْ لَوْعَةُ حَطَبِهِ فَإِذَا شَقَكَى ثَلَكَى إِلَى إِلَى ثَلَكَى ، وَمَا أَفْوَلَ فَيُعْنَى عَدَمُتِ الْأَرْضِ مِنْهُ حَيَاهَا ، وَالْمَحَمَدُ تَحْمِيَاهَا ، فَلَوْ نَطَقَ الْجَمَادُ بِالسَّانُ ، وَتَصُورُ الْمَعْنَى لِعَيْانُ ، لَا غَرَّتْ تَلَكَ عنْ ظَمَأِ صَهِيْدَهَا ، وَبَرَزَتْ هَذِهِ حَامِرَةً حَوْلَ فَقِيْدَهَا .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الإِخْرَانِ فَقَالَتْ « وَمَا زَالَتْ أَيَادِي سَيِّدِنَا مَقْنَوْعَةً فِي زِيَادَةِ جُرْدَهَا وَكَتَابَهَا ، فَهَذِهِ مَتَطْوِلَةٌ بِتَرْقِيَةِ وِرْدَهَا ، وَهَذِهِ آخِذَةُ بَسْنَةِ أَغْبَابِهَا ، وَأَحْسَنَ مَا فِي الْأُولَى أَنْهَا تَانِي مَتَعْلِيمَةٌ بِفَوَاضِلِ الْإِكْمَارِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَنْهَا قَاتِي مَتَعْلِيمَةٌ بِفَضَائِلِ الْإِخْتَصَارِ ، غَالِخَتْصَارٌ هَذِهِ فِي فَوَائِدِ أَقْلَامِهَا ، كَتَطْوِيلَ تَلَكَ فِي عَوَانِدِ إِنْعَامِهَا ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ خَوَاطِرِي مَسْتَغْرِقَةً بِإِنشَاءِ الْقَوْلِ الْمَبَكَرِ فِي شَكَرِ الْفَضْلِ الْمَطْوَلِ وَجَرَابِ الْبَيَانِ الْمُخْتَصِرِ ،

(١) سورة هود ١٠٥

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة يونس ٦٧ كَانَ فِي الأَصْلِ تَحْرِيفٌ فِي الْآيَةِ .

وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهَا مِنْ سُلْطَانٍ لِّبَلَاغَةِ مَا يَسْتَغْلِلُ بِأَدَاءِ حَقُوقِ تَنْقُلٍ عَلَى الْرِّقَابِ ،
وَمُقَابَلَةِ بَلَاغَاتِ تَنْقُلٍ عَلَى الْأَبْابِ » .

وَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ شِعْرًا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَاسِ :

لَنَا لَمْ يَلِ كُومٌ يَضْيُقُ بِهَا الْفَضَّا وَيَفْتَرُ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا
فَنِ دُورَنَهَا أَنْ تُسْتَبَحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونَنَا أَنْ تُسْتَبَحَ دِمَاؤُهَا
جِمِي وَقِرَى فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَاجِهَا وَأَيْسَرُ خَطَبٍ يَوْمَ حُقٍّ فَهَوْهَا^(١)
وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ نَادِرٍ مَا يَجِدُ فِي هَذَا الْبَابِ مَعْنَىً وَتَرْتِيبٌ تَفْسِيرٌ .

وَمَا جَاءَ مِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي قَمَامِ :

وَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ تُعْيِلُ ظَبَاهُ أَخْدُ عَنْ كُلِّ مَا قِيلَ
فِيهَا دُوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ وَهَذَا دُوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

وَكَانَ لَهُمْ غَيْثًا وَعِلْمًا فَمُعْدِمٌ فَيَسَّالُهُ أَوْ بَاحِثٌ فَيُعَذِّلُهُ^(٢)

وَهَذِهِ مِنْ بَدِيعِ مَا يَأْنِي فِي هَذَا الْبَابِ .

وَمَا وَرَدَ مِنْهُ قَوْلُ عَلَيٌّ بْنِ كَجَّبَلَةَ :

فَتَنِي وَقَنِ الأَيَّامَ بِالشُّخْطِ وَالرَّضا هَلْ بَذْلٌ عُرْفٌ أَوْ عَلَى حَدِّ مُنْصَلٍ

. وَمِنْ الْحَسْنَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي نُوَاصِ :

(١) دِيْوَانُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَوْلَ ١٦٣ كُومٌ: جُمْ كُومْ، اَوْهِ النَّافَةُ الصَّغِيرَةُ السَّنَامُ

(٢) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ الْمَعْتَصِمِ وَالْأَفْشَينِ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

غَدَا الْمَلَكُ مَعْمُورُ الْحَمَى وَالْمَنَازِلِ مُنْورٌ وَحَفَ الرُّوضَ عَذْبَ الْمَنَاهِلِ

الْدِيْوَانُ ٧٩ / ٣

(٣) الْدِيْوَانُ ٣٦٧ فِي رِنَاءِ الْقَاسِمِ بْنِ طَوْقِ

يَرْجُو وَيَخْشى حَالَتِكَ الْوَزِيرِ كَانَكَ الْجَنَّةَ وَالنَّارُ^(١)

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَأْخِرِينَ، وَهُوَ الْقَافِيُّ الْأَرْجَانِيُّ :

يَوْمُ الْمَقِيمِ فِيكَ - وَلُكَ كَامِلٌ يَعِاقِبُ الْفَصْلَانَ فِيهِ إِذَا أَتَى
مَا بَيْنَ حَرٍّ جَوَى وَمَا مَدَاعِي إِنْ حَنَّ صَافٌ وَإِنْ بَكَ وَجْدًا شَفَّا^(٢)
وَمَا أَخَذَ عَلَى الْفَرْزَدِقَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ :

لَقَدْ جَنَّتْ قَوْمًا لَوْلَجَاتَ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِمَ أوْ حَامِلًا نَقْلَ مَغْرِمٍ
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُمْطِيَا أَوْ مُطَا عِنْيَا وَرَاءَكَ شَرَرًا بِالْوَشِيجِ الْمَقْوَمِ^(٣)

لَا هُوَ أَصَابَ فِي التَّسِيرِ وَأَخْطَأَ فِي التَّرْتِيبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَتَى بِتَفْسِيرِ مَا هُوَ أَوَّلُ
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ثَانِيَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِيِّ، وَالْأُولَى أَنْ كَانَ أَتَى بِتَفْسِيرِ ذَلِكَ مِنْ تَبَّاهِ،
فَفَسَرَ مَا هُوَ أَوَّلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِمَا هُوَ مَكَانٌ فِي الْبَيْتِ الثَّانِيِّ .

(١) مِنْ تَصْيِيدَتِهِ الَّتِي مَدَحَهَا الْعَبَاسُ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ الرَّبِيعِ، الَّتِي مَطَّلَعُهَا :
أَمْنَكَ لِلْمَكْتُومِ . اِظْهَارِ أَمْ مِنْكَ تَفْبِيْبِ وَإِنْكَارِ
الْدِيْوَانِ ٤٤٤ تَفْبِيْبٌ : دَفَاعٌ عَنِ

(٢) مِنْ مَدْحَتِهِ لِلْفَقِيهِ جَالِ الدِّينِ بْنِ الْخَسْنِ بْنِ سَلِيْمانَ، وَمَطَّلَعُهَا :

يَا مَعْرِضَا قَدْ كَانَ أَنْ تَتَلَفَّتَا تَعْذِيبَ قَلْبِيِّ الْمَسْتَهَامِ إِنِّي مَتِ

(٣) كَانَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَوْفَ بْنُ مَعْبُدٍ بْنُ زَرَارَةَ قَدْ أَصَابَ دَمَانِي بْنِ سَعْدٍ بْنِ زَيْدٍ مَنَّاهَ
وَهَرَبَ، فَشَكَاهُ بَنُو سَعْدٍ إِلَيْهِ وَالْبَصْرَةَ حِيلَّتْ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادَ، فَبَعْثَتْ وَرَاءَهُ رَئِيسُ
شَرْطَتِهِ هَبِيرَةُ بْنُ ضَمْضُمِ الْمَجَاشِعِيِّ، وَقَالَ لَهُ : لَئِنْ لَمْ تَأْتِنِ بِهِ قَنْتَلَكَ، فَفَلَّفَرَ بِهِ هَبِيرَةُ، فَأَمْتَقَتْهُ عَلَيْهِ،
فَصُوبَ إِلَيْهِ هَبِيرَةُ الرَّمْعِ لِيَسْتَأْسِمَ وَهُوَ لَا يَرِيدُ قَتْلَهُ، فَأَصَابَهُ الرَّمْعُ فِي جَوْفِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ،
وَعَادَ هَبِيرَةُ خَائِبًا، فَقَالَ الْفَرْزَدِقُ أَبِيَا تَأَبِّعْرَضَ فِيهَا يَضْمِضُمْ، مَطَّلَعُهَا .

وَقَاتَلَهُ وَالدَّمْعُ يَمْدُرُ كَحْلَهَا لِبَئْسِ الْمَدِيِّ أَجْرِيَ إِلَيْهِ أَبِيِّنِ ضَمْضُمَ .

وَالْبَيْتَانِ فِي الْدِيْوَانِ هَكَذَا :

لَقَدْ خَنَّتْ قَوْمًا لَوْلَجَاتَ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِمَ أوْ حَامِلًا نَقْلَ مَغْرِمٍ
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مَطَّلَعُهَا وَمَطَاعِنَهَا وَرَاءَكَ شَرَرًا بِالْوَشِيجِ الْمَقْوَمِ
(الْدِيْوَانِ ٢/٧٤٩ شَرَرًا : الْمَرَادُ فِي غَصْبٍ . الْوَشِيجُ الْمَقْوَمُ : الرَّمْعُ .

واعلم أن الناظم لا ينكر عليه الذي ينكر على الناشر ، لأن الناظم يَضْطَرُّهُ
الوزن والقافية إلى ترك الأولى .

وأما فساد التفسير فإنه أقبح من فساد ترتيبه ، وذاك أن يُؤْتَى بكلام ثم
يُفسَر تفسيراً لا يناسبه ، وهو عيب لا تسامح فيه بحال . وذلِك كقول بعضهم :
فيما أَبْهَا الْحَيْرَانُ فِي ظُلْمَةِ الدُّجَى وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيًا مِنْ الْعَدَا
تَعَالَ إِلَيْهِ تَلْقَى مِنْ نُورِ وِجْهِهِ صَيَاءٌ وَمِنْ كَفْيِهِ بَحْرًا مِنْ النَّدَى
وكان يُحب على هذا الشاعر أن يقول بإزاء بغي العدا ما يناسبه من النصرة
والإعانته أو ما جرى بغيرها ليكون ذلك تفسيراً له ، كما جعل بإزاء الظلمة
الضياء ، وفسرها به ، فأما أن جعل بإزاء ما يتَحَوَّفُ منه بحراً من الندى ،
فإن ذلك غير لائق .

النوع الخامس والعشرون

في الاقتصاد والتفريط والإفراط

اعلم أن هذه المعاني الثلاثة من الاقتصاد والتفرط والإفراط تُوجَدُ في
كل شيء من علم وصناعة وخلق ، ولا بد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة ،
حتى تتبين نقلها إلى هذا النوع من الكلام .

فأما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل
إلى أحد الطرفين ، قال الله تعالى : «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُفْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ مُسَابِقٌ
بِالْخَيْرَاتِ ^(١)» ذُلْمِ النَّفْسِ وَالسُّبْقُ بالخيارات طرفاً ، والاقتصاد وسط بينهما .

(١) سورة فاطر ٣٢

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ وَآمَّا ^(١) » فَالإِمْرَافُ وَالإِفْتَارُ طرْفَانُ ، وَالْقَوْامُ وَسْطٌ بَيْنَهُما .

وقال الشاعر ^(٢) .

عَلَيْكَ بِالْقَضَدِ فِيهَا أَنْتَ فَاعْلُمْ إِنَّ الْخَلْقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
وَأَمَا التَّفْرِيْصُ فَهُوَ التَّقْسِيرُ وَالتَّصْنِيْعُ ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « مَا فَرَّطْنَا
فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » ^(٣) أَيْ مَا أَهْلَنَا وَلَا ضَيَّعْنَا .

وَأَمَا الإِفْرَاطُ فَهُوَ الإِمْرَافُ وَبَحْرُوازُ الْحَدِّ ، فَيُقَالُ أَفْرَطَ فِي الشَّيْءِ إِذَا أَمْرَفَ
وَبَحْرَوازَ الْحَدِّ ، وَالنَّفَرِيْطُ وَالإِفْرَاطُ هُمَا الطَّرْفَانُ الْبَعِيدَانُ ، وَالإِقْصَادُ هُوَ
الْوَسْطُ الْمُعْتَدِلُ .

وَقَدْ نَقَّلَتْ هَذِهِ الْمَعْانَى الْثَّلَاثَةِ إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ .

أَمَا الْإِقْصَادُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لِلْأَضْمَرِ فِي الْعِبَارَةِ عَلَى حَسْبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْمَعْبُورُ
عَنْهُ فِي مَهْرَاجَاهِ .

وَأَمَا النَّفَرِيْطُ وَالإِفْرَاطُ فَهُمَا ضَدَانُ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لِلْأَضْمَرِ فِي
الْعِبَارَةِ دُونَ مَا يَقْتَضِيهِ مَهْرَاجَاهُ الْمَعْبُورُ عَنْهُ ، وَالآخَرُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فَوْقَ مَهْرَاجَاهُ .

[النَّفَرِيْطُ]

وَالنَّفَرِيْطُ فِي إِبْرَادِ الْمَعْانِي الْخَطَابِيَّةِ قَبِيحٌ لَا يَجُوزُ اسْتَعْمَالُهُ بِوْجَهٍ مِنَ الْوَجْوهِ ،
وَالإِفْرَاطُ يَجُوزُ اسْتَعْمَالُهُ ، فَنَهَا الْحَسْنُ ، وَمِنْهُ دُونَ ذَلِكَ ،

(١) سورة الفرقان ٦٧ .

(٢) هو سالم بن وايضة . شرح الميسرة للتبريزى ٤٣٦ / ٤ والمرزوقي ٦٦٥ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨

فَمَا جَاءَ مِن التَّفْرِيْطِ قُولُ الْأَعْشَى :

وَمَا مُزِدَّ مِن خَلِيجِ الْفَرَاتِ جَوْنَ حَوَارُ بَهْ تَلْتَطِيمْ
بِأَجْوَادَ مِنْهُ بَعَاءُورُنَهْ إِذَا مَا سَمَاوُهُمْ لَمْ تَقْمُ^(١)

فَإِنَّهُ مَدْحُ مَلَكًا بِالْجُودِ بِمَا عَوْنَهُ ، وَالْمَاعُونَ كُلُّ مَا يَسْتَعْوَرُ مِنْ قَدْوَمِهِ
أَقْصَفَهُ أَوْ قِدْرَهُ أَوْ مَا أُشِبِّهُ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ الْمَلُوكُ فِي بَذَاهِهِ مَدْحُ ، وَلَا لِأَوْسِاطِ
النَّاسِ أَيْضًا ، وَفِي مَدْحِ السُّوقَةِ بِهِ قَوْلَانَ ، وَمَدْحُ الْمَلُوكِ بِهِ عَيْبُ وَذْمُ فَاحِشَ ،
وَهَذَا مِنْ أَفْبَحِ التَّفْرِيْطِ .

وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرِي قُولُ الْفَرَزْدَقِ :

أَلَا لَيَتَنَا كَنَا بَعِيرَيْنِ لَا نَرِدْ عَلَى حَاضِرِي إِلَّا نَشَلْ وَنَقْذَفْ
كَلَانَا بِهِ عَرْ بِخَافْ قِرَافَهْ
عَلَى النَّاسِ مَطْلِي الْمَشَاعِرِ أَخْشَفْ^(٢)

(١) من قصيدة في مدح قيس بن معبد يكرب، التي مطلعها :
أَتَهِجَرْ فَانِيَةُ أَمْ نَلِمْ أَمْ الْحَبْلُ وَاهْ بِهَا مِنْجَدْمُ
الْدِيْوَانُ ٣٥ .

(٢) من إحدى قصائده (الديوان ٢ / ٥٥١) والبيتان في الديوان هكذا :
فِي الْيَتَنَا كَنَا بَعِيرَيْنِ لَا نَرِدْ عَلَى مَنْهَلِي إِلَّا نَشَلْ وَنَقْذَفْ
كَلَانَا بِهِ عَرْ بِخَافْ قِرَافَهْ عَلَى النَّاسِ مَطْلِي الْمَشَاعِرِ أَخْشَفْ
وَكَانَ بِالْأَصْلِ (قِرَافَهْ) وَ (الْمَشَاعِرِ) .

الْمَنْهَلُ : الْمَاءُ . نَشَلْ : نَطَرَدْ . عَرْ بفتح العين : الْجَرْبُ وَبِضمِّهَا قَرْحُ لَيْسَ بِالْجَرْبِ .
الْقِرَافَ : الْخَالِصَةُ وَدَاءُ بَقْتَلِ الْبَعِيرِ . الْمَشَاعِرُ : أَصْوَلُ الْفَغَذِينَ وَالْإِبْطِينَ ، لِأَنَّهُمَا أَوْلَى
جَاهِشَتِدْ فِيهَا الْجَرْبِ . وَبِرَوْيِ الْأَشَاءِرِ . أَخْشَفُ : الْجَلْدُ الْيَابِسُ مِنَ الْجَرْبِ .
وَلِكَثِيرٍ عَزَّةً أَمْنِيَةً مِثْلَ هَذِهِ فِي قُولِهِ :

أَلَا لَيَتَنَا يَاعِزْ مِنْ غَيْرِ رِبِّهِ
كَلَانَا بِهِ عَرْ فَنِ يَرْنَا يَقْلُ
فَكَوْنُ لَذِي مَالِ كَثِيرٍ مَغْلُ
إِذَا مَا وَرَدَنَا مَنْهَلًا صَاحْ أَهْلَهِ
بِعِيرَاتِ نَرِعِي فِي الْخَلَاءِ وَنَزِبْ
عَلَى حَسْنَهَا جَرْبَاهُ تَعْدِي وَأَجْرَبْ
فَلَا هُوَ يَرْعَانَا وَلَا نَحْنُ نَظَلْبُ
عَلَيْنَا فَلَا تَنْفَكْ نَرِمِي وَنَخْرَبْ

هذا دجل ذهب عقوله حين نظم هذين الأبيتين ، فإن مراده منهمما التغزل
بمحبوبه ، وقد فحمر توقيه على أن يكون هو ومحبوبه كجهةين أجربيه ،
لا يقربهما أحد ولا يقربان أحداً إلا طردهما ، وهذا من الأماني السخيفة ، ولهم
في غير هذه الأماني مندوحات كثيرة .

وما أشبه هذا بقول القائل :

يا رب إن قدرتَهُ أَمْقَبْلٌ غيري فالأدبار أو الأكْنُونِ
وإذا حَكَمْتَ لَنَا بَعْنَانٍ مُرَاقِبٍ
فِي الدَّهْرِ فَلَمَّا تَكَبَّلَ مِنْ عَيْنَنِ النَّرْجِسِ
فَانظَرْ كَمْ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْأَمْنِيَتَيْنِ .

وهما أخذ على أبي نواس في قصيدة الميمية الموصولة التي مدح بها الأمين
محمد بن الرشيد وهو قوله :

أَصْبَحْتَ يَا ابْنَ زُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ
أَمْسَلَّاً لَعْقَدِ حِبَالَهِ اسْتِخْكَامٌ^(١)

فإن ذكر أم الخليفة في مثل هذا الموضع قبيح .

وكذلك قوله في موضع آخر :

وَلَيْسَ كَجَدْتَهِيْهِ أَمْ مُؤْمِنِيْهِ إِذَا نُسِبَتْ وَلَا كَالْخَيْزَرُانَ^(٢)

(١) من قصيده في مدح الأمين التي مطلعها :

يادار ما فعلت بك الأيام ضامنك والأيام ليس تضام

(الديوان ٤٠٧)

(٢) من مدحته للأمين ، التي أولها :

وضينا بالأمين عن الزمان فأنسحب الملك معمور المغاني

وَهَذَا لِفَوْنَمِنَ الْحَدِيثِ لَا فَائِدَةُ فِيهِ ، فَإِنْ شَرْفَ الْأَنْسَابِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى
الرِّجَالِ لَا إِلَى النِّسَاءِ . وَيَالِيَتْ شِعْرِي أَمَا سَمِعْ أَبُو نُوَاسَ قَوْلُ قَتِيلَةَ بَنْتِ
ثَلَاثَةِ نَهْرِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَمْحَمَّدٌ وَلَا نَتَ نَجِعُ كَرِيمَةٌ
مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مَعْرِقٌ
مَا كَانَ خَرَكٌ لَوْمَنَتْ وَرَبَّا مَنْ فَتَى وَهُوَ الْمَغْيُظُ الْمُحَمَّقُ (١)

فَإِنَّهَا ذَكَرَتِ الْأُمَّ بِغَيْرِ اِنْمِمِ الْأُمَّ ، وَأَبْرَزَتِ هَذَا الْكَلَامُ فِي هَذَا الْلِبَاسِ الْأَنْيَقِ .
وَكَذَلِكَ فَلِيَكُنَّ الْمَادِحُ إِذَا مَدْحُ ، وَأَبُو نُوَاسَ مَعْ لَطَافَةِ طَبِيعَهِ وَذَكَائِهِ
وَمَا كَانَ يُوصَفُ بِهِ مِنَ الْفَطْنَةِ قَدْ ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْ ظَهُورِهِ .

وَلَيْسَ لِقَائِلٍ أَنْ يَتَرَضَّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى حَكَمَةُ عَنْ مُوسَى وَأَخِيهِ
هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ « قَالَ يَا أَبْنَ أُمٍّ لَا تَأْخُذْ بِلَعْبِي وَلَا بِرَأْسِي » (٢) فَإِنَّ الْفَرْقَ
بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ ظَاهِرٌ ، لَأَنَّ الْمُنْكَرَ عَلَى أَبِي نُوَاسَ إِنَّمَا هُوَ التَّلَاقُ بِاِسْمِ الْأُمِّ وَهِيَ
زَبِيدَةُ ، وَكَذَلِكَ اِنْمِمِ الْجَدَّةُ وَهِيَ الْخِيزْرَانُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ .
فَإِنْ قِيلَ قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يُسَوِّغُ لِأَبِي نُوَاسَ مَقَالَتَهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) وَقَدْتَ قَتِيلَةَ بَنْتَ النَّضْرِ بْنَ الْحَارِثَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَمْرَ بِقَتْلِهِ
عَقبَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، فَأَنْهَدَتْهُ أُبَيَا نَا أَوْلَاهَا :

يَا أَكِبَا إِنَّ الْأَئِلَّ مَظَاهَةٌ
مِنْ صَبَحِ خَامِسَةِ وَأَذْنَتْ مُوفَقٌ
بِلَفْغِ بِهِ مِيقَا فَإِنْ تَحْيِيَةٌ
مَا إِنْ تَرَالْ بِهَا الرَّكَابُ تَخْفَقُ
سِيرَةُ ابْنِ هَشَامٍ (١/٣٥٩) وَالْإِصَابَةُ (٤/٨٨) قَسْمُ النِّسَاءِ وَمَعْجمُ الْبَلْدَانِ (الْأَئِلَّ) وَالْعَدْدَةُ (١/٢٠)
وَذَكْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ وَأَبُو الْفَرْجِ فِي الْأَغَانِيِّ (١/٩) وَالْمَحْصُرِيُّ فِي زَهْرِ الْأَدَبِ (١/٢٧)
إِنَّهَا بَنْتُ الْحَارِثَ ، وَكَوْنُ إِذَا أَخْتَ النَّضْرَ لِبَنْتِهِ

الْأَئِلَّ : مَوْضِعُ كَانَ فِيهِ قَبْرُ النَّضْرِ . الْمَظَاهَةُ : الْمَنْزِلُ الْمَعْلُومُ : مِنْ صَبَحِ خَامِسَةٍ : تَرِيدُ مِنْ
مِنْ صَبَحِ لَيْلَةَ خَامِسَةٍ لِلَّيْلَةِ الَّتِي تَبْدِأُ فِيهَا السِّيرَةُ إِلَى الْأَئِلَّ وَأَذْنَتْ عَلَى الطَّرِيقِ غَيْرِ عَادِلٍ عَنْهُ .
تَخْفَقُ : تَخْرُبُ وَتَهْرُكُ .

«وَإِذْ قَالَ أَنْثَى يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قَاتَلَ النَّاسَ أَتَخْدُونِي وَأَمْيَأُ الْجَنِينَ مِنْ دُونِنِ اللَّهِ^(١)» فناداه باسم أمه ، نقلت الجواب عن ذلك من وجهين .

أحد هما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فنودى باسم أمه ضرورة به إذ كان له أب لنودى باسم أبيه .

الوجه الآخر أن هذا الفداء إنما هو من الأهل إلى الأدنى ، إذ الله سبحانه وتعالى هو رب وعدي عليه السلام عبده ، وهذا لا يكون تفريطاً ، لأنه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته .

على أن أبا نواس لم يوقه في هذه المرة إلا ما سمعه عن جرير في مدح عمر بن عبد العزيز كقوله :

وَأَتَهُنِيَ الْجَدَّ يَا عُمَرَ بْنَ أَيْلَى وَأَتَكْرِنِي الْمُؤْمِنَ السَّنَةَ الْجَمَادَ^(٢)
وَكَذَلِكَ قَالَ فِيهِ كَثِيرٌ عِزَّةُ أَيْضًا .

وليس المريب من هذا بخاف ، فإن العرب قد كان يعبر بعضها ببعضها بالسببيته إلى أمه دون أبيه ، الا نرى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقال له ابن حنة ، وإنما كان يقول ذلك من يغض منه ، وإنما قول النبي صلى الله عليه وسلم لازير بن صفية «بِشَرٌ قاتل ابن صفية بالنار» فإن صفية كانت عممة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما نسبه إليها رفعاً لقدرها في قرب نسبه منه وانه ابن حنة ، وليس هذا كال الأول في الغض من عمر رضي الله عنه في نسبه إلى أمه^(٣) .

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) من قصيدة التي مطلعها :

أَبْتَ هَبِنَاكَ بِالْحَمْنَ الرَّقَادَ وَأَذْكَرْتَ الْأَمَادَقَ . وَالْبَلَادَ

(الديوان ١٣٤)

(٣) لم يكن النسب إلى الأم تحذيراً ، كما توهם ابن الأثير .

فقد كانت له بواطن شتى ، منها ذكرى الأم النجبة وتجزيدها ، ومنها التغزير بها أمر اقوتها ، ومنها مدح أبنائها باسمهم لاليها ، ومنها أن تكون الأم أعظم شهرة من الأب وعراقة .
وكان في ذليل من الأحيان لاحذير (المرأة في الشور الجاهلي للدكتور أحمد الحوفي ٨٠)

وقد عاب بعض من يهتم نفسه بالمعرفة قول أبي نواس في قصيدة السينية التي أولاها «أَنْتَهَا أَكْدِيرُكَ قَدْ تَعَسَّنْ». فقال من جملتها:

ورثَ الخلازه خامساً وبخیر صادسهم سادسَ^(١)

فال وفي ذكر السادس نظر ، ويما عجبنا له مع معرفته بالشعر ، كيف ذهب عليه هذا الموضع ، أما قرأ سورة الكهف ؟ يريد قوله تعالى : « ويقولون خمسة سادسهم كلامهم ^(٢) » وهذا ليس بشيء ، لأنه قد ورد في القرآن الكريم ما ينفي هذه وهو قوله تعالى « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رأيهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ^(٣) ».

وَمَا عَبَّرَهُ عَلَى الْبَعْتَرِيِّ قَوْلُهُ فِي مَدْحُ الْفَقْحِ بْنِ خَاقَانَ فِي قَصِيدَتِهِ الْمُشْهُورَةِ
عِنْدَ اقْتَارِهِ الْأَسْدِ الَّتِي مَطَالِعُهَا « أَجِدُكَ مَا يَنْفُكُ يَسِيرٌ لِزِينَبَا » . فَقَالَ :
شَمِدْتُ ، لَئِذْ أَنْصَتَهُ حِينَ تَفَجَّرِي لَهُ مُصْلِمًا عَضْبًا وَنَبِيًّا وَقَضَبًا
فَلَمْ أَرْضِرْ غَامِيَنِي أَصْدَقَ مِنْ كَمَا رَأَكَ إِذَا الْهَيَا بَةُ لِلْكَسْ كَذَّبَا (٤)

قوله إذا الهمبة النكس تفريط في اللدح ، بل كان الأولى أن يقول إذا البطل كذب ، وإلا فأى ملح في إقدام المقدم في الموضع الذى يفر منه الجوان .

(١) من قصيدة في مدح الأمين (الديوان ٤١٧)
والمعروف أنه سادس خلفاء بنى العباس ، والخمسة هم عبد الله السفاح والمنصور والهادى والمهدى
والرشيد . وسدسهم صار لهم سادسا

(٢) سورة الكاف ٢٣

(٣) سورة الحادثة

(٤) مطلع القصيدة :

أَجْدُكْ مَا يَنْفُكْ يَسْرِي لَزِينْبَا خِيَالٌ إِذَا آتَ الظَّلَامَ تَأْوِيلًا

وفي الأصل تبترى بدلاً من تبترى (الدلوان ٥٦/١)

ألا قال كما قال أبو تمام :

فَتَيْ كُلَا ارْتَادَ الشَّجَاعَ مِنْ الرَّدَى
مَفَرِّغًا غَدَةَ الْمَأْزَقِ ارْقَادَ هَسَرَى^(١)

وعلى أسلوب البختري ورد قول بعضهم من شعراء الحماة :

وَأَنِي لَقَوَالٌ لَهَافِي مَرْحَبَا
وَالظَّالِبُ الْمَعْرُوفُ إِلَكَ وَاجِدُهُ
وَأَنِي أَمَّنْ أَبْسُطُ الْكَفَ بِالنَّدَى
إِذَا شَنِيَتْ كَفُ الْبَخِيلِ وَسَاعِدُهُ^(٢)

وهذا معهوب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يده البخيل ،
وابنها الفضيلة في بسطها عند قبض الكرام أيديهم .

ومن هذا الباب قول أبي تمام .

يَقِظُّ وَهُوَ أَكْفَرُ النَّاسِ إِفْضَا
عَلَى قَاتِلٍ لَهُ مَشْرُوقَدَ^(٣)
فِيمَهُ أَرَادَ أَنْ يَمْدُحَ فَذَمَّ
وَمَا هُوَ أَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ أَيْضًا :

تَشَفَّى الْحَرَبُ مِنْهُ حِينَ تَفْلَى
مَرَاجِلُهَا بِشَيْطَانٍ دَجِيمَ^(٤)
وقد استعمل هذا في شعره حق أخش ك قوله :

(١) من رثائه لعبد بن حميد ، ومطلع القصيدة :
أَصْمَ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَا
وَأَصْبَحَ مَفْنِي الْجَوْدِ بَعْدَكَ بِاقْمَا
وقد تقدمت القصيدة .

(٢) القاتل هو إياض بن الأرت (شرح الحمامة للتبريزى ٤/٢١٨) والمرزوق ٤/١٦٨٠
الهافى : طالب المعروف أو الطعام . شنجت كفه وساعدته : كناية عن ظهور الجدب والبخل .

(٣) من قصيدهاته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ؟ ومطلعها :

مَا هَمْدَنَا كَذَا بِكَاهِ الشَّوْقِ كَيْفَ وَالْدَمْ آيَةُ الْمَشْوَقِ
الديوان ٢/٤٣٠ .

(٤) من مدحه لبعض بيته عبد الكريم الطائين (الديوان ٢١٧) ومطلعها :
أَرَاهُمْ كَمْتَ مَأْلَفَ كُلِّ وَيْمٍ لَوْ اسْتَعْمَتْ بِالْأَنْسِ الْمُقِيمِ
تفى : تجعل لها أنفاق وهي الحجارة التي ينصب عليها القدر . المراجل : القدر . وفي الأصل
(بنق الحرب) . ليست القصيدة بالديوان .

أَنْتَ دَلُوْ دَلُوْ السَّمَاحُ أَبُوكُوْ مَعِي قَلِيبُ وَأَنْتَ دَلُوْ القَلِيبُ^(١)

ومراده من ذلك أنه جعله سبباً لخطاء المشار إليه ، كما أن الدلو سبب في اهتمام الماء من القليب ، ولم يبلغ هذا المعنى من الإغراب إلى حد يُدْنِي أبو تمام حوله هذه الدلالة ويلقيه في هذا المثال السخيف ، على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة في شعره ، بل أورد لها في مواضع أخرى منه فمن ذلك قوله :

مَا زَالَ يَهْذِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعَلَاءِ حَتَّىٰ ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ^(٢)

فإنه أراد أن يبالغ في ذكر الممدوح بالمجده بالمكان والعلا ، فقال ما زال يهذى ، وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت .

وعلى نحو منه جاء تول بعض المتأخرین :

وَيَلْعَفُهُ عَنْدَ الْمَكَارِمِ هَرَةٌ كَمَا انتَقَضَ الْمَجْمُودَ مِنْ أَمْ مِلْدَمَ^(٣)

وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله ، وإن كان المعنى المقصود به حسناً ، وكم من يقاول معنى كريماً فأساه في التعبير عنه حتى صار مذموماً كهذا وأمثاله .

(١) القليب : البئر . ليست القصيدة بالديوان . البيت بالصناعتين ٣٥٦

(٢) من مدحته لأبي الحسين محمد بن شبابة بن الهيثم التي مطلعها :

أَسْقَى طَلَوْلَمْ أَجْشَ هَرِيمْ وَغَدَتْ هَلِيْهِمْ نَفْرَةْ وَنَعِيمْ

(الديوان ٢٨٩/٣) والبيت في الديوان هكذا :

مَا زَالَ يَهْذِي بِالْمَوَاهِبِ دَائِبًا حَتَّىٰ ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ

ويروى بالمواهب والندي .

أجش : يوصف به الرعد كأن به جشة وقوة . هريم : رعد ذو صوت ، أو رعد مطر .

(٣) أم ملدم : الحمى .

ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضوع قول ابن الرومي :

ذَهَبَ الظِّنْ مَهْرَبُهُمْ مُدَاهِبُهُمْ هَزَ الْكُمَاةُ عَوَالِي الْمَرَانِ

كانوا إذا مدحوا رأوا ما فيهم فالأريحية منهم بمكان^(١)

ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا وإلا فليسكت .

وووجدت أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصوالي قد طلب على حسان بن ثابت

رضي الله عنه قوله :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُورُ يَلْمَعُنَ فِي الصُّبْحِيِّ وَأَسِيافُنَا يَقْطَرُنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا^(٢)

وقال إنه جمع الجفونات والأسياف جمع قلة وهو في مقام خبر ، وهذا مما يخط من المعنى ويضيع منه ، وقد ذهب إلى هذا غيره أيضا ، وليس بشيء لأن الغرض إنما هو الجم ، سواء كان جمع قلة أم جم كثرة .

(١) الديوان ٤٧٤ من تصييد ، طبعها :

للمادحون اليوم أهل زماننا . أولى من المهاجرين بالحرمان

(٢) كان النابغة الذبياني تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ ، يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه حسان بن ثابت وعنه الأعشى وقد أنشده شعره ، وأنشدته النساء إحدى مراتيها ، فقال النابغة : لو لا أن أبا بصير أنسدنى بذلك ، لقلت إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من كل ذات مثاك ، فقلت والله ومن كل ذي خصيتيين . فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها قال النابغة : حيث تقول ماذا ، قال حيث أقول :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُورُ يَلْمَعُنَ بِالصُّبْحِيِّ وَأَسِيافُنَا يَقْطَرُنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا

ولَدُنَا بَنِي الْعَنَقَاءِ وَابْنِي مَحْرَقٍ فَأَكْرَمَ بَنِي الْخَالَاءِ وَأَكْرَمَ بَنِي ابْنَاءِ

قال النابغة : إنك لشاعر ، لو لا إنك قللت عدد جفانك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . وفي رواية أخرى أنه قال له : قلت الجفونات فقللت العدد ، ولو قلت الجفان لكان أكثر ، وقللت يامعن في الضحايا ، ولو قلت يبرقون بالدجاج لكان أبلغ في المدح ، لأن الضيف بالليل أكثر طرفا ، وقللت يقطارن من نجدة دما ، فدللت على قلة القتل ، ولو قلت يجررين لكان أكثر ، لأن ثبات الدم ، ونثرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان منه كسرى منقطعنا .

(الأغاني ٨ / ١٨٨ والموشح للمرزباني ٦٠)

ويدل على ذلك قوله تعالى « إن إبراهيم كان أمةً قاتل حنينها ولم يكُن من المشركين ، شاكراً لأنهم اجتباه و هداه إلى صراط مستقيم » ^(١) إنtri فعم الله كانت قليمة على إبراهيم صلوات الله عليه ؟

وكذلك ورد قوله عز وجل في سورة النحل « وادخلوا يدكم في جيوبكم تخرج بيضاء من غير سوء في تسم آيات إلى فرعون وقومه لانهم كانوا قوماً فاسقين ، فلما جاءتهم آياتنا مبصراً قالوا هذا سحر مبين . وبحجداً وابهاؤا سنتي قدرتها أنفسهم ظلماء وعلموا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ^(٢) » فقال واصفية قدرتها انفسهم فجمع الناس جمع قلة ، وما كان قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة ، بل كانوا مئين الوفا ، وهذا أيضاً مما يهتم قول الصولي وغيره في مثل هذا الموضوع ،

وكذلك ورد قوله عز وجل « اللـ يَقْوَى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهِ ^(٣) » والنفوس المتفاهة والنافعه لا ينتهي إلى كثرة لأنها نفوس كُلُّ من في العالم .

وأعلم أن المدح ألفاظاً تخصه ولذم ألفاظاً تخصه ، وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من الأدب إلا تخطاب الملك ومن يقاربهم بكلاف الخطاب ، وهذا غلط بارد ، فإن الله الذي هو ملك الملك قد خوطب بالكاف في أول كتابه العزيز فقيل « إياك نعبدُ وإياك نستعين » .

وقد ورد أمثل هذا في مواضع من القرآن غير محصورة ، إلا أنني قد راجعت نظرى في ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبهة منهم بأيامهم ^(٤) والعواطف لا حكم لها ،

(٢) سورة النحل ١٢٠ - ١٢١

(٤) كانت في الأصل (بأيامهم)

(١) سورة الزمر ٤٢

وَلَا شُكُّ أَنَّ الْعَادَةَ أَوْجَتْ لِلنَّاسِ مِثْلَ هَذَا التَّعْمِيقَ فِي تَرْكِ الْخَطَابِ بِالْكَافِ ،
لَكِنِي تَأْمِلُ أَدْبَرَ الشُّعُرَاءِ وَالْكَتَابَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَوُجِدْتُ الْخَطَابَ لَا يَهْابُ
فِي الشُّعُرِ ، وَيَهْابُ فِي الْكَتَابَ إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ دُونَ الْمُخَاطَبِ درْجَةً ، وَأَمَّا إِنْ
كَانَ فَوْقَهُ فَلَا عِيبٌ فِي خَطَابَةِ إِيَاهُ بِالْكَافِ ، لَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْتَّفْرِيظِ فِي شَيْءٍ ،
فَمِنْ خَطَابِ الْكَافِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

وَإِنَّكَ كَاللَّامِلِ الَّذِي هُوَ مَدْرَكٌ وَإِنْ خَلَتْ أَنْ اَمْنَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(١)

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

حَلَفْتُ فَلَمْ أُرْكِنْتُ لِنَفْسِكَ رِبَّيَةً وَلَيْسَ وَرَاهُ اللَّهُ الْمَرْءُ مَذْهَبٌ^(٢)

وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُ بَعْضِ الْمُؤْخَرِينَ أَيْضًا فَقَالَ أَبُو نَوَارِسَ :

إِلَيْكَ أَبَا الْمَفْصُورَ عَذْبُتُ نَافِقَ زِيَارَةً خَلَّ وَامْتَهَانَ كَوِيمٍ
لَا يُعْلَمُ مَا تَأْتَى وَإِنْ كَنْتُ عَلَمًا بِأَنَّكَ مَهْمَهَا تَأْتِ غَيْرُ مَلُومٍ^(٣)

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ السَّلَارِيِّ^(٤) :

إِلَيْكَ طَوَّى عَرَضَ الْبَسِيرَةِ جَاعِلٌ قُصَارَى الْمَطَابِيَا أَنْ يَكُوَّنَ لَهَا الْفَصْرُ
وَبَشَّرَتْ آمَالِيَّ بَمْلَكَتِيْ هُوَ الْوَرَى وَدَارِهِي الدُّنْيَا وَيَوْمِهِ الْدَّهْرُ^(٥)

(١) من قصيدة في الاعتذار إلى النعيمان بن المنذر (الديوان ٢١)

(٢) من اعتذاره للنعمان بن المنذر (الديوان ١٢)

(٣) من قصيدة في مدح الفضل بن الربيم ، مطلعها :

لَمْ دَمْنَ تَزَدَادْ حَنْ رَسُومٍ عَلَى طَولِ مَا أَذَوْتُ وَطَيْبَ اسِيمٍ

(الديوان ٤٤٧)

(٤) من أشهر شعراء العراق ولد بكربلا ببغداد ٣٣٦ هـ وبذاته مالي بنى مخزوم (يتيمة الدهر ٣٩٥/٢)

(٥) قصارى المطابيا : هدفها وغايتها . وكانت بالأصل نصار المطابيا (يتيمة الدهر ٤٠١/٢)

وعليه ورد قوله البحترى :

وأقد أنيتك طالبا فسست من

أقل وأطلب جود كنك مطابى^(١)

و جل خطاب الشعراء المدوحين إنما هو بالكاف.

وذلك محظoir على الكتاب ، فإنه ليس من الأدب عندهم أن يخاطب الأدنى الأعلى بالكاف ، وإنما يخاطبة مخاطبة الغائب لامخاطبة الحاضر .

على أن هذا الباب بجملته يوكل النظر فيه إلى فطانة الخطيب والشاعر ، وليس مما يوقف فيه على المسنون خاصه .

ومن ألطاف ما وجدته أنك إذا خاطبت المدوح أن ترك الخطاب بالأمر بأن يقول أهل كذا وكذا وخرج منه مخرج الاستفهام ، وهذا الأسلوب حسن جداً ، وعليه مسحة من جمال ، بل عليه الجمال كله .

فما جاء منه قول البحترى في قصيده أولها . « بوادي لو يهوى العذول ويعشق » فقال فيها :

فهل أنت يا ابن الراشدين مختوى بياقوته تبني على وتشرق^(٢)
وهذا من الأدب الحسن في خطاب الخليفة ، فإنه لم يخاطبه بأن قال ختنى بياقوته على سبيل الأمر ، بل خاطبه على سبيل الاستفهام ، وقد ألمح جيداً هذا المذهب وحمد عندي .

(١) الديوان ٢٠/١

وفيه (لاني أنيتك) . أطلب جود كنك مطابي : أعطاني ما طلبت

(٢) من قصيده في مدح المفتر بالله ، والشطر الثاني من البيت هو :

فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق

(الديوان ١٢٤/٢)

تبني : تحسن وتجمل . ويصح أن تكون تبني على وزن تعطى والمعنى واحد ..

وقد حدا حذو البحترى شاعر من شعراء عصرنا ، فقال في مدح الخليفة الناصر
لدين الله أبي العباس أَحَدٌ مِنْ قُصْيَدَتِهِ عَلَى قَاوِيَةِ الدَّالِ ، فقال وَنَبَاتٍ يَصْفِ
بِهَا قُصْيَدَتَهُ :

أَمْقَبُولَةٌ يَا ابْنَ الْخَلَائِفَةِ مِنْ كُنْيَى لَهُ بِكَ بَوْ صَفِيٍّ غَادَةُ الشِّعْرِ رُؤُدُهُ^(١)

فقوله أُمقبولة من الأدب الحسن الذي نسج فيه على منوال البحترى .

وهذا باب مفرد ، وهو باب الاستفهام في الخطاب ، وإذا كان الشاعر فطينا
عانياً بما يضعه من الألفاظ والمعانى تَصَرَّفَ في هذا الباب بغموض التصرفات ،
واسمه خرج من ذات نفسه شيئاً لم يسبقه إليه أحد .

واثلم أن من المعانى ما يُعبِّر عنه بألفاظ متعددة ، ويكون المعنى المدرج تخزنا
واحداً ، فمن تلك الألفاظ ما يليق استعماله بالمدح ، ومنها ما يليق استعماله بالذم ،
 ولو كان هذا الأمر يرجم إلى المعنى فقط لـ كأنه جھيم الألفاظ الدالة عليه سواء
في الاستعمال ، وإنما يُرْجَعُ في ذلك إلى العرف دون الأصل .

وانضرب له مثلاً ، فنقول : هل يجوز أن يخاطب الملك فيقول له وحق دماغك
قياساً على وحق رأسك ؟ وهذا يرجع إلى أدب النفس دون أدب الدرس ، فإذا
أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذكر الرأس والهامة والكبار هل وما جرى هذا
المجرى ، فإذا أراد أن يَهْبُتوْ ذكر الدماغ والتفا والقدَال^(٢) وما جرى هذا
المجرى ، وإن كانت معانى الجميع متقاربة . ومن أجل ذلك حسنت السفارة في
الموضع الذى يقع فيه التصریح .

(١) الرؤد والرأد والرئد : الشابة الحسنة . المعنى هل تقبل في مدحى لك غادة من شعرى

(٢) القذال : مجتمع مؤخر الرأس

ومن أحسن ما يلفني من أدب النفس في الخطاب أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأله قبيح بن أشيم فقال له : أنت أكثَرُ أَمْ رَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أَكْبَرْتَنِي ، وَأَنَا أَقْدَمُ مِنْهُ فِي الْمَيْلَادِ .

فاذظر إلى أدب هذا العربي الذي من شأنه و شأن أمثاله جفاء الأخلاق ، والبعد عن فطانته الآداب .

أبو فرات :

وأما الإفرات فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحده آخرؤن ، والمذهب عندى أسمى عماله ، فإن أحسن الشعر أَكْذَبُه ، بل أصدقه أَكْذَبُه ، لكنه تتفاوت درجاته ، فنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال ، ولا يطلق على الله سبحانه و تعالى ، لأنَّه مهما ذكر به من المغالاة^(١) في صفاتِه فإنه دون ما يستحقه .

وما ورد من ذلك في الشعر قول عنترة :

وأنا المنيه في المواطنِ كملها والطعنُ مني سابقُ الآجال^(٢)

وقد يروى^(٣) بالياء وكل المعنيين حسن إلا أن الياء أَكْثَرُ غلوًا .

وما جاء على نحو ذلك قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مصرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرات دمها^(٤)

(١) كانت الكلمة بالأصل (المعاملات)

(٢) ديوان عنترة ١٢٩ والبيت بالديوان هكذا :

وأنا المنيه حين تشتعل القنا والطعن مني سابق الآجال

(٣) يروى سابق الآجال ، أي يسوقها .

(٤) روى البيت هكذا بالشعر والشعراء لاين قنية ١٧٨ والبيت بالأغاني ٣١ هكذا إذا ماغضبنا غضبة مصرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرات الدما

ومنه ما يستحبن ، كقول النافعية القيمياني :

إذا ازْتَعَّتْ خَافَ الجَهَانُ رَعَاهَا ومن يَقْعُدُ حِيثُ عَلَقَ بَفْرَقَ (١)

وهذا يصف طول قائمتها (٢) لكنه من الأوصاف المُنْكَرَة التي خرجت بها
المقالة عن حيز الاصحاح .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وأَخْفَتْ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَتَمَخَّفِّلُكَ النَّطَافُ الَّتِي لَمْ تَخْلُقْ (٣)
وهذا أشد إفراطاً من قول النافعية .

وروى أن العَتَّابي أتى أبا نواس فقال له أَمَا استحيت أَنْ حَيْثُ تَقُولُ ،
وأشدها البيت ، فقال له : وأنت مارأببت الله حيث قلت :

ما زلتُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُطْرَحًا يَضْرِبُ عَنِ وسَيْمِ الرَّأْيِ مِنْ حَيَّلِي
فَلَمْ تَرَلْ دَائِبًا تَسْعَى بِلُطْفِكَ لِي حَتَّىٰ اخْتَلَسْتَ حَيَايِي مِنْ يَدِنِي أَجَلَ

قال له العَتَّابي : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قوله ، وإنك قد
أعددت لـ كل ناصح جواباً :

(١) من أبيات له في الغزل ، وبعده :
وإن ضحكت للعزم ظلت روانيا . إليها وإن تبسم إلى المزن يبرق
رتعشت : نقرمات ، الرعنعة : القرط

الديوان من مجموعة دواوين طبعة المطبعة الأهلية بيروت ص ٦٠

(٢) لعله يريد طول هنقاها ، لأن البيت كناية عن طول الرقبة لامodel القامة

(٣) من مدحه لرشيد ، مطلعها :

خلق الشباب وشرنى لم تخاق وزرميت في غرض الزمان بأفوق
الديوان ٣٩٨ خاق على وزن سمع وكرم ونصر : بلي . الشرة : الحدة والنشاط . غرض :
هدف . أفوق : سهم كسر فوقه أى . وضم الوتر من السهم .

وقد أورد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال :

كَدَتْ مُنَادِيَ الدَّمَاءِ سَيِّوفَهُ فَلَقَلَّهَا تَخْتَازُهَا الأَجْفَانُ
(١) حَتَى الَّذِي فِي الرَّعْحَمِ لَمْ يَكُنْ صُورَةً لِفَوَادِهِ مِنْ خَوْرَهِ خَفَقَانُ

وما يجيء في هذا الباب ما يجري هذا المجرى .

وقد استعمل أبو الطيب المتنبي هذا القسم في شعره كثيراً فأحسن في مواضع منه ، فمن ذلك قوله :

عَجَاجِمًا تَغْزِيَ الْعِتَقَانُ فِيهِ كَانَ الْجَوَّ وَعَثٌ أَوْ خَبَارٌ
(٢)

ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثَرًا لَوْ تَمْتَغَنِي عَنْهَا عَنْهَا لَأْمَكَنَا
(٣)

(١) من مدحه للرشيد ، مطلعها :

حَى الدِّيَارِ إِذَ الزَّمَانِ زَمَانٌ وَإِذِ الشَّبَاكِ لَنَا حَرَى وَمَعَانٍ
 الديوان ٤٠٤

الرحم : بكسر الراء وسكون الماء ، وبكسرها مما قر الجبين في بطنه أمه . الشباك : جم شبك . حرى : خليق بنا . معان : هون . يريد أن شباك الهوى فيها مفعى كانت تصيب .

(٢) من مدحه لسيف الدولة ، مطلعها :

طَوَالْ قَنَا تَطَاعُنُهَا قَصَارْ وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَغْيَ يَحَارْ

الديوان ٢٤٣

عجاججا : منصوبة على التبعية لما قبلها في بيت سابق . والعجاج : الغبار .

العقبان : جم عقاب وهو طير جارح . الوعت : المكان السهل اللين الذي تتغوص فيه الأقدام . الخبار : مalan من الأرض واسترخي . يريد أن العقبان التي تسير فوق الجيش تتعثر في ذلك الغبار الكثيف ، فكأن الجلو أرض لينة تتغوص فيها أرجلها

(٣) من قصيدة في مدح بدر بن عمار (الديوان ٤٢٠) السنابك : جم سنابك وهو طرف مقدم الخافر . العثير : الغبار . العنق : سير شديد .

وهذا أَكْثَر مِنْ مِغَالَةِ الْأُولَى .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

كَانُوا تَتَلَقَّاهُمْ لَتَسْلُكُوهُمْ فَالظُّعْنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا يَسْعَ^(١)

وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ قَبِيسَ بْنِ الْخَطِيمِ :

مَلَكَتْ بِهَا كَفَّيْ فَأَنْهَرَتْ فَتَقَمَّا بَرَى قَائِمٌ مِنْ دُورِنَهَا مَا وَرَاءَهَا^(٢)

لَكِنْ أَبُو الْطَّيْبُ أَكْثَرَ غَلوًّا فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَقَبِيسَ بْنُ الْخَطِيمِ أَحْسَنُ ،
لَا نَهِيَّ قَرِيبُ مِنَ الْمَمْكُن ، فَإِنَّ الظُّعْنَةَ تَنْفَذُ حَتَّى يَتَبَعَّيْنَ فِيهَا الضَّوْءُ ، وَأَمَّا أَنْ يَجْعَلَ
الظُّعْنَوْنَ مَسْلِكًا يُسْلِكُ كَمَا قَالَ أَبُو الْطَّيْبُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ ، وَلَا يَقُولُ فِيهِ بُعْدٌ .

أَوْ فَتَحَمَّادُ :

وَأَمَّا الْأَقْتَصَادُ فَهُوَ وَسْطٌ بَيْنَ الْمَزَلَقَيْنِ ، وَالْأَمْمَةُ لَهُ كَثِيرَةٌ لَا تَحْصَى ، إِذْ كُلَّ
مَا خَرَجَ عَنِ الْأَطْرَفَيْنِ مِنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفَرِيطِ فَهُوَ الْأَقْتَصَادُ .

وَمِنْ أَحْسَنِهِ أَنْ يَجْعَلَ الْإِفْرَاطَ مُشَلَّاً ، ثُمَّ يَسْتَهْنَى فِيهِ بِلُوْ أَوْ يَكَادُ
وَمَا جَرِيَ بِهَا .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَافُ أَبْصَارَهُمْ^(٣) » وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
عَزَّ وَجَلَ : « وَأَنَّهُ لَا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ إِبْدَأً^(٤) »
وَقَدْ وَرَدَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ السَّكِيرِ كَثِيرًا .

(١) مِنْ مَدْحَ شَيْفِ الدُّوَلَةِ ، مَطَالِعُ الْقَصِيدَةِ :
غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْتَهِيُونَ إِنْ قَاتَلُوا جِبِنُوا أَوْ حَدَّنُوا شَجَنُوا
الْدِيْوَانُ ٣٩٤/٢

(٢) شَرْحُ الْحَمَاسَةِ لِلْمَرْزُوقِ (١٨٤/١) يَصُفُ طَعْنَتَهُ لَابْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ :
طَعَنَتْ ابْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً تَأْثِيرَهُ لَهَا تَنْفَذُ لَوْلَا الشَّعَامُ أَصْنَاعُهَا
الشَّعَامُ : بَفْتَحِ الشَّيْنِ الدَّمِ الْمُتَفَرِّقِ ، يَرِيدُ أَنَّ الظُّعْنَةَ كَافَتْ تَظْهِيرَ الضَّوْءِ لَوْلَا الدَّمُ الْمَنْبَثِقِ
مِنَ الْجَرْحِ . (٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢٠ (٤) سُورَةُ الْجَنِ ١٩

وَحِمَا وَرَدَ مِنْهُ شَعْرًا قَوْلُ الْفَرْزَدقُ :

يَكَادُ يُسِكُّهُ عَرْقَانَ رَاحَتَهُ رُكْنُ الْحَطَبِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَأْمِمُ^(١)

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْبَحْتَرِي :

فَلَوْ أَنْ مَشَّافَاتِكَ لَكَ فَوْقَ مَا فِي وُسُورِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ^(٢)

وَهَذَا هُوَ الْذَّهَبُ الْمَوْسُطُ .

النوع السادس والعشرون

في الاشتئاق

اعلم أن جماعة علماء البيان يفصلون الاشتئاق عن التجنيس، وليس الأمر كذلك ، بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين ومن الكلام ، وذاك أن التجنيس يعني أصل الوضم من قوله : جانس الشيء الشيء إذا ما فيه وشأنه ، ولما كانت

(١) من قصيدة منسوبة للفرزدق ، وليس في ديوانه مطاعها :

هذا ابن خير عباد الله كل يوم هذا النقي النقى الطاهر العلم
وذلك أن هشام بن عبد الملك كان يطوف بالبيت ، فأراد استلام الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبر ، فلما عليه ، وبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين فطاف ، وأنى ليستلم الحجر ، فتنحنح له الناس هيبة وإجلالا ، فغاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي أكرمه الناس وأعظموه ؟ فقال دشام : لا أعرفه ، لئلا يعظهم في نفوس أهل الشام ، فقال الفرزدق — وكان حاضرا — هذه القصيدة .

(زهر الأدب ٦٥ / ١ والأغاني ٤٠ / ١٩) وتروى القصيدة للحزين الكنانى عمرو بن عبيده بن وهب في مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وتروى لداود بن سليم في مدح قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس . وتروى للإبن المنقري في علي بن الحسين .

(٢) من قصيده في مدح الموكيل وتهنته بعيد الفطر ، مطاعها :

أَخْفَى هُوَ لَكَ فِي الْفَلَوْعَ وَأَنْظَهُرَ وَأَلَامَ فِي كَمْدَ عَلَيْكَ وَأَعْذَرَ

(الديوان ٢١١ / ١) وبالأسأل (لو أن)

الحال كذلك ووجدنا من الألفاظ ما ينتمي ويتشابه في صيغته وبناؤه علينا أن ذلك يطلق عليه اسم التمجيد .

وكذلك لما وجدنا من المعانى ما ينتمي ويتشابه علينا أن ذلك يطلق عليه اسم التمجيد أيضاً .

فالتجميد إذا ينقسم قسمين : أحدهما تجميد في اللفظ ، والآخر تجميد في المعنى .

فأما الذى يتعاقب بالنظر فإنه لم يُنقل عن بابه ولا غير اسمه ، وقد تقدم ذكره في باب الصناعة اللفظية .

وأما الذى يتعلق بالمعنى فإنه نقل عن بابه في التجميد ، وسمى الاشتغال ، أي أحد المعنين مشتق من الآخر . وهو على ضربين : صغير وكبير ، فالصغير أن تأخذ أصلاً من الأصول فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبناه ، كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه ، نحو سليم وسلام وسلامان وسلامى والسلامي المدینغ يطلق عليه ذلك تفاوتاً لا بالسلامة .

والأسأل في ذلك أن يضع واضع اللغة اسمها أول لمعنى أول ، ثم يجدد معنى آخر أو مسميات شبيهة بالمعنى الأول ، فيضم لها اسم الكلمة الأول ، كقوله صرير اسم الأعنى ، والضر ضد النعم ، والضراء الشدة من الأمر ، والضر بالضم المزدوج وسوء الحال ، والضرر الضيق والضرر إحدى الزوجتين ، فإن هذه المسميات كلها تدل على الأذى والشر ، وأسماؤها متشابهة لم تخرج عن الفضاد والرأي ، إلا أنها الآن لأنعلم ما هو الأول منها حتى نحكم على الثاني أنه مشتق منه ، لكن نعلم في السليم المدینغ أنه مشتق من السلام ، لأنها

حمدَهَا ، قُبِلَ مِنْ أَجْلِ التَّفَوُلِ بِالسَّلَامَةِ ، وَعَلَى هَذَا جَاءَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَصْوَلِ ، كَذَوْنَا هَشَمَكَ هَاشِمَ ، وَحَارِبَكَ حَارِبَ ، وَسَالِكَ سَالِمَ ، وَأَصَابَ الْأَرْضَ صَيْبَ ، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كُلُّهَا لَفْظُهَا وَاحِدٌ وَمِنْهَا وَاحِدٌ ، أَمَا هَاشِمَ فَإِنَّهُ لَمْ يُسَمِْ هَذَا الْاسْمُ إِلَّا لِأَنَّهُ هَشَمَ النَّرِيدَ فِي عَامِ مَهْجُولٍ فَسَمِيَ بِنَلَكَ ، وَأَمَا حَارِبَ فَإِنَّهُ اسْمٌ خَالِلٌ مِنْ حَارِبٍ فَهُوَ حَارِبٌ ، وَأَمَا سَالِمٌ فَمِنَ السَّلَامِ وَهُوَ اسْمٌ قَاعِلٌ مِنْ سَلَمٍ ، وَأَمَا الصَّيْبَ فَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يَشَقِّدُ حَوْبَهُ أَيُّ وَفْدُهُ عَلَى الْأَرْضِ .

وَلَا يَقْاسِنَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَسْلَمُ سَالِمًا اللَّهَ ، وَغَفَارَ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَعَصَيَّةً عَصَتَ اللَّهَ» فَإِنَّ أَسْلَمَ وَغَفَارَ وَعَصَيَّةً أَمْهَاهُ قَبَائِلَ ، وَلَمْ تُسْمِ أَسْلَمَ مِنَ الْمَسَالَةِ ، وَلَا غَفَارَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ ، وَلَا عَصَيَّةً مِنْ تَصْغِيرِ عَصَمِهِ . وَهَذَا هُوَ التَّبَعِينِ ، وَلَيْسَ بِالْأَشْتَهِقَاقِ ، وَالنَّظَارُ فِي مَثَلِ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى فَكْرَةٍ يَوْمَ الدِّرْ ، كَيْ لَا يَخْتَلِطَ التَّبَعِينِ بِالْأَشْتَهِقَاقِ .

وَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ شَعْرًا قَوْلُ الْبَحْرَى :

أَتَحِلَّتِي سَلَمَى بِكَاظْمَةَ اسْلَمَ^(١)

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالَهُ مِنَ النَّدَى^(٢) وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسًا^(٣)
وَرَبِّمَا ظُرِّزَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتُ وَمَا يَحْرِي مُجْرِي تَبَعِينِ ، حَيْثُ قِيلَ فِيهِ مَعْقُولٌ
وَعِقَالٌ وَمَحْبُوسٌ وَحَابِسٌ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ .

وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَقْعُدُ فِي الْأَشْتَهِقَاتِ كَثِيرًا عَلَى مَنْ لَمْ يَقْنُ مَعْرِفَةً . وَقَدْ تَقْدَمَ الْقَوْلُ

(١) مَطَلَّمُ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحُ أَحَدٍ وَابْرَاهِيمَ ابْنِ الْمَدْبُرِ . وَعِجزُهُ : (وَتَعْلَمَا أَنَّ الْمَوْى
مَاهِجَتِهَا) الْدِيْوَانُ ٢/٢٣٩ .

(٢) جَرِيرٌ فِي هَجَاءِ الْفَرِزَدْقِ . وَالْبَيْتُ فِي الْدِيْوَانِ (٣٢٦) هَكَذَا .
وَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالَهُ مِنَ النَّدَى^(١) وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسًا^(٢)

أن حقيقة الاتجاهين هي انفاق الألفاظ والاختلاف للمعنى ، وعقال ومعقول وحابس ومحبوس الألفاظ فيها واحد والمعني أيضاً واحد ، فهذا مشتق من هذا ، أى قد شق منه .

وكذلك ورد قول عنتره :

لقد عَلِمَ الْقَبَائِلُ إِنْ قَوْمَهُمْ لَمْ يَكُنْ إِذَا لَبِسَ الْحَدِيدَ^(١)
فَإِنْ حَدَّا وَهَدِيدًا لَفَظُهَا وَاحِدٌ وَمِنْهَا وَاحِدٌ .

وأما الاشتقاء فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعمد عليه وعلى
ترأكيبه معنى واحداً يجمع تلك التركيب وما تصرف منها ، وإن تباعد شيئاً عن
ذلك عنها رد بلطاف الصنعة والتأنويل إليها ، ولأنه خرب بذلك مثلاً فنقول إن
لفظة (ق مر) من الثلاثي لها متراكيب وهي قرم ، ق مر ، رق مر ،
رمق ، مقر ، مرق فهذه التراكيب السقعة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة ،
فاكثر من شدة شهوة الطعام ، وفقر الرجل إذا غلب من يقامره والرقم الدهنية
وهي الشدة التي تلحق الإنسان من دهره ، وعيش مرافق أى ضيق ، وذلك نوع
من الشدة أيضاً ، والمرفق شبه الصبر يقال أقر الشيء أمر ، وفي ذلك شدة على
الذائق وكراهة ، ومرفق الدهم إذا نفذ من الرمية ، وذلك لشدة مضائه وقوته .
واعلم أنه إذا سقط من تركيب الكلمة شيء فجاز ذلك في الاشتقاء ، لأن
الاشقاء ليس من بصر طه كمال تركيب الكلمة ، بل من بصر طه أن الكلمة
كيف تأببت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت إلى معنى واحد يجمعها .

فمثال ما سقط من تركيب اللانـى لفظة (ورق) فإن لها خمس تراكيب
وهي وسق ، وق من ، س وق ، ق من وق وس ، وسقط من جملة التراكيب

(١) في درج المداة لامر زوفي ٢٨٨ / ١ نسبة الديت إلى حياف بن ربيعة ، وروايه هكذا :

قسم واحد وهو سقوف ، وجميع المثلثة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا ، فاللوسق من قولهم استوسق الأمرأى اجتمع قوى ، واللوسق ابتداء الحرب ، وفي ذلك شدّة على من يُصيّبه ويلأه ، والسوق مقابعة السير ، وفي هذا عداء وشدة على السائق والمسوق ، والتسوقة شدّة القلب وغلظة ، والقوس معروفة ، وفيها نوع من الشدة والقوة لمزاعها السهم وإخراجه إلى ذلك المرمى المقصود .

واعلم أنا لا أدعى أن هذا يطارد في جميع اللغة ، بل قد جاءتني منها كذلك ، وهذا مما يدل على شرفاها وحكمتها ، لأن الكلمة الواحدة تقلب على ضروب من التقابل ، وهي مع ذلك دالة على معنى واحد ، وهذا من أعجب الأمصار التي توجد في لغة العرب وأغربها ، فاعرفه .

إلا أن الاستعمال في النظم والنثر إنما يقع في الاشتقاء الصغير دون الكبير ، وسبب ذلك أن الاشتقاء الصغير تكتن الألفاظ الواردة عليه ، والاشتقاء الكبير لا يكاد يوجد في اللغة إلا قليلا ، وأيضا فإن الحسن الفظي الذي هو الفصاحة إنما يقع في الاشتقاء الصغير ولا يقع في الاشتقاء الكبير ، الآخرى إلى هذين الأصلين الواردين هنا وهو (قرم) و (سوق) فإذا نظرنا إلى تراكبيهما ، وأردنا أن نسبكهما في الاستعمال لم يأتِ منها مثل ما يأتي في الاشتقاء الصغير حسنا وروقا ، لأن ذلك لفظه لفظ تحنيس ، ومعناه معنى اشتقاء ، والاشتقاء الكبير ليس كذلك .

النوع السابع والعشرون

في التضمين

هذا النوع فيه نظر بين حسن يكتب به الكلام طلاوة، وبين معهيب عند قوم، وهو عندهم محدود من عيوب الشعر، ولكل من هذين القسمين مقام.

التضمين المسمى

فأما الحسن الذي يكتسب به الكلام طلاوة فهو أن يُضمَّن الآيات والأخبار النبوية، وذلك يَرَدُّ على وجهين: أحدهما تضمين كلي، والآخر تضمين جزئي.

فأما التضمين الكلي فهو أن تُذَكَّر الآية والخبر بجملتها، وأما التضمين الجزئي فهو أن تُدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام، فيكون جزءاً منه، كذلك أوردته في حل الآيات والأخبار في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب.

وقد قيل إنه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم في فضون الكلام من غير تبيين، كي لا يشتبه، وهذا القول لا أقول به، فإن القرآن الكريم أبين من أن يحتاج إلى بيان، وكيف يَخْفَى وهو المعجز الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأنوا بهملا لا يأتون بهملا، فإن كانت المفارضة في التفرقة بيده وبين غيره من الكلام فإذا أُدرج فيه من جاهل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه، وإن كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يَخْفَى عنه القرآن الكريم من غيره، ومذهبى في هذا هو ما تقدم ذكره في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب، وهو أحسن الوجهين عندي، وذلك أنه لا تؤخذ الآية بكلماتها، بل يؤخذ جزء منها ويجعل أولاً لـكلام أو آخراً، هذا إذا لم يقصد به التضمين، فاما إذا

المعنى في المذهب

وأما المعيب عند قوم فهو تضليل الإسفاد، وذلك يقع في بيتهين من الشعر أو فصلتين من الكلام المنثور، على أن يكون الأول منهم مسندًا إلى الثاني، فلا يقوم الأول بنفسه، ولا يتم معناه إلا بالثاني، وهذا هو المعدود من عيوب الشعر. وهو عندي غير معيب، لأن إن كان سبب عيوبه أن يُعلق البيت الأول على الثاني فليس ذلك سبب يوجب عيوبًا، إذ لا فرق بين البيوتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنثور في تعلق إحداهما بالأخرى، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دلٌّ على معنى، والكلام المجموع هو كل لفظ مقفى دلٌّ على معنى، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير.

والْفَقَرُ الْمَسْجُوعَةُ الَّتِي يُرْتَهِطُ بعْضُهَا بِعِصْمٍ قَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ تَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَ فِي سُورَةِ الْعِصَافَاتِ «فَأَقْبَلَ» بعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَيْ كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَنِّي فَكَ لِمَنِ الْمَصَدُّقُينَ، أَئْذَانِتَهَا وَكَذَّ اتَّرَابًا وَعَظَامًا أَثْنَا كَلَدَ يَنُونَ (١) .

فهذه الفقر الثلاث الأخيرة مرتبطة بعضها ببعض ، فلا تفهم كل واحدة منهن إلا بالتي تليها ، وهذا كالآيات الشعرية في ارتباط بعضها ببعض ، ولو كان غير لما ورد في كتاب الله عز وجل .

و كذلك ورد قوله تعالى في سورة الصافات أيضاً «فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَارِبٍ إِنَّمَا هُوَ حَالٌ لِّجَاهِي»^(۲) فالآياتان الأولىان لانهم لا نفهم احداها إلا بالآخرى .

(١) سورة الصافات - ٥٣

(٢) سورة العصافير - ١٦١

وَهَكُذَا وَرَدَ قَوْلُهُ هَرَّ وَجْلَ فِي سُورَةِ الشَّعْرَاءِ: « أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سَهْنِينْ نَمْ
جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَهِنُونَ^(١) » فِيهِنْهُ ثَلَاثَ آيَاتٍ
لَا تَفْهَمُ الْأُولَى وَلَا الْثَّانِيَةِ إِلَّا بِالثَّالِثَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فِي مَعْرِضِ
اسْتِقْبَامِ يَفْتَقِرُ إِلَى جَوابٍ ، وَالجَوابُ هُوَ فِي الْثَالِثَةِ؟ .

وَمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ شِعْرًا قَوْلَ بِعَصْبُونِ :

وَمِنْ الْبَلْوَى الَّتِي لِي سَهْنِيْنْ لَهَا فِي النَّاسِ كُفَّهُ
أَنْ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدْعُى أَكْثَرَ مِنْهُ
أَلَا تَرَى أَنَّ الْبَيْتَ الْأُولَى لَمْ يَقْمِ بِنَفْسِهِ وَلَا يَتَمَمِ مَعْفَاهُ إِلَّا بِالْبَيْتِ الثَّانِي؟
وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الْعَرَبُ حَكْنِيْرًا ، وَوَرَدَ فِي شِعْرٍ خَوْلُ شَعْرَأْنِيمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
أَمْرَى الْقَيْسِ :

فَقَاتُ لَهُ لَمَّا تَمَسَّطَى بِصَلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازَ وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
إِلَّا أَيْهَا الْيَلِ الطَّوِيلِ إِلَّا أَنْجَلَ بِصُبْحِ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ^(٢)
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْفَرَزَدقِ :

وَمَا أَحَدٌ مِنَ الْأَقْوَامِ عَدُوا عُرُوقَ الْأَكْرَمَيْنِ إِلَى الْأَرْضِ
بِحَمْجَةِ نَظَارِيْنَ إِنْ فَضَّلَتْمُونَا عَلَيْهِمْ فِي الْقَدِيمِ وَلَا غِصَابِ^(٣)

(١) سورة الشعراة ١٠٥ — ١٠٧

(٢) من معاقبته ، في وصف الليل (الديوان ١٨) وقيل البيتين :

وَلَيْلَ كَمْوَجَ الْبَحْرِ أَرْخَى سَدَوْلَهُ عَلَى بِأَنْواعِ الْمَهْوُمِ لَيَدْتَلِي

(٣) من فخر الفرزدق لما اجتمع هو وجرير وكثير وابن الرقان عند سليمان بن عبد الملك

وَقَالَ لَهُمْ : أَنْشَدُوكُمْ مِنْ فِخْرِكُمْ شَيْئًا حَسْنًا ، فَبَدَرُوكُمْ الْفَرَزَدقُ فَقَالُوا :

وَلَوْ يَرْفَعُ السَّحَابَ إِلَيْهِ قَوْمًا عَلَوْنَا فِي السَّهَاءِ إِلَى السَّحَابِ

(الأغاني ١٩/٢٣ والديوان ١/٣٦)

و كذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة :

أعْزَى لَرْهُطَ الْمَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةٍ عليه وإن عالوا به كُلَّ مَرْكَبٍ
 من الجائب الأقصى وإن كان ذاغنٌ جزيل ولم يخبرك مثل مجرب^(١)
 الضرب الثاني من التضمين ، وهو أن ي ضمن الشاعر شعره والناثر نثره
 كلما آخر نثراه ،قصد الاستعارة على تأكيد المعنى المقصود ، ولو لم يذكر ذلك
 التضمين لكن المعنى تاما .

وربما ضمن الشاعر للبيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جحظة :

قُمْ فَاسْقِينَاهَا يَاغْلَامْ وَغَنْمَيْ ذَهَبَ الدِّينْ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ^(٢)
 أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْلَمْ يَقُلْ فِي هَذَا الْبَيْتِ ذَهَبَ الدِّينْ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ لَكَانَ
 الْمَعْنَى تَامًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ ، فَإِنْ قَوْلَهُ قُمْ فَاسْقِينَاهَا يَاغْلَامْ وَغَنْمَيْ فَهُوَ كَفَافَةٌ ،
 إِذْ لَا حَاجَةٌ لَهُ إِلَى تَوْسِينِ الْفَنَاءِ ، لَأَنَّ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى الْمَعْنَى الْمُفْهُومَ لَا عَلَى
 الْفَرْضِ الْمَعْصُودِ .

وقد ورد هذا في عدة مواضع من شعر أبي نواس في الخمريات ، كقوله
 في مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب :

فَقَلْتُ هَلْ لَكَ فِي الصَّمْبَاءِ تَأْخُذُهَا مِنْ كَفْ دَازْتَ هَنِ فَالْعِيشُ مَقْتَبِلُ
 حِيرَةٌ كِشْعَاعُ الشَّمْسِ صَافِيَةٌ بُحِيطُ الْكَامِسِ مِنْ لَأَلَّاهُمَا شُعْلُ

والرواية في الديوان :

فَإِنَّهُمْ مِنَ الْأَقْوَامِ عَدُوا عَرُوفُ الْأَكْرَمِينَ عَلَى اِنْتَسَابِ
 بَعْتَهْفَظِينَ إِنَّ وَضَائِهِمْ وَنَا عَلَيْهِمْ فِي الْقَدِيمِ وَلَا غَضَابِ
 بَعْتَهْفَظِينَ : غَضَابٌ مِنَ الْفَيْضَةِ بِعْنَى الغَضَبِ

(١) شرح المرزوقي للحماسة ١/٣٥٨ والسائل هو خالد بن نضلة كاف الحبوان ٤٠٣/٣
 والبيان والتبيين ٣/٢٥٠

(٢) الشطر الثاني صدر بيت للبيهقي بن ربيعة :

ذَهَبَ الدِّينْ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَّتِ فِي خَلْفِ كِبْلَةِ الْأَجْرَبِ

فقال هات وأسمها على طَرَبِ «وَدْعُ هَرَّيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ»^(١)
وكذلك قوله أيضاً :

وَظَانَ خَلْوَبِ الْفَفَظِ حُلْوَيْ كَلَامُه
نَحْلَمْتُ لَهُ مِنْهَا نَفْرَةٌ لَوْجَمِهِ
فَقَهَمْتُ إِلَيْهِ وَالسَّكَرَى كَحْلُ عَيْنِهِ
إِلَى أَنْ تَجْلِي نَوْمُهُ عَنْ جَفْونِهِ
فَأَعْرَضَ مُزْوَرًا كَآنَ بِوْجَهِهِ
فَهَا زَاتُ أَرْقِيهِ وَأَلْئِمَ خَدَاهُ
إِلَى أَنْ تَفَنِّي رَاضِيَّاً وَبِهِ سُكْرُ
أَلَا قَاسِلِمِيْ يَادَارِمِيْ عَلَى الْبَلَى
وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِحَرْمَانِكَ الْقَطْرِ»^(٢)

وقد استعمل هذا الغرب كثيرا الخطيب عبد الرحمن بن ذيابة رحمه الله ،
فنـ ذلك قوله في بعض خطبه وهو : «فيما أـ لها الغفلة المطرقوـن ، أـ ما أـ تمـ بهذا
الحاديـ مـ صـ دـ قـون ، فـ أـ لـمـ تـ شـ فـ قـون ، فـ وـ رـ بـ السـ هـاءـ وـ الـ أـ رـ ضـ إـنهـ لـ حـقـ مـ شـلـ
ـ ماـ أـ نـ سـكـمـ تـ نـ طـقـون»^(٣) .

(١) الديوان ١١٦ كانت بالأصل (ذات حر) و (وتطير بالكاس) و (غبنا على طرب) ذات هن : ذات فرج . مقبل : نضير . حيرية : منسوبة إلى الحيرة بالعراق . للألهـا : بريـقاـ والـشـطـرـ الأـخـيـرـ مـنـ مـطـلـعـ قـصـيدـةـ الأـعـشـيـ :
ـ وـ دـعـ هـرـيرـةـ إـنـ الرـكـبـ مـرـتـحـلـ وـ هـلـ تـطـيـقـ وـ دـاعـ أـلـهـاـ الرـجـلـ
(الـديـوانـ ٥٥)

(٢) الـديـوانـ ١٠١
وفي الـديـوانـ (سـكـتـ لـهـ مـنـهـ) و (رـاضـيـاـوـلـهـ الشـكـرـ) . نـحـلتـ : أـعـطـيـتـ . تـفـقـوـ رـمـانـ : رـمـانـ
ـ مـتـكـسـرـ ، بـرـيدـ حـرـةـ الـوـجـهـ مـنـ الـخـبـلـ أـوـ الـآـنـارـ الـقـيـهـ مـنـ تـلـكـ الـلـيـلـهـ . الـبـيـتـ الـأـخـيـرـ لـذـيـ
ـ الـرـمـةـ . الـجـرـعـاءـ : الـرـمـلـةـ الـطـيـبـةـ الـلـبـنـتـ لـأـوـعـوـثـةـ فـيـهـ أـوـ الـكـشـبـ جـانـبـ مـنـهـ رـمـلـ وـ جـانـبـ حـجـارـةـ
(فـوـرـ بـ السـهـاءـ وـ الـأـرـضـ إـنـهـ لـ حـقـ مـشـلـ مـاـ أـنـسـكـمـ تـنـطـقـونـ) سـوـرـةـ الـدـارـيـاتـ ٢٣

وكذلك قوله في ذكر يوم القيمة وهو: «فَيَوْمَئِذٍ تُنَذَّرُ الْخَلَائِقُ عَلَى اللَّهِ بُهْمًا، فَيَحْاسِبُهُمْ عَلَى مَا أَحاطَ بِهِ عِلْمًا، وَيَنَذِّرُ فِي كُلِّ عَالَمٍ بِعَمَلِهِ حُكْمًا، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْفَيْوَمِ وَقَدْ خَابَ مِنْ حَلَّ ظَلَمًا^(١)».

ألا ترى إلى براءة هذا التضمين الذي كأنه قد رُصِّم في هذا الموضع رَصْمًا؟

وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيمة وهو: «هَذَا يَقْعُدُ الْحِسَابُ عَلَى مَا أَحْصَاهُ اللَّهُ كِتَابًا، وَتَكُونُ الْأَعْمَالُ الْمَشْوَبَةُ بِالنَّفَاقِ سَرَابًا، يَوْمٌ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَا، لَا يَنْكَامُونَ إِلَّا مِنْ أَذْنِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ وَقَالَ صَوَابًا^(٢)».

ومما ينطوي على هذا السلك قوله في خطبة أخرى وهو: «أَسْكُنْهُمُ اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقُهُمْ، وَأَبَادُهُمُ الَّذِي خَلَقُهُمْ، وَسُيُّجِدُهُمْ كَمَا أَخْلَقُهُمْ، وَيُجْمِعُهُمْ كَمَا فَرَّقْتُهُمْ، يُعِيدُ اللَّهُ الْعَالَمَيْنَ خَلْقَهُمْ جَدِيدًا، وَيَجْعَلُ الظَّالِمِينَ لَنَارَ جَهَنَّمَ وَقَوْدًا، وَيَوْمٌ تَكُونُونَ شُهْدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، يَوْمٌ تُجَدَّدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلتُ مِنْ خَيْرٍ مُخْضَرًا، وَمَا عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ تُوَدُّ لَوْ أَنْ يَنْهَا وَيَنْهَا أَمْدَأً بِعِيدًا^(٣)».

ومن هذا الباب قوله أيضًا: «هَذَا يُرْفَعُ الْحِجَابُ، وَيُوَضَّعُ الْكَتَابُ، وَيُجْمَعُ مَنْ وَجَبَ لَهُ الْمَوَابُ وَمَنْ حُقَّ عَلَيْهِ الْعَقَابُ، فَيُخْرَبُ بِإِيمَانِهِمْ بِسُورِ الْبَابِ، بِإِيمَانِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ^(٤)».

وأمثال هذه التضمينات في خطبة كثيرة، وهي من محسن ما يجيء في هذا النوع.

(١) (وعنت الوجه .. ظلما) سورة طه ١١١ بـهم : ليس بهم شئ مما كان في الدنيا نحو البرص والعرج ، أو هرارة (القاموس المحيط مادة بـهم)

(٢) (لامن أذن ... صوابا) سورة النبأ ٣٨

(٣) (يكون الرسول عليكم شهيدا) سورة البقرة ١٤٣ (يَوْمٌ تُجَدَّدُ كُلُّ نَفْسٍ ... أَمْدَأً بِعِيدًا) سورة آل عمران ٣٠

(٤) « بـسور .. العذاب » سورة الحميد ١٣

الدُّوْعَةُ الْمُأْمَنُ وَالْمُشْرُونُ

الإِرْصَادُ

وَحْقِيقَتُهُ أَنْ يَهْنِي الشَّاعِرُ الْبَيْتَ مِنْ شِعْرِهِ عَلَى قَافِيَّةٍ قَدْ أَرْصَدَهَا لَهُ ، أَئِيْ أَعْدَّهَا فِي نَفْسِهِ ، فَإِذَا أَنْشَدَ صَدَرَ الْبَيْتَ عَرَفَ مَا يَأْتِي فِي قَافِيَّةِ ، وَذَلِكَ مِنْ حَمْدِ الصُّنْعَةِ ، فَإِنْ خَبَرَ الْكَلَامَ مَادِلٌ بِعِصْمِهِ عَلَى بَعْضِهِ .

وَفِي الْأَفْتَخَارِ بِذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ نُبَاتَةِ السَّمْدَى :

خُذْهَا إِذَا أَنْشَدَتْ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ صُدُورُهَا عَرَفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا يَذْهَى لَهَا الرَّاكِبُ الْعَجْلَانُ حَاجَةَ وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الْغَضْبَانُ يُطْرِيهَا^(١)

فَمِنْ هَذَا الْهَابِ قَوْلُ النَّابِثَةِ :

فِدَاءُ لَامْرَىءٍ سَارَتْ إِلَيْهِ بِعِذْرَةٍ رَّبَّهَا تَعْمَى وَخَالِي دَوْلَوْ كَفِي الْبَيْنُ بِغَنْتَكَ خَوْنَا لَا فَرَّذَتْ الْبَيْنَ عَنِ الشَّهَالِ^(٢) إِلَّا تَرَى أَنَّهُ يُعْلَمُ إِذَا عَرَفَتِ الْقَافِيَّةَ فِي الْبَيْتِ الْأُولَى أَنَّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ذَكْرًا لِلشَّهَالِ؟ .

وَكَذَلِكَ جَاءَ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

أَحَلَّتْ دَمِيْ مِنْ فِيْرِ جُرمٍ وَحَرَّمَتْ بَلَّا سَبَبَ يَوْمَ الْلَّقَاءِ كَلامِي فَلَيْسَ الدَّى حَلَّتِهِ بِمَحْلِلٍ وَلَيْسَ الدَّى حَرَّمَهُ بِحَرَامٍ^(٣)

(١) يَقِيمَةُ الْدَّهْرِ ٢/٣٧٩ وَكَانَ بِالْأَصْلِ يَطْوِيهَا .

(٢) مِنْ مَدْحَهُ لِلنَّعْمَانَ بْنَ المَنْذِرِ وَالْأَعْتَذَارُ لَهُ

وَبِالْأَصْلِ « وَلَوْ كَفِيَ الْبَيْنُ نَفْتَكَ خَوْفَا »

(٣) مِنْ فَصِيدَتِهِ فِي مَدْحَهِ الْمَتَوَكِّلِ ، الَّتِي مَطَّلَعَهَا .

الْأَهْلُ أَتَاهَا بِالْمَغْيَبِ سَلَامِيْ وَهُلْ خَبَرَتْ وَجْدِيَّهَا وَغَرَامِي

(الْدِبْوَانِ ٢/٢٢٢)

فليس يذهب على الصامم — وقد عرف البيت الأول وصدر البيت الثاني —
أن عجزه هو ما قاله البحترى .

وقد جاء الإرصاد في الكلام المنشور كما جاء في الشعر .

فمن ذلك قوله تعالى: « وما كان الناس إلآ أمةً واحدة فاختلفوا ، ولو لا كلام
سمّقَتْ من ربِّك لتفصَّلَ بينهم فيما فيه يختلفون ^(١) ». .

فإذا وقف السامع على قوله تعالى (تفصَّلَ بينهم فيما فيه) عرف أن بعده
يختلفون ، لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضاً قوله عز وجل : « فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبَةً ، وَمِنْهُمْ
مَنْ أَخْذَهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَّفَنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقَنَا ، وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » ^(٢) وهل نحو منه جاء قوله تعالى :
« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ كَمَثَلَ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذُتْ إِبِيَّتَهَا ، وَإِنْ
أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ^(٣) » فإذا وقع السامع على قوله عز وجل
(وإن أوهن البيوت) يعلم أن بعده بيت العنكبوت .

ورأيت أبا هلال العسكري قد سمي هذا النوع التوشيح ^(٤) ، وليس

(١) سورة يونس ١٩

(٢) سورة العنكبوت ٤٠

(٣) سورة العنكبوت ٤١

(٤) في كتاب الصناعتين ٣٨٢ « سمي هذا النوع التوشيح، وهذه القسمية غير لازمة
بهذا المعنى ، ولو سمى تدريداً لـسكن أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبع عن مقطعة ،
وأوله يخبر بأخره ، وصدره يشهد بعجزه ، حتى لو سمعت شعراً ، أو هررت رواية ، ثم سمعت
صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه ... » ومن هذا يبدو أن ابن الأثير
قد وهم في نسبة تسمية هذا الفن (التشوبيح) إلى أبي هلال العسكري ، والحقيقة أن الذي سماه
 بذلك قدامه بن جعفر ، لأنـه حلـلـ التـوشـيـحـ منـ أـنـوـاعـ اـتـلـافـ القـافـيـةـ معـ ماـ يـدلـ عـلـيـهـ اـغـرـيـ

معنىـ الـبـيـتـ ، وـقـالـ فيـ تـعرـيـفـهـ : هـوـ أـنـ يـكـوـنـ أـوـلـ الـبـيـتـ شـاهـدـاـ بـقـافـيـةـ وـمـعـنـاـهاـ مـتـعـلـقاـ بـهـ حتىـ

أـنـ الـذـىـ يـعـرـفـ قـافـيـةـ الـقـصـيـدـةـ إـذـاـ سـمـ أـوـلـ الـبـيـتـ مـنـهـ عـرـفـ آـخـرـهـ ، وـبـاـنـتـهـ قـافـيـتـهـ (نـقـالـ الشـعـرـ)

كذلك ، بل تسميتها بالإيرصاد أولى ، وذلك حيث ناسب الاسم سماه ولافق به ، وأما التوشيع فإنه نوع آخر من علم البيان ، وسيأتي ذكره بعد هذا النوع إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان ، حتى وإن أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقاداً منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان ، وليس الأمر كذلك ، بل هما نوع واحد .

فمن غلط في ذلك الغافى^(١) ، فإنه ذكر باباً من أبواب علم البيان وسماه القبيلغ ، وقال : هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماماً من غير أن يكون للفافية فيها ذكره صنع ، ثم يأتي بها المساجة الشعر إليها ، حتى يتم وزنه ، فيبلغ بذلك الغاية الفصوى في الجودة ، كقول أمرىء القديس :

كُانْ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِهِ . وَأَرْخَلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُقْبِلْ^(٢)

فإنه يأتي بالتشبيه تماماً قبل الفافية ، ولما جاء بها بلغ الأمد الأقصى في المبالغة .

ثُمَّ إن الغافى ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وسماه الإشباع ، فقال : هو أن يأتي الشاعر بالبيت مُلْكَ القافية على آخر أجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك إلا حذّاق الشعراً ، وذلك أن الشاعر إذا كان بارعاً جلباً بقدرته وذكائه وفطنته إلى البيت – وقد ثبت معانيه واستفني عن الزيادة فيه – فافية متعمقة لأعariesه وزنه ، خلّها فعلاً المذكور ، كقول ذي الرّمة :

(١) أبو العلاء بن غانم المعروف بالغافى كان من فضلاء عصره وشعرائه
الباب ٣/٦٦

(٢) الدریوان ٣٠ الجزء الذي لم يثقب : شبه عيون الوحش لما فيها من سواد وبياض
بجزع غير منقب لأن ذلك أصله له وأتم لحسنه .

قف العيس في أطلال مية فسائل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل ^(١)

هذا كلام الغانى بعنه ، والبيان المذكور ان سواء ، لا فرق بينهما الحال .

والدليل على ذلك أن بيت امرىء القيس يتم معناه قبل أن يُؤتى بقافيةه ، وكذلك بيت ذى الرمة ، الاترى أن امراً القيس لما قال : « كان عيون الوحش حول خيائنا ، وأرجلنا الجزع » أتى بالتشبيه قبل القافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة حسنة ، وهى قوله لم « ينقب » .

وكلذا ذو الرمة فإنه لما قال :

قف العيس في أطلال مية فسائل رسوماً كأخلاق الرداء . . .

أنى بالتشبيه أيضاً قبل أن يأتى بالقافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة حسنة وهي قوله : المسلسل .

واعلم أن أبي هلال العسكري قد سمى هذين القسمين بعيونهما الإيغال ^(٢) ، وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطمه ، ثم يأتى بالقطع

(١) ديوان ذى الرمة ٧٢ العيس : النوق العيس . أخلاق الرداء : الرداء الذى صار خلقاً وقطعاً

(٢) الصناعتين ٣٨٠ » هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطمه ، ثم يأتى بالقطع فيزيد معنى آخر زيد به وضوها وشرحاً وتوكيداً وحسناً ، وأصل الكلمة من قولهم وغل في الأمر إذا أبعد الذهاب فيه .

وقد وهم ابن الأثير هنا أيضاً في نسبة تسمية هذا الفن (الإيغال) إلى أبي هلال العسكري . والحقيقة أن هذا الفن من مستخرجات قدامة ، وهو واضح لقبه ، وجمله من أنواع اثنلاف القافية مع سائر معنى البيت ، وروى قدامة أن محمد بن يزيد التحوى قال : حدثني التوزى قال : قلت للأصمى : من أشرف الناس ؟ فقال : من يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بالفظه كبيراً ، أو إلى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقضى كلامه قبل القافية ؟ فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى . قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذو الرمة ، وأورد البيت المذكور هنا . ثم قال : فتم كلامه قبل « المسلسل » ثم قال « المسلسل » فزاد شيئاً . ثم قال ذو الرمة

أظن الذي يجدى عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان المفصل

تم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً

غير يد ذهب مني آخر ، وأصل الإيقاع من أوغل في الأمر إذا أبعد الذهاب فيه ، ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة (قف العيس في أطلال مدينه فاسأل) وهذا أقرب أمداً من الغانم ، لأن ذكره في باب واحد ، وسماه باسم واحد ، ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغانم .

وليس الأخذ على الغانم في ذلك مناقشه على الأسماء ، وإنما المناقشه على أن ينذهب لإبراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخلاً في الآخر فيذهب عنه ويختفي عليه^(١) ، وهو أشهر من فاتح الصباح .

وهاهذا ما هو أغرب من ذاك ، وذلك أنه قد سلك قوم في منشور الكلام ومنظمه طرقاً خارجة عن موضوع علم البيان ، وهي بجهوة عنه ، لأنها في وادٍ وعلم البيان في وادٍ .

فمن فعل ذلك الحريري صاحب المقامات ، فإنه ذكر ذلك في رسالة^(٢) التي هي

(١) في الأصل (فيذهب عليه ويختفي عنه) فرجحنا هذا التصويب .

(٢) في المقامات الخلبية (ال السادسة والأربعون) عشر مقطمات من الأبيات في كل مقطعة ثلاثة لغظى . فمن ذلك الأخباب أي الكلمة مهملة وأخرى معجمة مثل قوله :

اسمح فب السماح زين ولا تنب آملأ تصيف

ولاتظن الدبور تبق مال ضئين ولو تلشف

ومن ذلك العواطل أي الخالية من المروف المعجمة ، مثل :

أعدد لحسادك حد الملاح وأورد الآمل ورد السماح

ومن ذلك العرائس أي المعجمة كلها مثل :

شففتني بجهن طي غضيض غنج يقتنى ثقيض جفني

الخ الخ

وفي المقاومة السمر قندية (الثامنة والعشرون) خطبة مهملة المروف مثل قوله :

أحمده حد موحد مسلم ، وأدعوه دماء مؤمل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ،

العادل الصمد ، لا والده ولا ولد ، ولا در معه ولا مساعد ، أرسل حمداً للإسلام بهدا ،

والمهملة موطداً

وفي المقاومة الرقطاء (ال السادسة والعشرون) رسالة مكونة من كلمات حرف مهملاً

وتاليه معجم ، مثل :

أخلاق سيدنا تحب ، وبعقوته ياب ، وقربه تحف ، ونأبه تلف ، وخلاته نسب ، وقطيعته

غضب ، وغربه ذات ، وشمبه تأتلق الخ

كلمة معجمة وكلمة مهملة ، والرسالة التي حرف من حروف ألفاظها معجم والأخر غير معجم ، ونظم غيره شعراً آخر كل بيت منه أول البيت الذي يليه ، وكل هذا وإن تضمن مشقة من الصناعة فإنه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة ، لأن الفصاحة هي ظهور الألفاظ مع حسنها على ما أشرت إليه في مقدمة كتابي هذا ، وكذلك البلاغة فإنها الاتهاء في محاسن الألفاظ والمعانى ، من قولنا بلافت المكان إذا انتهيت إليه .

وهذا الكلام المصور مما أني به الحريرى في رسالته وأوردته ذلك الشاعر في شعره لا ية ضمن فصاحة ولا بلاغة ، وإنما يأنى و معانيه غثة باردة ، وسبب ذلك أنها قسّت كفرة استكر لها ، و تُوضع في غير مواضعها ، وكذلك ألفاظه فإنها نجوى مُكفرة أيضاً غير ملائمة لأخواتها ، وعلم البيان إنما هو الفصاحة والبلاغة في الألفاظ والمعانى ، فإذا أخرج عنه شيء من هذه الأوضاع المشار إليها لا يكون معدوداً منه ولا داخلاً في بابه .

ولو كان ذلك مما يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه لورد في كتاب الله عزوجل وهو معدن الفصاحة والبلاغة ، أو ورد في كلام العرب الفصحاء ، ولم نره في شيء من أشعارهم ولا خطبهم .

ولقد رأيت رجلاً أدبياً من أهل المغرب وقد تغلغل في شيء عجيب ، وذاك أنه شجرة شجرة ونظمها شمراً ، وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضرب من الأصاليب انبالاً لشعب تلك الشجرة وأغصانها ، فتارة تقرأ كذلك وتارة يكون جزء منها هاهنا ، وتارة هاهنا ، وتارة يقرأ مقلوباً ، وكل ذلك الشعر وإن كان له معنى إلا أنه ضرب من الهذيان ، والأولى به وأમثلاً أن يتحقق بالشعيذة والمعاجلة والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلاغة .

ورأيت أبا محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر بما من الأبواب في كتابه^(١) فقال : ينافي إلا نسْتَعْمِلَ في الكلام المظوم والمنور ألفاظ المتكلمين والذويين والمهندسين ومعانيهم ، ولا الألفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة^(٢) ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام :

مَوْدَةُ ذَهَبٍ أَنْمَارُهَا شَبَهٌ وَهَمَةُ جَوْهَرٍ مَعْرُوفُهَا عَرَضٌ^(٣)

وبقوله أيضاً :

خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بِالْمَقْولِ حَبَّاً مُهَا كَتَمَبُ الْأَفْعَالِ مَالْأَسْمَاءِ^(٤)

وهذا الذي أذكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة .

إن الذي تكررون منه هو الذي يشتمنيه قابي

وسأبين فساد ما ذهب إليه فأقول : أما قوله إنه يجب على الإنسان إذا خاض في علم أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل العلم وأصحاب تلك الصناعة ،

(١) سر الفصاحة ١٥٩

(٢) تكملة كلام الخفاجي : وبهذا شرف كلام أبي عثمان الجاحظ ، وذلك أنه إذا كاتب لم يعدل عن ألفاظ الكتاب ، وإذا صفت في الكلام لم يخرج عن عبارات المتكلمين ، فكأنه في كل علم يخوض فيه لا يعرف سواه ، ولا يحسن غيره (١٥٩)

(٣) من قصيدة في عتاب هياش بن هيبة التي مطلعها :

ذل المؤاول شجا في الحلق مفترض من دونه شرق من تحنه جرض
الديوان ٤٠٠ طبعة محمد جمال .

الجوهر والمرض من اصطلاحات علماء الكلام . الجرس : الفضة .

(٤) الديوان ١/٣٣ من قصيدة في مدح محمد بن حسان الضبي ، وهذا البيت من خرباته فيها ، خرقاء : وصف الخمر بالخرق وهو في الأصل المجز عن إحسان العمل ، يقال للمرأة خرقاء ، أى أن الخمر لا تحسن أن تعمل شيئاً لكنها تلعب بالعقوق ، ويفيرها من حال إلى حال ، كأنه عمل الأفعال بالأسماء ، فترفعها تارة وتنصبها آنارة . الحباب : طرائق الماء فيها إذا مزجت

فهذا مسلم إليه ، ولكن شذ عنده أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدّة من كل علم وكل صناعة ، لأنها موضوعة على الخوض في كل معنى ، وهذا لا يحبط له يضيقه ولا حاصر يمحّره ، فإذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من المعانى وأدّاه ذلك إلى استعمال معنى فتوى أو نحوى أو حسابى أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحيى عنه ، لأنه من مقتضيات ذلك المعنى الذي قصده .

الآثرى إلى قول أبي تمام في الاعتذار :

فَإِنْ يَكُونُ جُرْمُكُ عَنْ أَوْتَكُ دَفْوَةً هُلْ خَطَا مِنِّي فَعُذْرِي عَلَى عَمْدِ^(١)

فإن هذا من أحسن ما يجيء في باب الاعتذار عن الذنب ، وكان يأوبني له هل ماذ كره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستغله حيث فيه لفظانا الخطأ والعمل المتنافى من أخص ألفاظ الفقهاء .

و كذلك قول أبي الطيب المتنبي .

**وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهٌ نُفُوسَهُمْ وَالْأَغْصَرَا
نُسِقُوا إِلَيْهَا نَسْقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذَا أُتِيتَ مُؤْخِراً^(٢)**

(١) الديوان ٢/١١٧ من مدحه لأبي المغيث الرافقي واعتذر له

(٢) من قصيدة في مدح أبي الفضل محمد بن العميد ، التي مطلعها :

باد هودك صبرت ألم لم تصبرا وبكلك إن لم يجر دمعك أوجرى
وقوله لقيت كل الفاضلين ، معطوف على كلام سابق يتحدث فيه عن تعلّم فلاسفة وعلماء
وعظماء وكرماء في شخص ابن العميد . (الديوان ٢/٣١٦) نسقا : سردا . فذاته : حكاية
قول الحساب إذا أجل حسابه ، فهو ذا عمل أنت أى أن مؤلاء الفاضلين تتابعوا متقدمين عليك
في آزماذك ، فلما أتيت بهم جمعت ما كان فيهم من فصائل ، فكانت بعثة إجال الحساب الذي
تذكرة لفاصيله أولا ، ثم تحمل فيكتب في آخرها فذلك كذا وكذا
(الديوان ٢/٣١٦)

وهذا من المعانى البدئية ، وما كان ينفعنى لأبى الطيب أن يأتي فى مثل هذا اللووضع بالفظة فذلك الذى هي من ألفاظ الحساب ، بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذى لا يَتَّسِعُ إلا بتلك الفظة وواقة لابن سنان فيما رأه وذهب إليه ، وهذا محض الخطأ وعین الغلط .

وأما ما أنكره على أبي تمام في قوله :

مَوَدَّةُ ذَهَبٍ أَنْمَارٌ شَجَرٌ وَهُنَّ جَوَهْرٌ مَعْرُوفٌ فَمَا عَرَضُ
فإن هذا البيت ليس من مذكرات لما اصتمعت به من انتقاش الجوهر والمرتضى
الذين هما من خصائص ألفاظ المتكلمين ، بل لأنَّه في نفسه ركيك ، انتضمَّ
لـفظة الشبهة فأيُّها لـفظة عامية ركيكة وهي التي أسرخت بالبيت بجملته ، ورب
قليل أفسد كثيراً ، وأما لـفظتها الجوهر والمرتضى فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهمَا.

وأما البيت الآخر وهو :

خَرْقَاهُ يَلْعَبُ بِالْقَوْلِ حَبَابُهَا كَتَلَبُ الأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ .
فلديع من ذكره ، وهل يشك في أن التشبيه الذى تضمنه واقع في موقعه ؟ إلا
ترى أن الفعل ينقل الاسم من حال إلى حال ، وكذلك تفعل الخنزير بالقول في
نقل حالاتها ، فما الذى أنكره ابن سنان من ذلك ؟
وقد جاء بأبعض المتأخرین من هذه الأسلوب ملا يُدَافِعُ في حسنة ، وهو قوله :

عَوَامِلُ رِزْقِ أَغْرَبَتْ لَفَةَ الْوَدَى . فِيْشِمُ لَهُ خَفْضٌ وَرَأْسٌ لَهُ نَصْبٌ
فإنه لما حصل له الشابهة في الأسماء بين عوامل لريح والعوامل الفحوية
حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب ، وعلى ما ذكرنا ابن سنان فإن ذلك
غير جائز ، وهو من مستحبفات المعانى هذا من أعجب الأشياء

وعلى هذا الأسلوب ورد قول بعضهم :

وْقَىٰ مِنْ مَازِينٍ فَاقَ أَهْلَ الْبَحْرِ

أُمَّهُ مَعْرِفَةٌ وَأُمُّهُ نَكِرَهٌ

وهل يشك في حسن هذا المعنى والطلاقة ؟

وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين يهجو طبيباً، فقال :

قال رحـار الطـبيب تـومـا لوـا نـصـفـونـي لـكـنـتـ أـرـكـبـ

لـأـنـي جـاهـلـ بـسيـطـ درـاكـبـ جـهـنـهـ مـركـبـ

وهذا من المعنى الذي أغرب في الملاحة ، وجمع بين خفة السخرية ووقار

الفصاحة .

وقد تقدم القول في صدر كتابي هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكل علم وبكل صناعة ، وبخوض في كل فن من الفنون ، لأنَّه مُسْكَلُ^١ لأنَّه مُسْكَلُ^١ بخوض في كل معنى ، فاضلُّم يدك على ما ذكرته ونصحت عليه ، واترك ماسواه ، فليس القائل بعلمه واجتماده كالقاتل بظنه وتقليله .

وهذا النوع إذا استعمل على الوجه الْمُرْضِيُّ^٢ كان حسناً ، وإذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحاً ، كما جاء في كلام أبي العلاء بن سليمان المعربي وهو قوله في رسالة كتبها إلى بعض إخوانه « حَرَسَ اللَّهُ سَعَادَتَهُمَا أَدَنَّتَهُمَا الْفَلَةُ فِي الظَّاءِ ، وَتَلَكَ سَعَادَةً بِغَيْرِ افْتَهَاهُ » وهذا من الغث البارد ، لكن قد جاء في الشعر ما هو حسن فائق كقوله :

قد ونكِـ خـفـضـ الحـيـاةـ فـإـنـاـ نـصـبـنـاـ المـطـابـيـاـ فـيـ الـفـلـةـ عـلـىـ الـقـاطـمـ^(١)

(١) شرح التزوير على سقط الزند ١٠٩/٢ نصينا المطابيا : أهداناها للسرير . خفض الحياة : لينها ونعيها .

والخنس والنصب من الإعراب النحوي ، والخفض رقاقة العيش ، والقطع
من منصوبات النحو ، والقطع قطع الشيء يقال قطعه إذا بتره .

النوع التاسع والعشرون

في التوشيح

وهو أن يبني الشاعر أبيات تصيدته على بحرين مختلفين ، فإذا وقف من
المبحث على القافية الأولى كان شعرًا مستقيماً من بحر عرض ، وإذا أضاف
إلى ذلك ما بني عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضًا شعرًا مستقيماً من بحر
آخر على عرض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، كذلك يتجزئ
الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور ، فإن كل فقرة منها تصاغ من سجدةين ،
وهذا لا يكاد يستعمل إلا قليلاً وليس من الحسن في شيء ، واستعماله في الشعر
أحسن منه في الكلام المنثور .

فن ذلك قول بعضهم :

أشلم ودُمت على الحوادث مارستا ركنا ثيير أو هضاب حراء^(١)
ونزل المراد مُمكنا منه على رغنم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا الجيد الذي يأتي في هذا النوع ، إلا أن أثر التكافف عليه ماد ظاهر ،
وإذا نظر إلى هذين البدلين وجدواها يذكران على قافية أخرى وبحر آخر ،
وذلك لأن يقال :

(١) ثيير : جبل بظاهر مكة . حراء : جبل يسكنه به غار تحنت فيه رسول الله .

أسلمَ وَدُمْتَ عَلَى الْحَوَا دَثْ مَارَسَا رَكَنَا ثَبِير
وَنَلَ الْمَرَادِ مَمْكُنَا مَنْهُ عَلَى دَغْمِ الدَّهُورِ

وقد استعمل ذلك الحبرى فى مقامته نحو قوله :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا شَرَكَ الرُّودِيِّ وَقَرَارُ الْأَكْدَارِ
دارَ مَقِيْ ما أَضْحِكْتُ فِي يَوْمَهَا ابْكَتَ غَدَّاً بُعْدَمِهَا مِنْ دَارِ
وَإِذْ أَظَلَّ سَهَابَهَا لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ صَدَئِيِّ لِجَهَامِيِّ الْغَرَارِ^(١)

واعلم أن هذا النوع لا يستعمل إلا متى كلفاً عند تعاطى التمكّن من صناعة
الظلم ، وحسنـه مغوطـ بما فيه من البراءة .

الآثرى أنه لو نظـيم عليه قصـيدـ من أـولـهـ إـلى آخرـهـ يتضـمنـ غـزـلاـ وـمدـحـاـ علىـ
ـما جـرتـ إـعادـةـ القـصـائـدـ أـلـيـسـ آـنـهـ كـانـ يـجـىـءـ بـارـدـاـ غـثـاـ لـاـ يـسـلـمـ مـنـهـ عـلـىـ مـحـكـ الـنظـرـ
ـعـشـرـهـ ؟ـ وـالـعـشـرـ كـثـيرـ ،ـ وـمـاـ كـانـ هـلـىـ هـذـهـ الصـورـةـ مـنـ السـكـلامـ فـإـنـاـ يـسـتـعـملـ
ـأـحـيـاـنـاـ عـلـىـ الطـبـعـ لـاـ عـلـىـ النـكـفـ ،ـ وـهـوـ وـأـمـنـاهـ لـاـ يـجـسـنـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ يـسـيرـاـ كـلـرـ قـمـ
ـفـ التـوبـ أوـ الشـيـةـ فـالـجـلـدـ .

(١) من الممكن أن تقرأ الأبيات هكذا ، وقد وردت على الوجين فى المقامة الشعرية
(الثالثة والمعروفة) ١٦٦

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا شَرَكَ الرُّودِيِّ
دارَ مَقِيْ ما أَضْحِكْتُ
فِي يَوْمَهَا ابْكَتَ غَدَّاً
وَإِذْ أَظَلَّ سَهَابَهَا
لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ صَدَئِيِّ
لَمْ يَنْفَعْ مِنْهُ صَدَئِيِّ : لَمْ يَرْتُوْ مِنْهُ عَطَاشِ

النوع الثالثون

في السرقات الشعرية

ولربما أنت تعرض معتبر في هذا الموضوع فقال قد تقدم نثر الشعر في أول الكتاب ، وهوأخذ الفائز من الناظم ، ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم ، فلم يكن إلى ذكر السرقات الشعرية إذا حاجة ، ولو أذْهَمَ هذا المعتبر نظره لظاهر له الفرق ، وعلم أن نثر الشعر لم يُتَّهَمْ فيه إلى وجوه المأخذ وكيفية التوصل إلى مداخل السرقات ، وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلاً .

واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستغني الآخر عن الامتناع من الأول^(١) ، لكن لا ينبغي لك أن تتعجل في سبك الألفاظ على المعنى المسروق فتغادي على نفسك بالسرقة ، فكثيراً ما رأينا من هَبَّيل في ذلك فعذر ونعاذه فيه البديمة فمقر .

والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء^(٢) بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب ، وأطرف من عنة سمكة مغرب في الإغراب .

(١) قال أبو هلال العسكري : ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عنتناول المعاني من تقدّهم ، والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ، ويزروها في معارض من تأليفهم . (الصناعتين ١٩٦)

(٢) قال القاضي الجرجاني : فإن الشاعر الحاذق إذا عاق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصفنه ، وعن وزنه ونظمه ، وعن رويه وقافية . فإذا مر بالغبي الففل وجد لها أجنبيين متباعدين ، وإذا تأملت ما الفطن الذي عرف قرابة ما بينهما ، والوصلة التي تجمعها (لوساطة ١٩٩) وقال أبو هلال : والحاذق يخفى دينيه إلى المعنى يأخذه في مسيرة فيحكم له بالسبق إليه أكثر من يدركه (الصناعتين ١٩٨)

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه ليس لقائل أن يقول إن لأحد من المتأخرین معنی مبتدعا، فإن قول الشعر قد يم منذ نطق باللغة العربية وإن لم یُبْقَ معنیًّا من المعانی إلا وقد طرق مراراً.

وهذا القول وإن دخل في حيز الإمكان إلا أنه لا يُلْتَفَتُ إليه ، لأن الشعر من الأمور المتناقلة ، والذى نقلته الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطع من الأبيات فيما يعن لها من الحاجات ، ولم يزل الحال على هذه الصورة إلى عهد أرميجه القيس ، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائدًا فنافصا ، فقصد القصائد ، وهو أول من قصد ، ولو لم يكن له معنی اختصاص به سوى أنه أول من قصد القصائد لـ كان في ذلك كفاية . وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ؟ ثم تتابع المقصدون واحتبر من القصائد تلك السبع التي علقت على البيت ، وافتتح للشراة هذا الباب في التفصيد . وكثُرت المعانی المقوله بسببه ، ولم يزل الأمر يزداد ، ويؤتى بالمعانی الغريبة وامتنع ذلك إلى عهد الدولة العباسية وما بعدها إلى الدولة المحمدانية ، فنظم للشعر وكثُرت أساليبه ، وتشعبت طرقه ، وكان خاتمه على ثلاثة المتأخرین وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بين عبيد البحري وأبو الطيب المتنبي .

فإذا قيل إن المعانی المبتدعة سُبِقَ إليها ولم یُبْقَ معنی مبتدع عورض ذلك بما ذكرته .

والصحيح أن باب الابتداع المعانی مفتوح إلى يوم القيمة . ومن الذي يجدر على الخواطر ، وهي قاذفة بالانهيار له ؟ إلا أن من المعانی ما يتساوى للشراة فيه ، ولا يطاق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لأن الخواطر تأتى به من غير حاجة إلى تباع الآخر الأول ، كفولهم في الغزل :

أَعْفَتِ الدِّيَارُ وَمَا أَعْفَتْ . آثارُهُنَّ مِنَ الْقُلُوبِ
وَكَفُولُهُمْ إِنَّ الطَّيْفَ يَجِدُ بِمَا يَبْخَلُ بِهِ صَاحِبَهُ ، وَإِنَّ الْوَاثِي لَوْ عَلِمَ بِمَزَادِ

الطيف لسأله ، وكيف لهم في المدح إن عطاءه كالبحر والسعاد ، وإنه لا ينبع
عطاءه ^{اليوم} عطاء غد ، وإنه بجود ابتداء من غير مسألة وأشباه ذلك ، وكيف لهم
في المرأى إن هذا لرزء أول حادث ، وإنه استوى فيه الأبعد والأقرب ،
وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، وإنه بعد هذا الذاهب لا يعد
للمعنة ذنب ، وأشباه ذلك .

وكذلك يجري الأمر في غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر
عليها من غير كافية ، وتسقى في إبرادها ، ومثل ذلك لا يطلق على الآخر
فيه اسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق اسم السرقة في معنى المخصوص كقول
أبي تمام :

لَا تَكْرُوا ضَرْبِي لَه مَنْ دُونَه مَثَلًا فَرِودًا فِي النَّدَى وَإِيَّاسٍ
فَلَمْ قَدْ ضَرَبَ الْأَفْلَى نَسُورَه مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَافِ وَالنَّدَّرَاسِ

فإن هذا معنى مخصوص ابتدأه أبو تمام ، وكان لا يقتدأ به سبب والحكمة
فيه مشهورة ، وهي أنه لما أشاد أحد بن المنصم قصيده السينية التي مطلعها
« ما في وقوفك صاعَةً من باس » ^(١) انتهى إلى قوله :

إقدام عمو في سماحة حاتم في حلْمِ أخفَفَ في ذكاء إياس

وقال الحكيم الكندي : وأي فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلال
العرب ؟ فأطرق أبو تمام ، ثم أشد هذين البيتين معقدرا عن تشبيه إياس
بصمو وحاتم وإياس ، وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدأه ، فمن أتي من بعده
بهذا للعنى أو بجزء منه فإنه يكون سارقا له .

(١) من قصيده في مدح أحد بن المنصم (الديوان ٢٤٢/٢)

وَكَذلِكَ وَرَدَ قُولُ أَبْنَى الطَّيِّبِ الْمَقْبَزِيِّ فِي عَضْدِ الدُّولَةِ وَوَلْدِيهِ :

وَأَنْتَ الشَّمْسُ تَبَهَّرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَأْتَ مَعْهَا اِذْقَانَ
فَعَاشَا عِيشَةَ الْفَمْرَبِينَ يُنْجِيَا بِضُوئِهِمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانَ
وَلَا مَلْكًا سِوَى مُلْكِ الْأَعْادِيِّ وَلَا وَرِثَمَا سِوَى مِنْ تَقْتَلَانَ
وَكَانَ أَبْنَامَا عَدُوٌّ كَازَاهُ لَهُ يَاءُهُ حُرُوفُ أَنْدِسِيَانَ^(۱)

وَهَذَا مَعْنَى لِأَبْنَى الطَّيِّبِ ، وَهُوَ الَّذِي ابْتَدَأَهُ أَيْ أَنْ زِيَادَةَ أُولَادِ عَدُوكَ
كَرِيَادَةَ التَّصْغِيرِ ، فَإِنَّهَا زِيَادَةَ تَهْصِصِ .

وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَالُ إِنَّ ابْنَ الرَّوْمَى ابْتَدَأَهُ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ :

تُشْكِي الْحُبُّ وَتُلْفِي الْدَّهَرَ شَاكِيَّ^(۲)

كَأَقْوَسِ تُصْبِيِ الرَّمَاءِيَا وَهُنَّ مِنْكَانُ

فَإِنْ عَامَهُ الْبَيَانُ يَزْعِمُونَ أَنْ هَذَا الْمَعْنَى مُبَقْدَعٌ لِابْنِ الرَّوْمَى ، وَلَيَسْ كَذَلِكَ
وَلَكِنَّهُ مُأْخُوذٌ مِنَ الْمَثَلِ الْمُضْرُوبِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ (يَلْدَنْغُ وَيَصِي)^(۳) .
وَيَضَرُّ بِذَلِكَ لِمَنْ يَلْقَدِيَهُ بِالْأَذْيَى ثُمَّ يَشْكُوُهُ ، وَإِنَّمَا ابْنَ الرَّوْمَى قَدْ ابْتَدَأَهُ هَذَا
مَعْنَى .

(۱) الْدِيْوَانُ ۴/۴۸۶ منْ قصيَدَتِهِ الَّتِي مَطَلَّبُهَا :

مَعْانِي الشَّهَبِ طَيِّبَا فِي الْمَفَانِي بِغَزَّةِ الرَّبِيعِ مِنْ الزَّمَانِ

(۲) أَشْكِي الْحُبُّ . تَزِيدُهُ أَذْيَى وَتَفْعُلُ بِهِ مَا يُوجَبُ شَكْوَاهُ : تُصْبِي الرَّمَاءِيَا : تَصْبِيبُ
الْمَصْبِدِ خَتْقَنَلِهِ مَكَانَهُ . وَفِي الْأَصْلِ (يَشْكِي وَيَلْغِي) ، لَكِنْ قَبْلَ الْبَيْتِ قَوْلُهُ :
يَارَبِّ حَسَانَةَ مِنْهُنَّ قَدْ فَعَلْتَ سَوْءًا رَقْدَ تَفْعُلُ الْأَسْوَاءَ حَسَانَ
وَهَذَا يَعِينُ تَأْنِيَثَ الْفَهْلَيْنِ .

(۳) يَصِي : يَصِي ، مِنْ صَاءَتِ الْعَقْرَبِ تَصِي إِذَا صَاحَتْ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
« أَنْتَ مِثْلُ الْعَقْرَبِ تَلْدَغُ وَتَصِي » ، أَيْ تَلْدَغُ وَهِيَ صَائِحةً . تَاجُ الْعَرْوَسِ مَادَةُ صَائِي

آخر غير ما ذكرته ، وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعانى المبتدعة ، بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره . والذى عندي في السرقات أنه متى أورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول فى معنى من المعانى ولو لفظة واحدة فإن ذلك من أدل الدليل على صرفته .

(١) واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثروا ،
وكفت ألفتها كتاباً، وقسمته ثلاثة أقسام : نسخاً وسلخاً ومسخاً .

أما النسخ فهوأخذ الألفاظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه ، مأخوذاً ذلك
من نسخ الكتاب .

وأما السلخ فهوأخذ بعض المعنى ، مأخوذاً ذلك من سلخ الجلد الذي هو
بعض الجسم الملوخ .

وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى مادونه ، مأخوذاً ذلك من مسخ
الآدميين فردة .

وها هنا قسمان آخران أخللتَ بذ كرها في الكتاب الذي ألفته ، فأخذها
أخذ المعنى من الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده ، وهذا القسمان
ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ :

(١) من العلماء والقادات الذين درسوا السرقات القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى مؤلف الوساطة ، فقد قسم المعانى ثلاثة أقسام : المعانى المشتركة التي لا يجوز ادعاها السرقة فيها ، والمعانى المبتدةة التي كانت فى أصلها مخترعة ثم استفاضت وتنوّعت فليس أحد أولى بها من أحد ، والمعانى المختصة التي حازها المبتدىء فلم يكتبه ، فصار المبتدىء مختلساً سارقاً (الوساطة ١٧٩)

وكذلك أبو هلال العسكري الذى أفنى فى الكلام فى السرقات وضرر بها وتكلم فى
الأخذ الحسن ووسائله والقيوع وضرر به (الصناعةتين ١٩٦)

وكل قسم من هذه الأقسام يتتنوع ويتفرع ويتخرج به الفضة إلى مصالك دقيقة ، وقد اصطفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب .

ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد ، فمن رام الأخذ بنوّاصيها والاشتغال على قواصيها فإن يتصفح الأشعار تتصحّفا ويقتئع بقائها ناظرا ، فإنه لا يظافر منها إلا بالحوائج والأطراف ،

وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وأثمانين وخمسين ، ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يتلهمون بيبيت من شعر ابن الخطاط في قصيدة لها أو لها :

خذ من حبّها نجد أمانا لقلبه^(١) .

ويزعمون أنه من المعانى الغريبة ، وهو .

أغار إذا آنست في الحبْ أنة حِذارا عليه أن تكون لَهْ

(١) تكملة البيت : « فقد كاد رياها يطير بلبه »
وهو مطلع قصيدة اطيفه منها :

ولما كلا ذاك النسيم فإنه خليل لو أحبيتها لعلمتها
ذكر والذكرى تشوق وذو الموى غرام على يأس الموى ورجائه
وفي الركب مطوى الضلوع على جوى إذا خطرت من جانب الرمل نفحة
وتحتسب بين الأسنة معرض أغار إذا آنست في الحبْ أنة حِذارا وخفوها أن تكون لَهْ
والأبيات لأحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلي المعرف باسم الخطاط الشاعر الدمشقي
الكتاب المأوفى سنة ٤٩٧ هـ (الكتاب الكامل لابن الأنبار ١٩٣/١٢)

فقلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله :

لَوْ قُلْتَ لِلَّدْنَفَ الْمَشْوَقَ فَدَيْتُهُ مَا بِهِ لَا هَرَّةَ بِفِدَائِهِ^(١)

وقول أبي الطيب أدق منه ، وإن كان قول ابن الخطاط أرق لفظاً .
نعم إن وفتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخطاط قد أخذها من
شعر المتنبي .

وسافرت إلى الديار للهجرة في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يُفجرون
بيوت من الشعر يعزونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عماره^(٢) ، وكان حديث
عمره بزماننا هذا في آخر الدولة العلوية بمصر ، وذلك البيت من جملة قصيدة له
يعدح بها بعض خلفاؤها عند قدمه عليه من اليمن وهو :

فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَةٍ مَا مِرْتُ مِنْ حَرَامٍ إِلَّا إِلَى حَرَامٍ^(٣)

فقلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله مادحاً لبعض

(١) من قصيدهاته التي مطلعها :

القلب أعلم يا عذول بداعيه وأحق منك بمحنته وبعائه
الديوان ١/١ أى أن القلب أدرى بذلك أيها اللام بداعيه وما أدركه من ألم الموى ، فهو يلتمس
شفاءه في البكاء ويأمر الجفن به .

الدندن : المريض من العشق . أغرهه : بعشه على الغيرة . بداعيه : بفادئتك إياه .

(٢) عماره اليمني : شاعر سياسي كبير ولد سنة ٥١٥هـ باليمن ، ثم رحل إلى مصر
سنة ٥٥٠هـ في عهد الخليفة الفائز ووزيره يومئذ طلائع بن رزبك ، ونال من السكرم
ما ألهج لسانه بالشكر .

ولما سقطت الدولة الفاطمية حزن عليهم حزناً شديداً ، لكنه اضطر إلى مدح صلاح الدين
الأيوبي . ثم انضم بالاشتراك في مؤامرة لخلع صلاح الدين ، فصلب فبني صليباً سنة ٥٦٩هـ

(٣) من قصيدهاته في مدح الخليفة الفائز بن الظافر ووزيره الصالح ، التي مطلعها :

الحمد لله رب العالمين بعد العزم والهمم جداً يقوم بما أولت من النعم

(ديوان عماره اليمني)

الخلفاء في حَبَّةِ حَجَّهَا ، وذلك بيت من جملة أبيات خمسة :

يا من رأى حَرَمًا يَنْرِي إِلَى حَرَمٍ طُوبَى لِمُسْتَكِيمٍ يَأْتِي وَمُلْتَزِمٍ^(١)
 ثم قلت في نفسي يا الله المحب ! ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء
 الذين درست أشعارهم ، ولا هما ممن لم يُعرف ولا اشتهر أمره ، بل هما كما يقال
 أشهر من الشمس والقمر ، وشعرهما داُر في أيدي الناس ، بخلاف غيرها ،
 فكيف خَفِيَ على أهل مصر ودمشق بيقا ابن الخطاط وعارة المأخوذان من
 شعرهما ؟ وعلمت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للأشعار والاقتفاء بالنظر
 في دواوينها .

ولما نصبت نفسي المغوض في علم البيان ورمت أن أكون معدوداً من
 علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لاتزال إلا بنقل ما في السكتب إلى الصدور ،
 والا كافية بالمخوظ عن المسظور .

لَيْسَ بِغَلِيمٍ مَا حَوَى الْفِطْرُ مَا الْفِلِيمُ إِلَّا مَا حَوَاهُ الصُّدُرُ

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفذت شطرا من العمر
 في المخوظ منه والمسموع ، فألفيه بحر لا يُوقَف على ساحله ، وكيف يُذَهَّبَ
 إلى إحصاء قول لم تُخْصَ أسماء قائله ؟ فعند ذلك افتصرت منه على ما تذكر
 فهو أذهله ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن من أخذ بالتقايد والنسليم في اتباع من
 قَصَرَ نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى
 الشريف في اللفظ الجزل واللطيف ، فتى وجَدَ ذلك فـ كل مكان خَيْرَتْ
 فهو بابل .

(١) ليس البيت بديوانه

وقد اكتفت في هذا بـ شعر أبي تمام حبيب بن أوس وأبي عبادة الوليد (المختفى) وأبي الطيب المتنبي ، وهو لاء الملاة هم لات الشعر وعذاء وَمَنَا ته^(١) ، الذين ظهرت على أيديهم خسانته ومتاهة محسناه ، وقد حوت أشعارهم فرابة المحدثين .

(١) يريد أنهم آلة الشعر .

اللات : صنم كان لأهل الطائف وكانت قريش وسائر العرب تعظمه ، وهو صخرة مربعة . وسموا به فقالوا : زيد اللات وتم اللات (الأصنام لابن السكاكى ١٦) وفيه إن بيت كان يتخذه ذميته قريش (تفسير الطبرى ٣٥/٢٧) ويرى بروكمان أن اللات هي الإلهة التي كانت تعرف في الطائف بالربة أى السيدة ، وهي تقابل الأم الكبرى للإلهة عشرة عند الشاميين الشماليين (العرب والإمبراطورية العربية ٢٧) وذكر الطبرى أن اللات مشتقة من الله ، ألمحت به التاء فأنت ، كما قيل عمر ولامذكرا واللائني عمرة (تفسير الطبرى ٣٤/٢٧) وطلت اللات إلى فجر الإسلام إذ بعث النبي أبا سفيان والمفيرة بن شعبة هدمها بالطائف (دخلان ٣٧٩/٢) بعد أن أسلمت ثقيف ، وعلاها المفيرة يضرب بالمول ، وخرجت نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويتهمن بالجبن رجالهن لأنهم لم يدافعوا عنها (ابن هشام ٤/١٩٨) العزى :

كانت العزى أعظم الأصنام عندهم . وكانت بواد من تخملة الشامية يقال له حراض ، فيبني عليها بيت ؛ وكانوا يسمون فيه الصوت . وسموا بها فقالوا عبد العزى . وكانوا يزورونها ويهدون إليها ويتقربون بالدبح عندها (الأصنام ١٨) ويختلف المؤرخون في عبادتها ، فإن هشام يذكر أنهم قريش وبنو كنانة (السيرة ٤/٨٢) وغيره يذكر أنهم خطافان . وهي شجرة سمرة بعث إليها النبي خالد بن الوليد فقطعها . وزعموا أنها خرجت منها شيطاناً مكسوة الرأس ظاهرة الشعر ، تضرب رأسها وتولول فضر بها خالد بالسيف فقتلها وهو يقول :

ياعز كفرانك لاسبعهانك ماني رأيت الله قد أهانك

ذلما رحم لى الشيء أخبره بما فعل ، فقال : تلك العزى ولن تعبد بدا (أخبار مكة الازرق ١/٧٤ والنمسابورى على هامش الطبرى ٤/٢٧ والزيبي ذحلان على هامش السيرة الحلبية ٢/٣٤٠) . وأسمية العزى مشتقة من اسم الله تعالى العزيز أو هو مؤنة الأعز كما ذهب النمسابورى (الطبرى ٢٧/٣٤ والنمسابورى على هامشه) مناة :

أقدم أصنامهم ؟ كانت تعظامه الأوس والخزرج ومن ينزل يثرب ومكة وما حولها ، ويدمحون له وبهلوان ، وسموا به فقالوا عبد مناة وزيد مناة (الأصنام ١٣) . وهي صخرة سميت بذلك لأن دماء القرابين كانت تغلي عندها أى مراق وطلت قائلة إلى أن بعث النبي سعد بن زيد أو أبا سفيان بن حرب أو علي بن أبي طالب هدمها (الزيبي ذحلان ٢/٣٤٢) ويرى بروكمان أنها إلهة القضاء والقدر ، وكانت معروفة في مكة ، ثم شاعت عبادتها على الخصوص بين قبائل هذيل البدوية المجاورة (العرب والإمبراطورية العربية ٧٧)

إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السارة وحكمة الحكاء .

أما أبو تمام فإنه رب معاي ، وصيقل أباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتداً كمن لم يعش فيه على آخر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراق الذي يرثز فيه على الأضراب .

ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تقييب وتنقير ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض في كرهه برائضه ، أطاعته أعنفة الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالـتـ زمام ، نفذـهـنيـ في ذلك قول حكيم ، وتعلم فوق كل ذي علم علـيمـ .

وأما أبو عبادة البختري فإنه أحـنـ في سـبكـ الفـظـ على المعـنىـ ، وأراد أن يـشـعـرـ فـغـنـىـ ، ولقد حاز طرف الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبيـنـماـ يكونـ فيـ شـفـافـ بـنجـيلـ إـذـ تـشـبـتـ بـريفـ العـراـقـ .

وسـئـلـ أبوـ الطـيـبـ المـتـابـيـ عـهـ وـعـنـ أـبـيـ تـامـ حـكـيـانـ ، وـالـشـاعـرـ الـبـخـتـرـيـ . وـلـعـمـرـيـ إـنـهـ أـنـصـفـ فـيـ حـكـمـهـ ، وـأـهـربـ بـقـوـلـهـ هـذـاـ عـنـ مـقـانـةـ عـلـمـهـ ، فـإـنـ أـبـاـ عـبـادـةـ أـتـىـ فـيـ شـعـرـهـ بـالـمعـنىـ الـقـدـرـوـدـ مـنـ الصـخـرـةـ الصـمـاءـ ، فـالـفـظـ الـمـصـوـغـ مـنـ سـلاـسـةـ الـمـاءـ ، فـأـدـرـكـ بـذـلـكـ بـعـدـ الـمـرـامـ مـعـ قـرـبـهـ إـلـىـ الـأـفـهـامـ . وـمـاـ أـقـولـ إـلـاـ أـنـهـ أـتـىـ فـيـ مـعـانـيـهـ بـأـخـلـاطـ الـفـاكـيـلـيـةـ (١)ـ ، وـرـاقـ فـيـ دـيـبـاجـةـ لـفـظـهـ إـلـىـ الـدـرـجـةـ الـعـالـيـةـ .

وـأـمـاـ أـبـوـ الطـيـبـ المـتـابـيـ فـإـنـهـ أـرـادـ أـنـ يـسـلـكـ مـسـلـكـ أـبـيـ تـامـ وـهـ صـرـتـ عـهـ خـطـاءـ ، وـلـمـ يـنـطـلـقـ الشـعـرـ مـنـ قـوـادـهـ مـاـ أـعـطـاهـ ، لـكـنـهـ حـظـىـ فـيـ شـعـرـهـ بـالـحـكـمـ

والأهـل ، واحتـصـن بالـإـبـدـاعـ فـوـصـفـ موـاـقـفـ القـتـالـ .

وأنا أقول قولـاـ لـاستـ فـيـهـ مـقـاتـلـاـ وـلاـ مـنـهـ مـقـاتـلـاـ ، وـذـاكـ أـنـ إـذـاـ خـاصـ فـيـ أـمـضـىـ مـنـ نـصـاـهـاـ ، وـأـشـبـعـ مـنـ أـبـطـالـهاـ ، وـقـاتـلـتـ أـقوـالـهـ لـاسـامـعـ رـقـامـ أـفـاـهـهاـ ، حـتـىـ وـصـفـ مـعـرـكـةـ كـانـ لـسـانـهـ تـظـانـ الـفـرـيقـيـنـ قـدـ تـقاـبـلـاـ ، وـالـسـلاـحـيـنـ قـدـ تـواـصـلـاـ ، فـطـرـيـةـ فـيـ ذـلـكـ تـضـلـلـ بـسـكـهـ ، وـتـقـومـ بـمـذـرـ تـارـكـهـ . وـلـاشـكـ أـنـ كـانـ يـشـهـدـ الـحـرـوبـ مـمـ صـيـفـ الدـوـلـةـ اـبـنـ حـمـدانـ فـيـصـفـ لـسـانـهـ مـاـ أـدـىـ إـلـيـهـ عـيـانـهـ . وـمـمـ هـذـاـ فـيـ رـأـيـتـ النـاصـ عـادـلـيـنـ فـيـهـ عـنـ سـهـنـ التـوـسـطـ ، فـإـمـاـ مـفـرـطـ فـيـ وـصـفـهـ وـإـمـاـ مـفـرـطـ .

وـهـوـ وـأـنـ اـنـفـرـدـ بـطـرـيـقـ صـارـ أـبـاـ عـذـرـهـ ، فـإـنـ سـعـادـةـ الرـجـلـ كـافـتـ أـكـبـرـ مـنـ شـعـرـ ، وـعـلـىـ الـحـقـيـقـةـ فـيـهـ خـاتـمـ الشـهـرـاءـ ، وـهـمـاـ وـصـفـ بـهـ فـهـوـ فـوـقـ الـوـصـفـ وـفـوـقـ الـإـطـرـاءـ .

وـلـقـدـ صـدـقـ فـيـ قـوـلـهـ مـنـ أـبـيـاتـ يـمـدـحـ بـهـ صـيـفـ الدـوـلـةـ :

لـاـ تـظـلـلـ كـرـيمـ بـعـدـ رـؤـيـهـ إـنـ السـكـراـمـ بـأـسـخـاـمـ يـدـاـ خـتـمـوـاـ
وـلـاـ تـبـالـ إـشـعـرـ بـعـدـ شـاعـرـهـ قـدـ أـفـسـدـ الـقـولـ حـقـ أـحـيـدـ الصـمـمـ^(١)

وـلـأـ تـأـمـلـتـ شـعـرـهـ بـعـينـ الـمـعـدـلـةـ الـبـعـيـدـةـ عـنـ الـهـوـيـ ، وـعـيـنـ الـمـعـرـفـةـ الـقـيـ مـاضـلـ
صـاحـبـهاـ وـمـاـ عـوـيـ ، وـجـدـتـهـ أـقـسـامـاـ خـسـنةـ : خـمـسـ فـيـ الـغـاـيـةـ الـتـيـ اـنـفـرـدـ بـهـاـ دـوـنـ غـيـرـهـ،
وـخـمـسـ مـنـ الـشـعـرـ الـذـيـ بـسـاوـيـهـ فـيـهـ غـيـرـهـ ، وـخـمـسـ مـنـ مـتـوـسـطـ الـشـعـرـ ، وـخـمـسـ
دوـنـ ذـلـكـ ، وـخـمـسـ فـيـ الـغـاـيـةـ الـمـتـقـهـرـةـ الـتـيـ لـاـ يـبـاـءـ بـهـ ، وـعـدـمـهـ خـيـرـ مـنـ وـجـودـهـ ،

(١) مـنـ قـصـيدـتـهـ فـيـ مـدـحـ صـيـفـ الدـوـلـةـ الـتـيـ مـطـلـعـهـ :

عـقـيـ الـيـمـينـ عـلـىـ عـقـيـ الـوـغـيـ نـدـمـ ماـذـاـ يـزـيدـكـ فـيـ إـقـدـامـكـ الـقـسـمـ
لـاـ بـلـغـهـ أـنـ الـبـطـرـيـقـ أـقـمـ عـنـدـ مـلـكـهـ أـنـ يـهـزـمـ صـيـفـ الدـوـلـةـ ، فـلـمـاـ حـارـبـهـ صـيـفـ الدـوـلـةـ هـزـهـ
الـدـيـوـانـ (٤/١٩٦) . شـاعـرـهـ : يـرـيدـ نـفـسـهـ .

ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فلما هى التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت عرضه شارة لسمام الأقوام . ولما مثل لها هنا أن يسأل ويقول : لم عدلت إلى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم ؟ .

فأقول : إنني لم أعدل إليهم اتفاقاً ، وإنما عدلت إليهم نظراً واجتماداً ، وذلك أنني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها ، حتى لم أزر ديواناً لشاعر مُفلِّق يَنْبُتُ شعره على الحكمة إلا وعرضته على نظري ، فلم أجده أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب المعانى الدقيقة ، ولا أكثير استخراجاً جاماً منها للطيف الأغراض والمقاصد ، ولم أجده أحسن تهديه للألفاظ من أبي عبادة ، ولا أنتقش دبهاجة ولا أبهج سبلاً ، فاخترت حينئذ دواوينهم ، لاشتمالها على محسن الطرفين من المعانى والألفاظ . وما حفظتها أَغْيَتْ ما سواها مع ما بقي على خاطرى من غيرها .

وقد أوردت في هذا الموضوع من المرققات الشعرية ما لم يورده غيرى ، ونبهت على غواصى منها ، وكنت قدمنت القول أنني قسمتها إلى خمسة أقسام ، منها الثلاثة الأول ، وهى النسخ والسلخ والمسخ ، ومنها القسمان الآخران ، وهو أنا أبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعيها وتفرعيها فأقول :

(النسخ)

أما النسخ فإنه لا يكون إلا فيأخذ المعنى واللفظ جمعاً ، أو فيأخذ المعنى وأكثر اللفظ ، لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب ، وعلى ذلك فإنه ضربان :

الزُّوْل :

يسمى وقوع الحافر على الحافر^(١) ، كقول امرى القيس :

وَقُوفًا بِهَا صَبْحِي عَلَى مَظَاهِرِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَنَّى وَتَجْهَلْ^(٢)
وكقول طرفة :

وَقُوفًا بِهَا صَبْحِي عَلَى مَطَاهِرِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَنَّى وَتَجْهَلْ^(٣)
وقد أكثر الفرزدق وجرير من هذا في شعرهما ، فنه ماوردا فيه مورد
امرى القيس وطرفة في تحالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق :

أَتَدْلِي أَحْسَابَا إِلَاماً حَانَتْهَا بِأَحْسَابِنَا إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِع^(٤)
وكقول جرير :

أَتَدْلِي أَحْسَابَا كِرَاماً حَانَتْهَا بِأَحْسَابِكَمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِع^(٥)

(١) ذكر أبو هلال البيتين الآتيين وغيرهما ، على أنه مما أخذ بلطفه ومعناه ، وادعى
أخذه أو ادعى له أنه لم يأخذ ، ولكن وقム له كما وقム للأول ، ثم علق على ذلك بأنه معيب
وإذا ادعى الآخر أنه لم يسم قول الأول ، بل وقム لهذا كما وقム لذاك ، فإن صحة ذلك لا يعلمها
إلا الله عز وجل ، والعيب لازم للآخر (الصناعتين ٢٢٩) .

(٢) من معلقته — الديوان ٩

(٣) من معلقته . جهرة أشعار العرب ١٣٠

(٤) البيت بديوان الفرزدق :

أَتَدْلِي أَحْسَابَا إِلَاماً أَدْقَةً بِأَحْسَابِنَا إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِع

(الديوان ٠١٩/٢)

(٥) البيت كذلك في ديوانه ٣٧١

ومنه ما تساوايا فيه لفظاً بلفظ كقول الفرزدق :

وغر قد نسقت مشمرات طوالع لا تطيق لها جوابا
بسكل قنديه وب بكل قفر غرائبهن تذسيب
يمافن الشمس حين تكون شرقا ومسقط رأيهما من حيث غالبا^(١)

و بذلك قال جرير من غير أن يزيد .

وقد حكى أن امرأة من عةيل يقال لها ليلى كان يتحدث إليها الشباب ، فدخل الفرزدق إليها وجعل يجادلها ، وأقبل فتى من قومها كافت تألفه ، فدخل إليها فأقبلت عليه ، وترك الفرزدق ، ففاظه ذلك فقال لفتى : أتصارعني ؟
فقال : ذلك إيمك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره ، فضرط فوثب الفتى عنه ، وقال يا أبا فراس ، هذا مقام العائد بك والله ما أردت ما جرى فقال : ويحيك والله ما بي أذك صرعتني ، ولكن كأنى بابن الأتان - يعني جريرا - وقد بلغه خبرى فقال يهجونى :

جلست إلى أبي المحتظى بقرها نفانك دبر لا يزال يخون
ذلو كفت ذا حزم شددت وكماده كماشد جربان الدلاص قيون

قال فوالله ما ماضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر ، فقال فيه هذين البدائين^(٢) .

وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الوضع وأعجبه

(١) الديوان ١٤٣/١ من هجائه لجرير . والبيت الأول في الديوان هكذا :

وغر قد نسقت مشمرات طوالع لا تطيق لها جوابا
وفيها (غواربهن) . وفي الأصل (وسقت)

(٢) ليس البيان في ديوان جرير

ويقال إن الفرزدق وجريوا كانوا ينطقان في بعض الأحوال عن ضمير واحد، وهذا عندى مستبعد ، فإن ظاهر الأمر يدل على خلافه ، والباطن لا يعلمه إلا الله تعالى ، والا فإذا رأينا شاعراً متقدم الزمان قد قال قوله ، ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه أخذه منه . وهب أن المخواطر تتفق في استغراق المعاني الظاهرة المتداولة ، فكيف تتفق الألسنة أيضاً في صوغها الألفاظ ؟

ومما كنت أستحسن من شعر أبي نواس قوله من قصيدة التي أولها :

(دعك لوعي فإن الدوم لا غراء^(١)) .

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا

وهذا من على الشعر ، ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات مغبة وهو :

أنهى على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا

وما أعلم كيف هذا^(٢) .

(١) ديوان أبي نواس ٦ والبيت بالديوان هكذا :

دارت على فتية دان الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا

(٢) رواية الأغاني (٤٠/٤٠) : قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت إلى مغبة ، فوجه البريد إلى المدينة ، فأتى بمحبه ، وأمر الوليد ببركة قد هيئت ، فلئت بالثمر والماء ، وأتى بمحبه فأجلسه والبركة بينهما ، وبينهما ستر قد أرخي ، فقال له : غنى يا محب ، ففنا هذه الأبيات

لهني على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا

ما زال يمدو عليهم رب دهرهم حتى تفانوا ورب الدهر هداء

أبكي فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء

وفي الأغاني رواية أخرى ٦/٤٢ تغير هذه ، ملخصها أن الحسين بن الصحاك قال في قصيدة له مطلعها :

بدلت من نفحات الورد باللاء ومن صبحوك دار الإبل والشاة =

النَّهْرُ الْثَّانِي مِنَ النَّسْخَ :

وَهُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ فِيهِ الْمَعْنَى وَأَكْثَرُ الْأَفْظُورِ ، كَقُولُ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ يَمْدُحُ
عَبْدَهُ صاحبَ الْغَنَاءِ :

أَجَادَ طَوْبِسَ وَالشَّرَبَجِيَّ^١ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبِيقِ الْأَمْبَاجِيدَ

نَمَّ قَالَ أَبُو نَعَامَ .

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمَغْنِينَ جَهَةً وَمَا قَبَّهَارَ السَّبِيقِ الْأَمْبَاجِيدَ لِمَعْوِدَ

وَهَذِهِ قُصْيَدَةُ أَوْلَاهَا :

خَدَّتْ تَسْتَعِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ

فَهَالَ :

وَقَاعِمُ أَصْلُ النَّهْرِ فِيهَا وَفَرْعَهُ إِذَا عُدَّ الْإِحْسَانُ أَوْ لَمْ يُعَدْ
فَهُمَا تَكُنْ مِنْ وَقَعَيْتَ بَعْدَ لَا تَكُنْ سَوَى حَسَنٍ مَا فَعَلْتَ مُرَدِّدَ^(١)

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمَغْنِينَ جَهَةُ الْبَيْتِ .

— أَبِيَاتَا ، أَعْجَبَ بِهَا ؟ نَقَالَ لَهُ سَامِعُهَا : أَنْتَ تَحْوِمُ حَوْلَ أَبِي نَوَاسَ فِي قَوْلِهِ :
دَعْ هَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ وَدَاوِيَ بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءِ
وَتَفَاضِلُهَا ، فَاصْتَدَلَ سَامِعُهَا بِأَبِيَاتِ أَبِي نَوَاسٍ (دَارَتْ عَلَى فَتْيَةِ) ، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى أَنَّ
أَبِي نَوَاسَ وَالْمُسْبِنَ بْنَ الصَّحَّافَ تَنَاشَدَا قُصْيَدَتِهِمَا ، وَحِكْمَةُ بَيْنَهُمَا أَبْنَى مَنَازِرَ .

(١) مِنْ قُصْيَدَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ الطَّائِفِيِّ ، وَمُطَالِعَهَا فِي الْدِيوَانِ

٤٤ / هَذِهِ :

سَرَتْ تَسْتَعِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ وَادَ قَادَا عِنْدَهَا كُلَّ مَرْقَدٍ

السلخ

وأما السلخ فإنه ينقسم إلى اثني عشر ضرباً، وهذا تقسم أوجّهه القِيمة،
وإذا تأملته علمت أنه لم يبق ذي خارج عنه.

فإنما قول : أن يؤخذ المعنى ويسْتَخْرُج منه ما يشتهي ولا يكون هو إيماء ، وهذا
من أدق السرقات مذهبها ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي إلا قليلا ،
فن ذلك قول بعض شعراء الحماسة :

أَقْدَ زَادَنِي حَبَّاً لِنَفْسِيَّ أَنْفَيْ بِغَيْضِ إِلَى كُلِّ اسْرَىٰ غَيْرِ طَائِلٍ^(١)

أخذ المتنبي هذا المعنى، ويسْتَخْرُج منه معنى آخر غيره، إلا أنه شبيه به ، فقال :
وإذا أَتَتْكَ مُذْمِنِي مِنْ نَاقِصٍ فَمَنِ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيْ فَاضِلٌ^(٢)

وللأثرة بأن هذا المعنى أصله من ذاك المعنى عمر غامض ، وهو غير متبين
الامن أعرق في ممارسة الأشعار ، وغاص في استخراج المعانى ، وبيانه أن الأول
يقول إن بعض الذي هو غير طائل إيماء مازاد نفسي حبّاً إلى ، أى جعلها في
عیني ، وحسنتها عندي كَوْنُ الذي هو غير طائل مبغضي ، والمتنبي يقول : إن ذم
الناقص إيماء شاهد بفضلني ، فذم الناقص إيماء كبغض الذي هو غير طائل ذلك

(١) الشاعر لاطر ماح بن حكيم الطائي (شرح الحماسة للمرزوقي ٢٢٢/١ والأغاني ١٥٠/١)
غير طائل : غير فاضل ، دون خسيس .

(٢) من قصيدةه في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأفطاكى ، وطالعها :
لك يامنازل في القلوب منازل أفترت أنت وهن منك أوائل
ورواية الديوان (بأنى كامل) وهي أولى من (فاضل) انضاد كلة ناقص الديوان ٤٦٨/٣

الرجل ، وشهادة ذم الفاقد إيه بفضله كتعصين بغضنى الذى هو غير طائل
نفس ذلك الرجل عنده .

ومن هذا الضرب ما هو أظهر مما ذكره وأبين ، كقول أبي تمام :

رَعْتَهُ الْفِيَافِيَّ بَعْدَ مَا كَانَ حَقْبَةً رَعَا هَا وَمَا الرُّوضَ يَنْهَلُ سِكِّيْبَهُ^(١)

أخذ البحترى هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه ، كقوله في قصيدة يغادر فيها ب قوله :

**شَيْخَانْ قَدْ تَقْلَى السَّلَاحُ عَلَيْهَا وَعَدَاهَا رَأْيُ السَّمِيعِ الْمُبُصِّرِ
رِكَبَهَا الْفَنَاءِ مِنْ بَعْدِ مَا تَحَلَّى الْفَنَاءِ فِي عَسْكَرِ^(٢)**

فأبو تمام ذكر أن الجمل راعى الأرض ثم سار فيها فرعون ، أى أهزاته ،
فكأنها فعلت به مثل ما فعل بها . والبحترى نقل هذا إلى وصف الرجل
بـ **السن والهرم** ، فقال : إنه كان يحمل الرمح في القتال ، ثم صار يركب عليه ،
أى يتوكل عليه على عصا ، كما يفعل الشيخ الكبير .

وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام :

لَا أَظْلَمُ النَّازِيَّ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقَهَا

مِنْ قَبْلِ وَشَكَ النَّوْرَى عَنْدِي نَوْرَى قَذْفَا^(٣)

(١) من قصيدة في مدح أبي العباس عبد الله بن طاهر ، التي مطلعها :

هن عوادي يوسف وصواجه فوز ما فقدمه أدرك السؤل طالبه
(الديوان ١ / ٢٣٠) الفيافي : الأماكن الحالية والقفار ، يريد أن مرковه هزل من سيره
في القفار بعد ما كان سميها ، فكأنها رعنه بعد ما رعنها .

(٢) من ربائه لقومه (الديوان ٢ / ٤٥) وفي الديوان البيت الثاني قبل الأول

(٣) من قصيدة في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلى التي مطلعها :

أما الرسوم فقد أذكرون ماسلفا فلا تكهن عن شأنيك أو يكنا
(الديوان ٣ / ٣٥٩) - قذف بضم القاف والذال وبفتحهما بعيدة ، أى لا أكذب على النازى
فأقول إنه فرق بيننا ، فقد كانت أخلاقها لم قبل الفراق فرقا يعني الوصول إليها .

أخذه البحترى فقال :

أعْنِكُ ما كَانَ الشَّهَابُ مُقَرَّبِي
إِلَيْكَ فَالْحَقِّ الشَّيْبَ إِذْ هُوَ مُبْعَدِي^(١)
وَهَذَا أَوْضَحُ مِنَ الْمُتَّسِعِ وَأَكْثُرُ بِيَانِهِ.

الضرب الثاني من المطلع :

أن يُؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وذلك مما يصعب جداً ، ولا يكاد يأتى إلا قليلاً .

فمنه قول عروة بن الورد من شعره الخامسة :

وَمِنْ يَكُونُ مِثْلِ ذَا هِيَالٍ وَمُقْتَرًا
مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلُّ مَطْرَحٍ
لَيَبْلُغَ عَذْرًا أَوْ يَنْالَ رَغْبَةً^(٢) **وَمُبْلَغٌ نَفِسُ عَذْرَهَا يُشَلُّ مُنْجِحٍ**
أَخْذًا أَوْ تَامًا هـذا المعنى فقال :

فَمُقْتَرٌ ماتَ بَيْنَ الضُّرُبِ وَالظُّعنِ مِيقَةً
تَقْوِيمٌ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ قَاتَهُ النَّصْر^(٣)

عروة بن الورد جعل اجهاده في طلب الرزق عذراً يقويم مقام النجاح ،

(١) الديوان ١٩٦/١ من قصيدة في مدح أحد بن المديبر

(٢) شرح الخامسة للمرزوقي ٤٦٥/١ وديوان عروة بن الورد ٨٨ وفيهما (أو يصعب رغبة)

(٣) من رثائه لحمد بن حميد الطوسي ، ومطلع الفصيدة :
 كذا فليجعل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم بغض ما وها هذر
 الديوان ٣١٩ وفى الأغانى ٩٩/١٠ أبيات منها .

وأبو تمام جمل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاده المجهود في لقاء العدو قاتلاً
مقام الاتصار ، وكل المعنيين واحد ، غير أن اللفظ مختلف .

وهذا الغرب في مرقات المعانى من أشكالها وأدفهها وأغراها وأهدافها
مذهبا ، ولا يقتضى له وباستخراجه من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض .
وقد يجيء منه ما هو ظاهر لا يباعق في الدقة مبالغ هذه الآيات المشار إليها ، كقول
ابن المقفع في باب الرفاه من كتاب الحمامة :

فَقَدْ جَرَرَنَا فَنْدَانَا لَكَ أَنْفَانَا

أَمْنًا عَلَى كُلِّ الرِّزَايَا مِنِ الْجَزَعِ^(١)

وَجَاءَ بَعْدِهِ مَنْ أَخْذَ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

وَقَدْ عَزَّى رَبِيعَةَ أَنْ يَوْمًا عَلَيْهَا مُثْلَ تَوْمَكَ لَا يَعُودُ

وهذا من البديع الفادر .

وهاهنا ما هو أشد ظهورا من هذين للبيتين في هذا الخضراب من المترفات
الشعرية ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة التي يقوم بعضها مقام بعض ، وذلك
لارتفاع بملكان وضوحا

(١) من رثاء عبد الله بن المقدم ليحيى بن زياد أو لابن أبي الوجه عبد الكريم شرح الحماسة للمرزوقي ٨٦٣ / ٢ والتبيريني .

وابن المقدم هو أبو محمد عبد الله بن المقدم أحد البلغاء الأولين والمتربجين السابقين ، وهو من سلالة فارسية . كان أبوه المقدم مجوسيا ، وسبب تلقيبه بالمقدم أنه كان يعمل في جبائية الخراج لولاة العراق زمن بني أمية فخان في بعض المال فضربه الوالي حتى تقدّم به يده أدى تشنجت . ولد ابن المقدم حوالي ١٠٦ هـ وسماه أبوه روزبة ، ونشأ بالبصرة ، وتعلم على علماء عصره وعلى أبيه ، وأجاد العربية والفارسية ، ثم كتب لولاة من بني أمية ومن بني العباس ، وترجم كثيراً من كتب الفرس إلى العربية وقتل سنة ١٤٢ هـ اضطره سلطنة ولاطهـه بالزندقة

لـكـن قد بـجـى مـذـهـ ما هـوـ صـفـةـ من صـفـاتـ التـرـادـفـ، لا الـأـسـمـ نـفـسـ، فـيـكـونـ
حـسـنـاـ كـفـولـ جـرـيرـ :

وـلـاـ تـمـنـعـكـ مـنـ أـرـبـ إـحـاـمـ سـوـاءـ ذـوـ الـعـمـامـةـ وـالـخـارـجـ (١)

أـخـذـ أـبـوـ الـطـيـبـ الـقـنـبـيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ فـقـالـ :

وـمـنـ فـيـ كـفـهـ مـنـهـمـ قـنـاهـ كـمـنـ فـيـ كـفـهـ مـنـهـمـ خـضـابـ (٢)

الـهـرـبـ الـنـاـتـ منـ الـمـلـخـ :

وـهـوـ أـخـذـ الـمـانـيـ وـيـسـيرـ مـنـ الـلـفـظـ ، وـذـلـكـ مـنـ أـقـبـ الـسـرـقـاتـ وـأـخـلـهـ رـهـاـ
شـفـاعةـ عـلـىـ السـارـقـ ، فـمـنـ ذـلـكـ قـوـلـ الـبـحـرـيـ فـيـ غـلـامـ :

أـتـوـقـ ضـفـ الصـفـيرـ إـنـ وـكـلـ الـأـمـرـ

إـلـيـهـ وـدـونـ كـيـدـ الـكـبـارـ (٣)

عـبـقـهـ أـبـوـ نـوـاصـ فـقـالـ :

لـمـ يـخـفـ مـنـ كـبـيرـ عـمـاـ يـرـادـ بـهـ مـنـ الـأـمـرـ وـلـاـ أـزـرـىـ مـنـ الصـغـرـ (٤)

وـكـذـلـكـ قـوـلـهـ (الـبـحـرـيـ) أـيـضاـ :

كـلـ عـيـدـ لـهـ اـقـضـاءـ وـكـفـيـ كـلـ يـوـمـ مـنـ جـوـدـهـ فـيـ عـيـدـ (٥)

(١) من قصيدة في شجاع الفرزدق والبيت (الديوان ١٩٢) وقيل البيت بيت فاحش .
الأرب : الحاجة القبيحة التي ذكرها في البيت السابق

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة بعد أن أوقع بيته كلاب الخارجين عليه ، التي مطلعها
بغيرك راعيًّا عبث الذئاب وغيرك صارما ثم الضراب
وهو يشير في البيت إلى ما فعله سيف الدولة بهم ؛ إذ سب نساءهم ، فصار الرجال كالنساء ذلا
وخربيا .

(٣) من قصيدة في مدح أبي جعفر بن حميد واسمهابه خلاما (الديوان ٢٥/٢) وفي
الديوان (الصفار) بدلا من (الصغير) .

(٤) ليس البيت في ديوانه .

(٥) ليس البيت في ديوانه .

أخذه من علي بن جبلة :

لأعيده يوم من الأيام منتظراً والناسُ في كل يوم منك في عيد^(١)
وكذاك قوله (البحترى) :

جادَ حتى أفنَّ السؤالَ فلما بادَ مِنَّا السُّؤالُ جادَ أبْقَدَاهُ^(٢)
أخذه من علي بن جبلة :

أعطيتْ حَقَّيْ لَمْ تَدْعُ لَكَ سائلاً وَبَدَأْتَ إِذْ قَطَعَ الشُّفَاهَ سُوَالَها
وقد افتضَح البحترى في هذه المآخذ خاتمة الافتضاح ، هذا على بسطة باعه
فِي الشِّعْرِ وَغَنَاهُ عَنْ مَثْلِهِ .

وقد سلك هذا الطريق خول الشعراء ، ولم يستكفوا من سلوكيها ،
فَنَفَلَ ذَلِكَ أَبُو تَمَامَ فَإِنَّهُ قَالَ :

قَدْ قَلَصْتُ شَفَاهَهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ فَخَيْلَهُ مِنْ شِدَّةِ الْقَعْبِيسِ مُبْتَهِهَا^(٣)

صوته عبد السلام بن رغبان المعروف بـ ديك الجن فقال :
وإذا شئت أن ترى الموت في صو

رة بيت في لِبْدَتِي رِبْبَارِ
فَالْفَسَهُ غَيْرُ أَنَّمَا لِبْدَتِهِ أَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَسْرَرُ غَالِ
كَنْقَ لَهُنَا قدْ قَلَصْتُ شَفَاهَهُ فِيرَتِي ضَاحِكًا لَعَبْسِ الصَّيَالِ

(١) شاعر مجید المدح وبخاصة مدح أبي داف المجل ومجید الطوسي والمأمون (طبقات الشعراء لابن المعتز ١٧٠ والشعر والشعراء ٥٥٠)

(٢) من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١)

(٣) من قصيدة في مدح إسحاق بن ابراهيم (الديوان ٣/٦٥) قلصت : أبرزت
أسنانه من شدة الغضب

وَكَذَلِكَ قَالُ أَبُو ثَمَانٍ .

فَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيمًا بِشِعْرٍ وَلَكِنِي مدحْتَ بِكَ الْمَدْحُومًا^(١)

أَخْذَهُ مِنْ حَسَانَ بْنِ ثَابَةَ فِي مَدْحُوهِ الْبَنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيثُ قَالَ :

مَا إِنْ مَدَحْتَ مُحَمَّدًا بِعَقَالِيٍّ لَكِنْ مَدَحْتُ مَقَاتِلَيْ بِمَجْدِ^(٢)

وَلَا شَكَ أَنْ أَبَا بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ قَوْلَ حَسَانٍ حِيثُ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : اسْتَخْلَفَ غَيْرِي ، فَقَالَ أَبَا بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا حَبَّوْنَاكَ بِهَا ، وَإِنَّمَا حَبَّوْنَاكَ بِكَ .

وَهَكَذَا فَعْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ ، فَمَا جَاءَ لَهُ قَوْلُهُ :

جَرَحَتْهُ الْعَيْوَنُ فَاقْتَصَرَ مِنْهَا بِجَوَىٰ فِي الْقُلُوبِ دَاعِيَ النَّدَوَبِ^(٣)

صَبَقَهُ أَبُو تَهَامَ فَقَالَ :

ذَمَيْتُ بِالْأَحَظَاتِ وَجَنَّتُهُ فَاقْتَصَرَ نَاظِرُهُ مِنَ الْقَلْبِ^(٤)

(١) من مدحه لإسحاق بن إبراهيم (الديوان ١/٣٤٥)

(٢) ليس البيت بديوان حسان.

وحسان هو حسان بن ثابت الأنصاري الفزرجي النجاري أشهر شعراء رسول الله . وقد عمر طويلا حتى كف بصره في حياته ، ومات سنة ٦٤ هـ زمن معاوية عن عشرين ومائة سنة كان حسان من بيت عريق في الشعر ، إذ كان أبوه وجده شاعرين ، وكان ابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين .

واشتهر حسان بأنه شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي زمن النبوة ، وشاعر الحين كلها في الإسلام .

(٣) ديوان ابن الرومي ٢/١٧٣

الندوب : المروج . الجوى : الألم والوجد .

(٤) لم تجد البيت في ديوانه

و كذلك قول ابن الرومي :

و كلام تمجذك في اقتضايك حاجتي و كفى به مُتَقاضِيَا وَ كِيلَا^(١)

سبقه أبو تمام فقال :

و إذا الحمد كان عَوْنَى على المَرْءَةِ وَ تَقَاضَيْتَهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِيِّ^(٢)

و كذلك قال ابن الرومي :

ومالي عزاء عن شبابي شَلَمْتُهُ سِوَى أُنَى مِنْ بَعْدِهِ لَا أَخْلُدُ^(٣)

سبقه منصور البري فقال :

قدِ كَدَتْ أَنْفُسِي عَلَى فَوْتِ الشَّبَابِيِّ لَوْلَا تَعْزَّى أَنْ الْعِيشَ مُنْقَطِعٌ^(٤)

و كذلك فعل أبو الطيب المتنبي ، فما جاء منه قوله :

فَدَّى نَفْسَهُ بِضَانِ النَّضَارِ وَأَغْطَى صُورَ الْفَنَّا الْذَّايلِ^(٥)

(١) ليست بديوانه المطبوع .

(٢) من قصيدة في مدح ابن أبي دواد التي مطلعها :

بدلت عبرة من الإعراض يوم شدوا الرجال بالأغراض
(الديوان ٣٦ / ٢)

(٣) الديوان ٣٩٤ من قصيدة التي مطلعها :

أَبِين ضلوعي حرة تتقد على ما مضى أم حسرة تتجدد

(٤) من قصيدة في مدح الرشيد (الأغاني ١٢ / ١٨) ومنها في الشباب :

ما تنقض حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجم
بان الشباب وفاتني بلذاته صروف بدهر وأيام لها خدع
ما هكنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له زيم
ومنصور النمرى كان عند الرشيد مقدماً ، وكان الرشيد يعطيه ويجزل له ، وكان يتطاير
بأنه عباسي المذهب وهو في ناطن نفسه شيعى .

(٥) من قصيدة في مدح سيف الدولة لما استنقذ من أسر المأرجى أبا وائل تغلب بن
داود ، وبطلعها :

لام طاعية العاذل ولا رأي في المحب للعاقل =

أخذه من قول الفرزدق :

كان الفداء له صدور رماحنا وتحيل إذ رهج الغبار مشار^(١)

و كذلك قوله (المتنبي) أيضاً :

أين أزمعت أئمـذا الهمـ نحن ثبتـ الرـباـ وأنتـ الغـامـ^(٢)

أخذه من بشار حيث قال :

كان الناس حين تغيب عنهم نبات الأرض أخطاء القطار^(٣)

وكذلك قوله (المتنبي) :

فلا زالت ديارك مشرقاتـ ولا دانـتـ ياشـنـ الغـربـاـ

لـأـضـبـحـ آـمـنـ فـيـكـ الرـزاـياـ كـماـ أـنـمـ فـيـكـ العـيـوبـاـ^(٤)

= (الديوان ٣ / ١٨٦) النصار : الذهب . القنا النابل : الرماح . أى ضمن لهم الذهب ثم أعطائهم صدور الرماح ، وذلك أن سيف الدولة اسقتفوا من أيديهم بغير فداء ، إذ أنى الخارجي بجيشه وقتلها وأنقذ أبا وائل .

(١) من قصيدة له في مناقضة جرير (الديوان ٢ / ٤٦٩)

(٢) مطر لم قصيده في مدح المتنبي حينما عزم على الرحيل عن أنطاكية .

(الديوان ٤ / ٧٩) .

(٣) من قصيده في الفخر (الديوان ٢٤٧/٣) والبيت في الديوان :

كان الناس حين تغيب عنهم نبات الأرض أخافه القطار
القطار : بكسر القاف جم قطرة والمراد المطر ، وبضم القاف المطر الغزير .

(٤) من قصيده في مدح علي بن محمد بن سبار التميمي .

(الديوان ١ / ١٦٧) التي مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضربوا فأعذرهم أشففهم حبيبا

أحد من ابن الرومي حيث قال :

أَسَالِمُ قَدْ سَلَّمَتْ مِنَ الْعَيْوبِ أَلَا فَاسْلَمْ كَذَلِكَ مِنَ الْخَطُوبِ^(١)

والذى عندى في الفرب للشار إليه أنه لابد من خالفه المتأخر المتقدم ،
إما بأن يأخذ المعنى فيزيد معنى آخر ، أو يوجز في لفظه ، أو يكسوه عبارة
أحسن من عبارته .

ومن هذا الفرب ما يستعمل على وجه يزداد قبحه ، وتكثير البشاعة به ،
وهو أن يأخذ أحد الشاعرين معنى من قصيدة لصاحبها على وزن وقافية ، فيودعه
قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ، ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من
طوق أو نطاق ، ثم صاغها في مثل ما سرقها منه ، والأولى به أن كان نظم تلك
الجوهرة في عقد أو صاغها في سوار أو خلخال ليكون أكتم لأمرها .

ومن فعل ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيده
التي أولها : (غيري بأكثـر هـذا النـاس يـخدـع^(٢)) .

لَمْ يُسْلِمْ السَّكَرُ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَرَةً إِنْ كَانَ أَنْتُمْ هُوَ الْأَضْحَابُ وَالشَّيْعُ

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي تمام في وزنها وقافيةها أولها :
« أى القلوب عليكم ليس يندفع^(٣) ».

(١) من قصيده في مدح سالم بن عبد الله بن عمر الأخباري (الديوان ١/٢٩٥)

(٢) من قصيده في مدح سيف الدولة ؟ التي مطلعها :

غيري بأكثـر هـذا النـاس يـخدـع إـن قـاتـلـوا جـبـنـوا أـو حـدـثـوا شـجـعوا
(الديوان ٣/٣٩٣) يقول إن هذه الواقعة التي هزم فيها المسلمون قد خذل فيها الجندي سيف
الدولة لكنه كر على الأعداء بنفسه ، فدافعت نفسه عن نفسه

(٣) الديوان ٣٢٢ في رثاء بني حميد

وَهَذَا لِلْعُنْفُ الَّذِي أُورَدَهُ أَبُو الطَّيْبٍ مَا نَخُوذُ مِنْ بَيْتٍ مِّنْهَا وَهُوَ :
 مَا هَابَ عَنْكُمْ مِّنِ الْإِقْدَامِ أَكْرَمُهُ فِي الرَّوْعِ إِذْ غَابَتِ الْأَنْصَارُ وَالشَّيْعَةُ
 وَلَيْسَ فِي الْمُرْقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ أَقْبَحُ مِنْ هَذِهِ السُّرْقَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَاعِرٌ
 فِيمَا يَأْنِي بِسُرْقَةِ الْمَاءِ فَحَتَّى يَفَادِي عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ سَرَقَهُ .

الضرب الرابع منه للملح :

وَهُوَ أَنْ يَؤْخُذُ الْمَعْنَى فِي كُسْكُسٍ ، وَذَلِكَ حَسْنٌ يَكَادُ يُخْرِجُهُ حَسْنَهُ عَنْ حَدِّ
 السُّرْقَةِ ، فَنَّ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ :

قَالُوا عَثِيقَتْ صَفِيرَةً فَأَجْبَتْهُمْ أَشْهَى الْمَطْيَّى إِلَى مَالِمٍ يُرْكَبُ
 كَمْ بَيْنَ حَبَّةٍ لَّوْاً وَمَقْوِيَّةٍ لَّبَسَتْ وَحْبَةً لَّوْاً لَمْ تُثْقِبْ^(١)

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي كُسْكُسِ ذَلِكَ :

إِنَّ لِلْطِّيَّةَ لَا يَكُنُّ رَكُوبُهَا حَتَّى تُذَالَّ بِالزَّمَامِ وَتُرْكَبَ
 وَأَكْبَرُهُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابُهُ حَتَّى يُفَصَّلَ فِي النَّظَامِ وَيُشَفَّبَ^(٢)

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ ابْنِ جَعْفَرٍ :

وَلَا يَكُونُ لِي أَنْهَا لَا تُرِيدُنِي وَأَنْ هُوَا هَا يَسْعَى بِهِنْجَلِي
 كَمْ نَيْتُ أَنْ تَهْوَى سِوَايَ . لَعْنَهَا

تَذَوْقُ صَبَابَاتِ ائْمَوَى فَتَرِقَ لِي^(٣)

(١) الْدِيْوَانُ ٢٩ (المطبعة العمومية)

(٢) الْدِيْوَانُ ٥ ٣٠٥

(٣) هُوَ عَلَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَمْفُرٍ يَذْهَبُ إِلَى أَبْنَى طَالِبٍ ، وَهُوَ قَائِلٌ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ
 (الأَغْنَى ١٤٢/١٩) وَفِي الْأَغْنَى (لَا تُوْدُنِي)

وقال غيره :

وَلَقَدْ سَرَّنِي صَدُودُكَ عَنِي فِي طِلَابِكِ وَامْتَناعُكِ مِنْ
حَذَرًا أَنْ أَكُونَ مِفْتَاحَ غَيْرِي وَإِذَا مَا خَلَوْتُ كُنْتُ التَّمَنَّى^(١)

أَمَا إِنْ جَعْفَرَ فِيْهِ تَذَاهَبُ^(٢) وَأَلْقَى عَنْ مُنْكَبِهِ رِدَاءَ الْغَيْرَةِ، وَأَمَا الْآخَرُ
فِيْهِ بِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ وَتَفَانَى بِهِ غَايَةُ الْفَلُوِّ.

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الشَّيْصِ :

أَجَدُ الْمَلَامَةَ فِي هُوَالِكَ لِذِيذَدَةَ شَغَفَمَا بِذِكْرِكَ فَلِيَلْمَنِي الْلَّوْمَ^(٣)
أَنْذَدَ أَبُو الطَّيْبِ الْمَقْبَبِيَّ هَذَا الْمَعْنَى وَعَكْسَهُ فَقَالَ :

أَحِبَّهُ وَأَحِبَّهُ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ^(٤)

وَهَذَا مِنَ الْمَرْفَاتِ الْخَفِيَّةِ جَدًا ، وَلَأَنَّ يَسْمِي ابْقَادَاهُ أَوْلَى مِنْ أَنْ يَسْمِي
صَرْقَةً ، وَقَدْ تَوْحِيدَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ شِعْرِي فَجَاءَ حَسَنًا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ :

(١) وَرَدَ فِي الْأَغَانِي ١٤٢/١٩ نِسْبَةُ الْبَيْتَيْنِ إِلَى إِنْ جَعْفَرِ أَيْضًا . وَذَلِكَ أَنَّ التَّوْكِلَ
سَأَلَهُ عَنْ تَدِينِهِ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوْلَيْنِ فَقَالَ لَهُ إِنْ جَعْفَرُ : جَعَلْتُ فَدَاكَ ، اسْمَعْ بَيْتَيْنِ قَلَّتْهُمَا فِي
الْفَيْرَةِ ، وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ .

(٢) تَذَاهَبُ وَتَذَابُ : اسْتَخْفَى وَتَحَايَلَ ، مِنْ تَذَاهَبِ الْنَّافَةِ إِذَا اسْتَخْفَى لَهَا مِنْشَبُهَا
بِالْذَّئْبِ لِيَعْطُفُهَا عَلَى غَيْرِ وَلَدِهَا

(٣) فِي الْأَغَانِي أَنَّ عَلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ أَبْيَانًا ، مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ (الْأَغَانِي
١٤٢/١٩) وَفِي الْمَقْدَقْرِيدِ ٣٧٤/٥ نِسْبَتُهُمَا إِلَى أَبِي الشَّيْصِ ، وَكَذَلِكَ فِي شَرْحِ الْمَرْزُوقِ
لِلْحَمَاسَةِ ٣٧٣/٣ . أَمَّا الشَّاعِرُ فَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَزِينَ ، وَهُوَ إِنْ عَمْ دَعْبُلُ الشَّاعِرِ
وَكَانَ فِي زَمْنِ الرَّشِيدِ مَعاصرًا لِأَبِي نُواصِ . وَالشَّيْصُ مَعْنَاهُ فِي الْأَصْلِ التَّرْرُ الرَّدِيءُ .
وَالْأَبْيَاتُ هُنَّ :

وَقَفَ الْهَوَى بِي حِيثُ أَنْتَ فَلِيُسْ لِي مَتأخِرٌ عَنْهُ وَلَا مَتَقْدِمٌ
أَجَدُ الْمَلَامَةَ فِي هُوَالِكَ لِذِكْرِكَ فَلِيَلْمَنِي الْلَّوْمَ
أَشْبَهَتْ أَعْدَائِي فَصَرَّتْ أَجْبَهُمْ إِذَا كَانَ حَظِيَّ مِنْكَ حَظِيَّ مِنْهُمْ
وَأَهْنَقَتْ فَأَهْنَقَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مَامِنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مَمْنُ بِكَرْمِ
(٤) مِنْ أَبْيَاتِ أَجَازَهَا بِاقْتِرَاحِ سِيفِ الدُّولَةِ (الْدِيْوَانُ ١/١)

لولا الْكَرَامُ وَمَا سَقَوْهُ مِنْ كَرَامٍ لَمْ يَدْرِي قَائِلٌ شِعْرٌ كَيْفَ يَحْتَدِي
أَخْذَتْهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَامَ :

وَلَوْلَا خَلَالُ سَنْهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى
بُنَاهُ الْعُلَا مِنْ أَينْ تَؤْتَى الْمَكَارِمُ^(١)

الضمير الخامس من الملح :

وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذُ بِعِصْمِ الْمَعْنَى ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أُمِيَّةَ ابْنِ أَبِي الصَّلَاتِ يَمْدُحُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَذْعَانَ :

عَطَاؤُكَ زَرِينُ لَامْرِيٍّ إِنْ حَبَوْتَهُ بَهْذُلٌ وَمَا كُلُّ الْمَطَاهِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لَامْرِيٍّ بَهْذُلٌ وَجَهْوَهُ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ^(٢)
أَخْذَهُ أَبُو تَامَ فَقَالَ :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفْرًا وَهِيَ إِنْ شَهِرَتْ
كَانَتْ فَخَارًا لَمْ يَغْفُوهُ مُؤْتَدَنَفًا
مَا زَلَتْ مُنْتَظَرًا أَعْبُوْبَةً زَمَنًا
حَتَّى رَأَيْتُ سَوَالًا بِجَهَنَّمِ شَرَفًا^(٣)

فَأُمِيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلَاتِ أَنَّى بِمَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ ؟ أَحَدُهُمَا أَنْ عَطَاءَكَ زَرِينُ ، وَالآخَرُ أَنْ

(١) من قصيدة في مدح أَبُو جَذْعَانَ بْنَ دَوَادَ (الديوان ١٨٣/٣) وفي الديوان (بغاة الندى)

(٢) الأغانى ٨/٣ والديوان ٦٣

أُمِيَّةُ شاعر جاهلي حفل ديوانه بالتوحيد والكونيات والبعث والحساب الخ قال فيه
الأصمى ذهب أُميَّة في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن
أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب (الأغانى ٤/١٢٥) وقد أدرك الإسلام وتوفي سنة ٩٠ هـ وكان
قد قرأ السكتب واتصل بالقدسين وأليس المسوح وتنسق وحرم الخمر والآونان
وعبد الله بن جدعان جواد عربي مشهور ربما كان النبي يحضر طعامه، وقد حضر في داره
قبل النبوة حلفاً لرد المظالم

(٣) من مدحه لأبي دافع العجي مطلعها .

أَمَا الرِّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَاصِلَفَا فَلَا تَكْفُنْ عَنْ شَمَانِيكَ أَوْ يَكْفَا

(الديوان ٣٦٥/٢)

عطاء غيرك شين ، وأما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لغيره .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة :

وَآهَلَ مَالَمْ يَنْحُوهُ مُتَّقَدِّمٌ وإن نال منه آخر فهو تابع
فقال أبو الطيب المتنبي :

تَرَفُّعَ عَنْ عَوْنَى الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَايَفْعَلُ الْفَعَلَاتِ إِلَاعْذَارِيَا^(١)

فعلى بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين : أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد من تقدمه ، وإن نال منه الآخر شيئاً فإنما هو مقتدبه وتابع له . وأما أبو الطيب فإنه لم يأت إلا بالمعنى الواحد ، وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره ، غير أنه أبرزه في صورة حسنة .

ومن ذلك قول أبي تمام :

كَافِرُ بَرَبِّ الْمُجْدِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُبَدِّلْهُ أَعْرَفُ إِذَا لَمْ يُتَّهِمْ^(٢)

فقال البحترى :

وِئَلْكَ إِنْ أَبْدَى الْفَعَالَ أَهَادَهُ وَإِنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَاهَا^(٣)

فأبو تمام قال إن المدوح يرب صنيعه ، أى يستدعيه ، ويعلم أنه إذا لم

(١) من قصيدة في مدح كافور التي مطلعها :

كفي بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المزايا أن يكن أماناً

(الديوان ٤/٢٨) العون : جم عوان وهي التي فوق البكر دون الفارض . العذاري : جم عذراء وهي البكر ، أى أنه أجمل قدراً من أن يفعل في المكرمات فعلاً قد سبقه إليه أحد ، وإنما يأتي بها ابتداعاً

(٢) من مدحه لابن شباته ٣/٢٤٨

(٣) من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان التي مطلعها :

يهون عليها أن أبىت منها أعالج شوفاً في الصغير مكتها

(الديوان ٢/٢٢٧)

يُسْتَدِمُ فَمَا ابْتَدَأَهُ ، وَالْبَعْثَرِيُّ قَالَ إِنَّهُ يُسْتَدِمُ صَاحِبُه لَا غَيْرُه ، وَذَلِكَ بِعِصْمِ
مَا ذَكَرَه أَبُو تَمَامٍ .
وَكَذَلِكَ قَالَ الْبَعْثَرِيُّ :

أَدْفَعْ بِأَمْثَالِ أَبِي غَالِبٍ عَادِيَةَ الْعُدُمِ أَوْ اسْتَعْفِفْ^(١)

أَخْذُهُ مِنْ تَقْدِيمِهِ ، حِيثُ قَالَ :

إِنْتَجَ الْفَضْلَ أَوْ تَخْلُ عن الدُّنْيَا فَهَانَ غَايَةُ الْهَمَمِ
فَالْبَعْثَرِيُّ أَخْذَ بِعِصْمِ هَذَا الْمَعْنَى وَلَمْ يُسْتَوْفِهِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :

نَزَّلْتُمْ عَلَى هَامِ الْمَعَالِيِّ إِذَا أَرَتَنَّيْ إِلَيْهَا أَنَّاسٌ غَيْرُكُمْ بِالسَّلَامِ^(٢)

أَخْذُهُ أَبُو الطَّيْبِ الْمَقْبَلِيِّ قَالَ :

فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةً فَرَأَلُوا^(٣)

وَهَذَا بِعِصْمِ الْمَعْنَى الَّذِي تَضَمِّنَهُ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ ، لَأَنَّهُ قَالَ إِنَّكُمْ فَرَأَيْتُمْ عَلَى
هَامِ الْمَعَالِيِّ وَإِنْ غَيْرُكُمْ يَرْفِقُ إِلَيْهَا رَقِيَا ، وَأَمَا الْمَقْبَلِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ إِنَّكُمْ إِذَا أَرَدْتُمْ غَايَةَ نَزَّلْتُمْ ،
وَأَمَا قَوْلُهُ (فَوْقَ السَّمَاءِ) فَإِنَّهُ يَعْنِي عَنْهُ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ (نَزَّلْتُمْ عَلَى هَامِ الْمَعَالِيِّ) إِذَا
الْمَعَالِيِّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ، لَأَنَّهَا مُخْتَصَّةٌ بِالْعُلُوِّ مُطْلِقًا .

(١) من قصيدة في مدح أبي غالب أحد بن المديبر الذي مطلعها :
لَمْ تَبْلُغْ الْحَقَّ وَلَمْ تَنْصُفْ عَيْنَ رَأْتَ بَيْنَمَا فَلَمْ تَذَرْفْ
(الديوان ٢/١٠٢)

(٢) ليست بديوانه المطبوع

(٣) من مدحه له ضد الدولة بقصيدة مطلعها :

اَلَّثَّاثُ فَإِنَّا أَيْهَا الظَّلَلُ بَكَى وَرَزَمَ تَحْتَنَا إِلَيْنَا
(الديوان ٤/٣٢)

الضرب السادس من الصلح :

وهو أن يُوحَد المعنى فيزاد عليه معنى آخر، فمما جاء منه قول الأَخْنَسِ بْنِ شَهَابٍ :

إِذَا قَصَرَتْ أَسْيَاافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبُ^(١)

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه ، وهو قوله :

**إِنْ قَصَرَ الرَّثْمَحُ لَمْ يَمْشِ الخَطَا عَدَادًا
أَوْ عَرَدَ السَّيْفُ لَمْ يَهْمِمْ بَتْرِيدُ^(٢)**

وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره :

غَرَائِبُ الْأَلَافِ إِذَا حَانَ وِرْدُهَا أَخَذْنَ طَرِيقًا لِّلْقَصَائِدِ مُعْلَمًا^(٣)

أخذه أبو تمام فزاد عليه ، إذ قال في وصف قصيدة له ، وقرن ذلك بالمدح :

**غَرَائِبُ لَاقَتْ فِي فَنَائِكَ أَنْسَهَا
مِنَ الْمَجْدِ فَهُنَّ الآنَ غَيْرُ غَرَائِبٍ^(٤)**

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ٧٢٧/٢ وفيه (وإن قصرت) وهو الأَخْنَسِ بْنِ شَهَابٍ بْنِ شُعْبِي يَنْتَهِي نَسْبَهُ إِلَى تَفْلِبٍ ، شَاهِرٌ جَاهِلِي قَدِيمٌ قَبْلِ الْإِسْلَامِ بِدَهْرٍ . وَهُوَ غَيْرُ الْأَخْنَسِ بْنِ شُعْبِي الشَّفْقِي الصَّحَابِي

(٢) من قصيده في مدح داود بن يزيد المهمي (الديوان ١٥٩) تعرىد : عدم قطم ، أى لم يتم بإبعاد السيف عن الضربة

(٣) من قصيده في هجاء البهيت (الديوان ٤٤٢) والنـسـ في الـدـيـوانـ :
فـلـانـيـ لـهـ جـيـهـ بـكـلـ غـرـبـةـ شـرـودـ إـذـ السـارـىـ بـلـيلـ تـرـنـداـ

غـرـائـبـ أـلـافـ إـذـاـ حـانـ وـرـدـهـاـ أـخـذـنـ طـرـيقـاـ لـلـقـصـائـدـ مـعـلـمـاـ

(٤) من مدحه لأبي دلف بقصيدة مطلعها :

عـلـىـ مـثـاـهـاـ مـنـ أـرـبـعـ وـمـلـاعـبـ أـذـيـلـتـ مـصـوـنـاتـ الدـمـوـعـ الصـواـكـ

(الـدـيـوانـ ١/٢٢١)

و كذلك ورد قول ولد مسلمة بن عبد الملك :

أَذْلُّ الْحَيَاةِ وَكُرْهَةُ الْمَاتِ وَكُلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبِلَّا
فَانٌ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْمَادِهَا فَسَيِّرًا إِلَى الْمَوْتِ سَيِّرًا جَيْلًا

أخذه أبو تمام فقال :

مَثْلُ الْمَوْتِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَاقُولُ لُّوكُلَّا رَآهُ خَطْبَمْ عَظِيمًا
نَمْ سَارَتْ بِهِ الْجَمِيعَةُ قَدْنَمَا فَأَمَاتَ الْعِدَا وَمَاتَ كَرِيمًا^(١)

فزاد عليه بقوله « فَأَمَاتَ الْعِدَا وَمَاتَ كَرِيمًا » .

ويروى أنه نظر عبد الله بن علي رضي الله عنه عند قتال المروانية إلى فتى
عليه أحنة الشرف ، وهو يبلي في القتال بلاء حسنا ، فناداه : يا فتى لك الأمان ،
ولو كنت مروان بن محمد . فقال : إلا أكنت فلست بدونه .

قال : فلت الأمان ، ولو كنت من كنوت . فأطرق ثم تمثل به ذين البيتين المذكورين .

و كذلك ورد قول أبي تمام :

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنْ سُودَةَ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيَّ عَذْرَاءَ نَاهِيَ^(٢)

أخذه من قول ابن المعتزل بن غيلان :

وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْمُلَأِ إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ^(٣)

(١) الديوان ٣٣٤ في ربناه جعفر الطائي

(٢) من مدحته لابني الحسن محمد بن الهيثم بن شباتة التي مطلعها .

ففوا جددوا من عهدهم بالمعاهد وان هي لم تسمع انشدان ناشد

(الديوان ٦٨/٢)

(٣) تصويب اسمه من الأغاني ١٢ / ٤٥ وكان في الأصل المعتزل ، بغير ابن . =

إلا أنه زاده زيادة حسنة بقوله : « ولو بُرْزَتْ فِي زَيْنِ عَذْرَاءَ نَاهِدْ » .

وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجُرْيَ قول البحترى :

خَلَّ عَنْكَ إِنَّمَا أَنْتَ فِيهَا وَأَوْعَزْرِوْ أَوْ كَالْحَدِيثِ الْمَعَادِ^(١)

أخذته من قول أبي نواس :

قُلْ مَنْ يَدْرِي مُلْكَيْهِ سَفَاهَهَا لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةَ ظَفَرَ
إِنَّمَا أَنْتَ مُلْصَقٌ مُثْلِّهِ وَأَوْلَى الْحَقَّ فِي الْهَجَاءِ ظَلَمًا بَعْمَرَوْ^(٢)

إلا أن البحترى زاد على أبي نواس في قوله : أو كالحديث المعاد .

وهكذا اورد قول البحترى أيضاً :

رَكِبُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْفَرَاتِ وَأَمْلَوْا جَذْلَانَ يُبَدِّعُ فِي السَّمَاحِ وَيُغْرِبُ^(٣)

أخذته من مسلم بن الوليد في قوله :

رَكِبْتُ إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مُؤْخِرَاتِهِ فَأَوْفَتُ بِنَا مِنْ بَعْدِ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ^(٤)

== وهو عبد الصمد بن المعتزل بن غيلان . وفي الأغانى :

ولست بِعِيالٍ إِلَى جَانِبِ الْفَقَرِ إِذَا كَانَتِ الْغَلِيَادُ فِي جَانِبِ الْفَقَرِ
وَإِنِّي لِصَبَارٍ عَلَى مَا يَنْوِي وَحَسِبَكَ أَنَّ اللَّهَ أَنْتَ عَلَى الصَّبَرِ

(١) من هجائه لعلى بن العجم (الديوان ١٩١/١)

(٢) في هجاء أشجاع السلمى (الديوان ٥٤٥) وكان في الأصل (سلما) والبيت الثاني بالديوان :

إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سَلِيمَى كَوَادْ الْحَقَّ فِي الْهَجَاءِ ظَلَمًا بَعْمَرَوْ

(٣) من مدحته لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ٦٢/١).

(٤) الديوان ١١١ ويروى ركبنا إليه البحر . مؤخراته : أواخر ركبته . والضمير في أوفت يعود على السفينة المذكورة قبل ذلك

إلا أن البحترى زاد عليه بقوله : « جذلان يهدى في السماح ويغرب » .

و كذلك ورد قول أني نواس :

وليس ثم بمستنقع أن يجتمع العالم في واحد^(١)

وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ لَهُجَ بِهِ النَّاسُ لَهُجًا كَثِيرًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ ظَاهِرًا مُبَقِّدًا لِأَبِي
نُوَاسَ ، وَيُحَكَى عَنْ أَبِي تَمَامَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ابْنِ أَبِي دَوَادَ^(٢) فَقَالَ لَهُ : أَحْسِبَكَ
عَاتِهَا يَا أَبَا تَمَامَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يُعْتَبُ عَلَى وَاحِدٍ ، وَأَنْتَ النَّاسُ جَمِيعًا ؛ قَالَ : مَنْ
أَيْنَ هَذِهِ يَا أَبَا تَمَامَ ؟ قَالَ : مَنْ قَوْلُ الْخَادِقِ أَبِي نُوَاسَ ، وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتُ ، وَهَذِهِ
الْحَكَايَا عِنْدِي مَوْضِعَةٌ لِأَنَّ أَبَا تَمَامَ كَانَ عَارِفًا بِالشِّعْرِ حَتَّى إِنَّهُ قَالَ : لَمْ أَنْظِمْ
شِعْرًا حَتَّى حَفَظَتْ سَبْعَةَ عَشَرَ دِيوَانًا لِلنَّاسِ خَاصَّةً دُونَ الرِّجَالِ ، وَمَا كَانَ يَخْفِي
عَلَيْهِ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى لِأَبِي نُوَاسَ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَا خُوذَ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ :

إذا عَصَيْتَهُ عَلَيْكَ بَنُو تَهْرِيرٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَاظاً^(۲)

إلا أن آبا نواس زاد زيادة حسنة ، وذاك أن جريراً جعل الناس كلهم
بني تميم ، وأبا نواس جعل العالم كله في واحد ، وذاك أبلغ .

وَمَا يَنْتَظِمُ فِي هَذَا الْمَلَكِ قَوْلُ الْفَرَزْدِقِ :

(١) من مدحته لها رون الرشيد (الديوان ٤٥٤)

(٢) هو ابن أبي دواد الإيادى ، كان من جملة العلماء في عصر المأمون ، وقد عرف
فضله ، فأوصى أخاه المعتصم به ، وكتب في كتاب الوصية له بالخلافة « وأبو عبد الله أحمد بن
أبي دواد لا يفارقك ، أمرك في المشورة في كل أمرك ، فإنه موضع ذلك » . فكان المعتصم
لا يفعل فعلاً باطننا ولا ظاهرًا إلا برأيه ، ثم حسنت حاله كذلك عند الواقف بعد المعتصم ، ثم فلنج
في خلافة المتوكل ومات سنة ٢٤٠ هـ .

(٣) الديوان ٧٨ من قصيدة في هجاء الراعي المنيرى

علام تلفتينَ وأنت تختي وخير الناس كلامُ أماني
متى تأني الرصافة تستريحى من الأنساع والدبر الدوامي (١)

أخذه أبو نواس فصار أملأ به ، وأحسن فيه غاية الإحسان ، فقال :

ولماذا المطئ بما بلغنىَ مُحَمَّداً فظُهورُهن على الرجال حرام (٢)

فائزدق قال : (تستريحى من الأنساع والدبر الدوامي) وليس استراحتها
بمانعة من معاودة إنجابها مرة أخرى ، وأما أبو نواس فإنه حرم ظهورهن على
الرجال ، أى أنها تُعفى من السفر إعفاء مستمرا ، ولا شك أن أبا نواس لم يتتبه
لهذه الزيادة إلا من فعل العرب في السائبة والبيحيرة (٣) .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول المتنى :

وَلَمْوَمَةِ زَرَدَ ثَوْبَهَا وَلَكَنَهَا سَائِبَةَ حُجَّمَلِ (٤)

(١) من قصيدة في مدح هشام بن عبد الملك (الديوان ٨٣٥) وفي الديوان (إلام تلفتين)

(٢) من قصيدة في مدح الأمين (الديوان ٤٠٧)

(٣) السائبة : البعير يدرك دجاجه فسيب أى يترك لا يركب والناقة كانت تسب في الجاهليّة النذر ونحوه أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلّهن إناث سببت أو كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابة من حرب أو مشقة قال هي سائبة ، وكانت لا تفتر من ماء ولا كلاً ولا ترکب .

البيحيرة : كانوا إذا اتّجهت الناقة أو الشاة عشرة أبطن بحروها وترکوها ترعى وحرموا
لهم ما تاقت على نسائهم وأكلها الرجل ، أو التي خللت بلا رام ، أو هي اينة السائبة ،
وكانوا يحرمون لهمها ورکوتها .

(٤) من قصيدة في مدح سيف الدولة (الديوان ٢٤١/٣)

ملومة : كمية مجتمعة ، والكلمة معطوفة على الكلمة مرفوعة من قبل . زرد ثوبها . ثيابها
دروع لها . والزرد حلق الدرع . أى حال يذمهم وبين ما يشتهرون جيشك الذي اتخذ فرسانه
الدروع لباسا لهم ، إلا أن ذلك الثوب تحمل بالرماح كالحمل لتلك الثياب

أخذه من أبي نواس في قوله :

أَمَّا مَحَبِّي أَرْجُوَانٍ كَذَاهُ فَمَنْ قَنَّا وَجِيادِ^(١)

فرزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس بهذا المعنى .

وكذاك قال أبو الطيب المتنبي :

وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْنَا فَإِنَّكَ فِي الْكَرَمِ الْأَوَّلِ^(٢)

فأخذته أنا وزدت عليه فقلت :

أَنْتَ فِي الْجُودِ أَوْلَى وَقَضَى اللَّهُ بِالْأَلَاءِ يُرَى لَكَ الدَّهْرُ مَكِينٌ

وهذا النوع من السرقات قليل الوقع بالنسبة إلى غيره .

النَّصْرَبُ الْمَابِعُ مِنَ السَّاجِعِ :

وهو أن يؤخذ المعنى فيكتسي هبارة أحسن من العبارة الأولى ، وهذا هو المحمد الذي يخرج به حسنة عن باب السرقة .

فن ذلك قول أبي تمام :

جَذْلَانَ مِنْ ظَفَرِ حَرَّانَ أَنْ رَجَعَتْ مَخْضُوبَةً مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ بَدْمٌ^(٣)

(١) من قصيدة في مدح الفضل بن يحيى بن خالد البرمي (الديوان ٤٧٣) الخيس :
لجيش العظيم . أرجوا ان : آخر

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أَيْنَمِنْ فِي الْحَيْمَةِ الْعَدْلِ وَتَشَمَّلُ مِنْ دَهْرِهَا يَشْمَلُ

(٣) من قصيدة في مدح الملك بن طوق النغوي (الديوان ١٩١) وجذلان جاء
من القاعل في البيت السابق :

قَدْ انْتَنِي بِالْمَنَابِيَا فِي أَسْنَتِهِ وَقَدْ أَفَامْ حِيَارَاكِمْ عَلَى الْأَنْمِ
اللَّقَمْ : الْمَطَرِيقُ الْوَاضِعُ .

أخذه البحترى فقال :

إذا اختربت يوما ففاحت دماؤها

تدكّرت القرابة ففاحت دموعها^(١)

ومن هذا الأسلوب قولهما أيضا ، فقال أبو تمام :

إن الكرام كثيرون في البلاد وإن قلوا ما غيرهم قلوا وإن كثروا^(٢)

وقال البحترى :

قل السكرام فصار يكثر فذهب ولقد يهل الشيء حتى يكثر^(٣)

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس :

يدل على ما في الضمير من الآتى
تقلب عينيه إلى شخص من يهوى^(٤)

أخذه أبو الطيب للتنبىء فقال :

وإذا خامر الموى قلب صب فعليه لكل عين دائم^(٥)

(١) من قصيدة في مدح المذوكل وذكر صلح بن تفاب (الديوان ٣١٦/٢) والفسير عائد على الفرسان من الطرفين

(٢) من قصيدة في مدح عمر بن عبد العزيز الطائى (الديوان ١٨٦/٢)

(٣) من قصيدة في مدح إسحاق بن كنداج (الديوان ٢١/٢) فذهب : فريدم ،

(٤) من قصيدة في الغزل والآخر مطلعها :

شجاعى وأبلانى ذكر من أهوى وألبسى ثوبا منضرر البلوى

(الديوان ١١٨)

(٥) من قصيدة في مدح سيف الدولة (الديوان ٣٣٤/٣) التي مطلعها :

ليالي بعد الظاغن شكول طوال وليل العاشقة بن طويل

وَمَا يَنْتَظِمُ فِي هَذَا السَّلَكُ قَوْلُ أَبْنَى الطَّيِّبِ الْمَنَابِيِّ :

إِذَا مَا ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِيِّ فَقَدْ وَقَعَ اِنْتِقَاصِي فِي اِزْدِيادِ^(١)

أَخْذَهُ ابْنُ نَبَاتَةِ السَّعْدِيِّ^(٢) وَقَالَ .

إِذْ كَانَ نَفْصَانُ الْفَتَىِ مِنْ تَهَامِهِ فَكُلُّ صَحِيحٍ فِي الْأَنَامِ عَلِيلٌ^(٣)

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ أَبْنَى الْعَلَاءِ بْنِ سَلِيمَانَ فِي مَرْثِفِهِ :

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمَنِيرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَمْرُ الْلَّاطِمِ^(٤)

أَخْذَهُ الشَّاعِرُ الْمُعْرُوفُ بِالْقَيْسَرَانِيُّ فَقَالَ :

وَأَهْوَى الْقَىْ أَهْوَى لَهَا الْبَدْرُ سَاجِدًا أَسْتَ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَمْرُ الْتُّرْبِ^(٥)

وَكَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرَّوْىِ :

إِذَا شَيَّثْتَ عَيْنَ امْرَى وَشَيَّبَ نَفْسِهِ فَعَيْنٌ سِواهُ بِالشَّاهِقِ أَجَدَرُ^(٦)

(١) من مدحه لعلي بن ابراهيم التنوخي (الديوان ٩١/٢) والنص في الديوان :

إِذَا مَا زَدَتْ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِيِّ فَقَدْ وَقَعَ اِنْتِقَاصِي فِي اِزْدِيادِي

يريد أنه إذا بلغ الشباب نهائته فزيادة العمر بعد ذلك زيادة في النقصان ، لما يترتب على

هذا من ضعف الشيخوخة ، كما قال عبد الله بن طاهر :

إِذَا مَا زَادَ هُمْرُكَ كَانَ نَقْصًا وَنَقْصَانُ الْحَيَاةِ مِمَّا تَمَامٌ

وَكَمَا قَالَ آخَرُ :

إِذَا اتَسَقَ الْمَهْلَلُ وَصَارَ بَدْرًا تَبَيَّنَتِ الْمَحَاقُّ مِنَ الْمَهْلَلِ

(٢) تقدم التعريف به . والاسم يروى بضم النون وبفتحها وهو أبو نصر عبد العزيز

محمد بن نباتة السعدي التميمي أحد خول الشعراء ، توفي سنة ٤٠٥ في بغداد .

(٣) من قصيدة في رثاء أبي ابراهيم العلوى (سقط الزند ٢٩٢/١) وفي الديوان

(اللطم) يريد أن الكلفة التي ترى فيه ليست قديمة ولكنها من لطمه لما بلغه نعي المتوفى .

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال :

إذا كان شَيْبِي بغيضاً إلى فكير يكون إليها حَبِيبَها^(١) *

ومما ينخرط في هذا السياق قول بعضهم :

مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ رَأَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنِ مَا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا

أخذه أبو تمام فقال :

كَانَ عَلَيْهَا كُلُّ عَقْدٍ مُلْاحَةً

وَحْسِنَاهَا وَإِنْ أَضْحَتْ وَأَمْسَتْ بِلَا عِقْدٍ^(٢)

ثُمَّ أخذه البحترى فقال :

إذا أطْفَأَ الْيَاقُوتَ إِشْرَاقُ وَجْهِهَا فَإِنْ عَذَّبَهَا مَا تَوَخَّتْ عُقُودُهَا^(٣)

وأمثال هذا كثيرة ، وفيها أوردناء مقنع .

الضرب المأمون وهو الصنف :

وهو أن يؤخذ المعنى ويسألك سبكاً موجزاً ، وذلك من أحسن السرقات ،
ما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول ، وسعة باعه في البلاغة .

(١) القائل هو أبو هلال المسكري ، وقبل البيت قوله :

فلا تهجباً أن يعين المشيب فما عين من ذاك إلا معيناً

(الصناعتين ٤٨)

(٢) من قصيده في مدح أبي الغيث الرافقي (والديوان ١١١/٢) وبالديوان تقديم
أمست على أضحت

(٣) من قصيده في مدح صاعد بن خلده (الديوان ١٥٦/١) وبالديوان (حسنه)
بدلاً من (وجهها) .

فمن ذلك قول بشار :

من راقبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفِرْ بِمُحَاجَةِ
وَفَازَ بِالْطَّيْبَاتِ الْفَتَّى لِكُلِّ الْمُرِّيجِ^(١)

أخذَه سَلَمُ الْخَامِسَ — وَكَانَ فَلَمِيزِه — فَقَالَ :

من راقبَ النَّاسَ ماتَ عَمًا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ^(٢)
فِيهِنَ الْبَيْتَيْنِ لِفَظَتَانِ فِي التَّأْلِيفِ .

وَمِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ قَوْلُ أَبِي تَمَامِ :

بَرَزَتَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَاحْدًا فِيهَا تَسْبِيرٌ مُغَوِّرًا أَوْ مُنْجِدا
عَجَبًا بِأَيْكَ سَالِمٌ فِي وَحْشَةِ فِي خَاتِمِ مَازَاتٍ فِيهَا مُفَرِّدا^(٣)

(١) الديوان ٢/٢٥ - القائل واستعاره المجرى، والذى لا يزال مذكر الناس . الموجه : المجرى بالشىء المنابر عليه المقدم .

(٢) ذكر أبو هلال في الصناعتين ٢١٤ إن بشار لما سمع بيت سلم قال : ذهب ابن الفاعلة بيبيق . وفي شرح ديوان بشار ٢/٢٥ وطبقات الشعراء لابن المعتر ١٠٠ أذنه قال : فهو أخف منه وأعدب ، وافته لا أكلات ولا شربت لا يوم . فلما بلغ ذلك سلم اسكنع إلى بيشمر بجماعة ، فذهبوا به فقال بشار : أين هو الخبيث ؟ قالوا : هاهوذا ، فقام إليه وسلم ، وقبول سلم رأسه وقال له : ياً بـا معاذ خريجك وتلميذك . قال بشار : يا سلم من الذي يقول ؟ من راقب الناس لم يظفر بمحاجته ... قال : أنت ياً بـا معاذ . قال : فمن الذي يقول : من راقب الناس مات عـما ... قال : خريجك ياً بـا معاذ . قال : أـنـهـاـخـذـ مـعـانـيـ الـتـيـ قدـ عـنـيـتـ بـهـاـ وـتـبـعـتـ فـيـ اـسـتـذـبـاطـهـاـ ،ـ هـكـسـوـهـاـ الـفـاظـاـ أـخـفـ مـنـ الـفـاظـيـ .ـ حـتـىـ يـرـوـىـ مـاـقـولـ وـبـذـهـبـ شـعـرـيـ ؟ـ لـأـرـضـيـ عـنـكـ أـبـداـ .ـ فـهـاـزـالـ يـضـرـعـ إـلـيـهـ وـالـقـومـ يـشـفـهـونـ حـتـىـ رـضـيـ عـنـهـ .

وسلم الخامس هو سلم بن عمرو شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى وهارون والبرامكة . وسمى بالخامس لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباءه واشترى طنبوراً (الأغانى ١/٢٣)

(٣) من مدحه لأحمد بن عبد الكريم الطائى (الديوان ٢/١٠٤)

أخذه ابن الرمي فقال :

غَرْبَتُهُ الْخَلَائِقُ الْوَهْرُ فِي النَّا س وَمَا أَوْحَشَتْهُ بِالْتَّغْرِيبِ (١)

وكذاك ورد قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالدَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةِ
مِنْ جُودِ كَفَكَ تَأْسُو كُلَّ مَاجِرَ حَمَّا (٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

الْوَهْرُ يُفْسِدُ مَا اسْتَطَاعَ رَأْخَدُ يَتَّبِعُ الْإِفَادَةَ بِالْإِصْلَاحِ (٣)

وعلى هذا ورد قول ابن الرومي :

كَانَ أَسْتَدِنِي بِكَ اِنَّ حَنِيفَةَ
إِذَا التَّرْزَعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصُّدْرِ أَبْعَدَهَا (٤)

أخذه بعض شعراء الشام وهو ابن قَيْمِ الْحَمَوِيِّ (٥) فقال :

فَهُوَ كَالْتَنِيمَ كَمَا زِدَتْهُ مِنْكَ دُنْوًا بِالْتَّرْزَعِ زَادَكَ بُعْدًا

(١) من قصيدة في مدح يحيى بن علي المذجم (الديوان ١٠٦/١)

(٢) من قصيدة في مدح أبي العباس (الديوان ٤٠٧)

(٣) من قصيدة في مدح أحد بن شيخ (الديوان ١٠٤/٢)

(٤) غير موجود بالديوان

(٥) هو أبو الحجد مسلم بن الخضر بن مسلم بن قيم الحموي الشنوي، ذكره العميد في المزبدة في شعراء حماة بأسلوبه المسبجوع المصنوع بهوله «أبو الحجد مجيد للشعر، وحيد للدهر فريد للحصر، ذورقة للقوب مسترقية، وللمقول مسترقية ...» إلى أن قال «كان مالك التيسرياني وابن منير في زمانهما، وسبقاهما في ميدانهما، ذبغ في عصر شيخوختهما، وبلغ إلى درجةهما، وراق سحرهما سحره، وفاق شعرهما شعره، اشككه خانه محمره، وفل شبابه

ولقيت جماعة من الأدباء بالشام، وووجدوهم يزعمون أن ابن قسييم هو الذي ابتدع هذا المعنى، وليس كذلك، وإنما هو لابن الرومي.

وما يجري هذا المجرى قول أبي العناية:

وإني لمعذورٌ على فرط حبها لأنها وجّهـا يُدلـل على عذرـي^(١)

أخذـه أبو تمام فقال:

له وجـهـه إذا أـبـصـرـه تـهـ فـاجـهـهـ عن عـذرـي^(٢)

فأـوـجـزـ فيـ هـذـاـ الـمـعـنىـ غـايـهـ الإـبـجاـزـ.

وما يجري على هذا النهج قول أبي تمام:

كـانـتـ مـسـاـدـةـ الرـكـبـانـ تـخـبـرـيـ

عن أـحـمـدـ بـنـ سـعـيدـ أـطـيـبـ الـخـبـرـ

حـتـىـ التـقـيـنـاـ فـلاـ وـالـلـهـ مـاـ سـمـيـتـ

أـذـنـيـ بـأـخـسـنـ مـاـ قـدـ رـأـيـ بـصـرـيـ

« شبابه ، وحمل حباً آدابه ، وأمر جنديه جنادبه ، وحمل شهوب شبابه ، وذلك في سنة نيف وأربعين وخمسمائة » ومن العجيب أن يقول العميد بعد ذلك « وووجدت في ديوانه لهذا فاحشاً وهو هنا بالخطأ جائشاً ». ونظرت في ديوان شعره ، فالنقطات فراتد دره ، وقلائد سعره ... » وقال عنه ابن عساكر : شاب شاعر ، قدم دمشق ، ومدح أنابك زنك . والختار له طائفة من الأبيات [وانظر خريدة الدهر ، وجريدة الدهر ٤٣١/١ قسم شعراء الشام - بتحقيق الدكتور شكري فيصل - دمشق ١٩٥٥]

(١) ليس بالديوان

(٢) الديوان ٤٧٤

أخذه أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال :

وأَسْنَةَ كُبِرُّ الْأَخْبَارَ فَبَلَ لِفَزِهِ فَلَمَّا اتَّقِيَهَا صَغَرَ الْأَخْبَارُ^(١)

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

كُمْ صارُمْ عَضْبُ أَنَافَ عَلَى فَتَيْ مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ الْوَغْنِ حَمَالٌ
سَبَقَ الْمُشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى أَبْرَزَهُ

وَطَنَ النَّبَىٰ مِنْ مَفْرِقٍ وَقَدَالِ^(٢)

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال :

بِسَابِقِ الْفَتْلِ فِيهِمْ كُلُّ حَادِثَةٍ فَإِنْ يُصْبِحُهُمْ مَوْتٌ وَلَا هَرَمٌ^(٣)

ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء .

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ وَجَحْلَتِهِ وَأَخْرَتْ إِنْفَاقَ مَا تَجْمَعَ
فَهَرَتْ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْفَقِيرُ وَمَا كَفْتَ تَعْذُّلُو الَّذِي تَصْنَعُ

(١) من مدحه لعلي بن أبى داود بن عامر الأنطاكي (الديوان ٣١١/٢)

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد هزيمة الغرمية (الديوان ١٤١/٣)

في الأصل كم صارم عصب أناف على قفا . يقول هذا الصارم سبق إلى هذا الفقير الشيب فسلبه رأسه وأتم دماغه الذي هو وطن العقل .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة وقد انتصر على الروم

مطلعها :

عَقَى الْبَيْنَ عَلَى عَقَى الْوَغْنِ نَدَمْ مَاذَا يُزِيدُكَ فِي إِؤْدَامِكَ الْقَسْم

(الديوان ١٨٣/٤)

أخذه أبو الطيب للقذبي فقال:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر^(١)

ارضرب الناصع صمه الملح :

وهو أن يكون المانع عاماً فيجعل خاصاً، أو خاصاً فيجعل عاماً، وهو من المعرفات التي يسامح صاحبها.

فمن ذلك قول الأخطل:

لَا نَهَى عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلُه عَزِيزٌ عَلَيْكِ إِذَا فَمَتَ عَظِيمٌ^(٢)

أخذه أبو تمام فقال.

اللوم من بخلت يداه وأغتندي لابخل زربا ساء ذاك صنيعا^(٣)

وهذا من العام الذي جعل خاصاً، لا ترى أن الأول نهى عن الإتيان بما ينتمي عنه مطلقاً، وجاء بالخلق منكراً في قوله شائعاً في بابه، وأما أبو تمام فإنه خصص ذلك بالبخل، وهو خلق واحد من جملة الأخلاق.

(١) من مدحه لعلي بن أبى بن عامر الأنطاكي، ومطلع القصيدة:

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيداً وما قولي كذلك ومعنى الصبر

(الديوان ٢٠٥/٢)

(٢) ويروى لأبي الأسود الدؤلي ويروى للمتوكل المأثير وقد أكد ذلك الأمدي في المؤتلف والمخالف ١٧٩ والمرزباني في معجم الأدباء ٤١٠

(٣) النص بالديوان صفحة ٢٨٦ مكتداً:

اللوم من بخلت يداه وأغتندي في تالدي للسائلين مطاعماً آبي فأعصى الماذلين وأغتندي لابخل زربا ساء ذاك صنيعاً

وأما جمل الخاصل عاما فـكـفـول أـلـيـ تمام :
 ولو حـارـدـتـ شـوـلـ عـدـرـتـ إـقـاحـهـا
 وـلـكـنـ مـعـنـتـ الدـرـ وـلـخـرـسـعـ حـافـلـ^(١)

أخذه أبو الطيب المتنبي بجمله عاماً إذا يقول :
 وما يُؤْلِمُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفَ حَارِمٌ
 كَا يُؤْلِمُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفَ رَازِقٌ^(٢)

الضرب العاشر من المفع :

وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى ، وذاك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له
 مثلاً بوضوح .

فما جاء منه قول أـلـيـ تمام :

هـوـ الصـنـعـ إـنـ يـغـيـلـ فـنـفـعـ وـإـنـ يـرـثـ فـلـلـرـيـثـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاطـنـ أـنـفـعـ^(٣)

(١) من قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات
 (الديوان ٣/١٢٩)

أـلـيـ أـنـ مـطـلـكـ دـامـ وـطـالـ مـعـ طـولـ أـمـلـ فـيـكـ ،ـ وـلـوـ كـانـ ذـلـكـ لـإـعـواـزـكـ لـعـذـرـتـكـ ،ـ وـلـكـنـ
 حـرـمـتـيـ وـمـالـكـ كـثـيرـ ،ـ وـعـطـاؤـكـ كـمـكـنـ .

حـارـدـتـ :ـ قـلـ لـبـنـهـاـ .ـ الشـوـلـ :ـ النـوـقـ الـقـلـيـلـاتـ الـلـبـنـ ،ـ جـمـ شـائـلةـ .ـ حـافـلـ :ـ بـعـنـيلـ

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة بن حمدان مطلعها :

تـذـكـرـتـ مـاـبـينـ الـعـذـيـبـ وـبـارـقـ بـجـرـ عـوـالـيـنـاـ وـبـجـرـ السـوـابـقـ

(الديوان ٣/٧٧)

(٣) من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الشغري ، مطلعها :

أـمـاـ إـنـهـ لـوـلـاـ الـخـلـيـطـ الـمـوـدـعـ وـرـبـ عـفـاـ مـنـهـ مـصـيـفـ وـمـرـبـ

(الديوان ٣/٣١٩)

وـالـقـافـيـةـ بـالـدـيـوـانـ (ـأـسـرـعـ)ـ بـدـلـاـ مـنـ (ـأـنـفـعـ)

أخذه أبو الطوب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله :

ومن الخير بُطْءَ سَيِّدِكَ عَنِي أَمْرَأُ السَّخْبَرِ فِي الْمَسَيرِ الْجَهَامُ^(١)

وهذا من المتدع لامن المسروق ، وما أحسن ما آتى بهذا المعنى في المثال المناسب له .

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

قَدْ قَلَصْتُ شَفَقَاهُ مِنْ حَفْيِ ظَاهِيهِ فَخَيْلَ مِنْ شِدْدَةِ الْقَمَبِيسِ مُبْتَسِمًا^(٢)

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال :

وَجَاهَلَ مَدَهُ فِي جَهَلِهِ ضَرِّكِيْرَ حَتَّى أَتَهُ يَدُ فَرَاشَةَ وَقَمَ^(٣)
إِذَا رَأَيْتَ نَيْوَبَ الْأَيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظْفَنْ أَنَّ الْأَيْثَ مُبْتَسِمًا^(٤)

وما يدخل على هذا السلاط قول أبي تمام :

وَكَذَالِكَ لَمْ تُفْرِطْ كَابَةً عَاطِلَ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بَحَانِ^(٥)

(١) من قصيدة في مدح أبي الحسين علي بن أحد المرى الخراساني مطلعها :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو عارب لا ينام

(الديوان ٤/٢٨٦)

سيبك : عطائلك . الجمام : السحاب الذي لاماه فيه

(٢) من قصيده في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ٣/١٧٠) أى قد أبرزت شفاته أسناده من شدة الغضب

(٣) من قصيده في عتاب سيف الدولة التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(الديوان ٤/١٠٤) شيم : بارد . والبيت الثاني بالديوان (إذا نظرت) يد فراسة :
يد باطشة شديدة الأفتراس .

(٤) من قصيده في مدح المعتصم مطلعها :

آلت أمور الشرك شر مآل وأقر بعد تحفظ وصيال

(الديوان ٣/١٣٢)

أحده أبو عبادة البحتري فقال :

وقد زادها إفراط حُسْنٍ أصغارٍ عن المجد خَيْبَر
وَحُسْنٌ دَرَارِيُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تُرَى
(١) حَوْلَعَ فِي دَاجِنِ الْلَّيلِ عَيْمَبِ

فإنه أتي بالمعنى مضر وباله هذا المثال الذي أوضحه وزاده حسنا

الحضرب الخاري عشر صن السجع :

وهو انحدار الطريق واختلاف المقصد ، ومثاله أن يسلك الشاعران طريقاً
واحدة فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين، وهناك يتبعين فضل أحدهما على الآخر .

فما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثية بول الدين صديرين :

تَبَجُّدُ تَأْوِبَ طَارِقًا حَتَّى إِذَا قُلْنَا أَقَامَ الدَّهْرَ أَصْبَحَ رَاحِلًا
تَنْجَمَ شَاءَ إِنْ أَلَا يَطْلُمُهَا إِلَّا ارْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفُلَا
إِنَّ الْفَجُوْعَةَ بِالرِّياضِ نَوَافِرًا لَأَجَلٌ مِنْهَا بِالرِّياضِ ذَوَابِلًا
لَهْزِي عَلَى تَلَكَ الشَّوَاهِدِ فِيهَا لَوْ أَخْرَتْ حَتَّى تَكُونَ شَهَدَلًا
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُؤْمَهَ أَيْقَنْتَ أَنْ سِيكُونَ بَدْرًا كَامِلاً
قُلْ الْأَمْيَرَ وَإِنْ لَقِيتَ مُؤْقِرًا مِنْهُ بَرَبِّ الْحَادِهَاتِ حُلَّا حِلَّا
إِنْ تَرْزَ فِي طَرَقِ نَهَارٍ وَاحْدَهُ رَزَّ أَيْنَ هَاجَأَ تَوْنَةً وَبَلَابِلًا
فَالشَّقْلُ لَيْسَ مُضَاعِفًا لِمَطْهَيَةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهُمَا بازِلًا
لَا غَرَوَ إِنْ فَنَقَانَ هِنْ رِعْيَادِنَهُ لِقِيَا حَاماً لِلْبَرِّيَةَ آكِلًا

(١) من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان (الديوان ١/٥٠)
وبالديوان (خلائق أصغار) داج غيسب : مظلوم شديد الظلم .

إِنَّ الْأَشْاءَ إِذَا أَصَابَ مُشَدِّبٌ مِنْهُ أَنْهَلَهُ ذُرًّا وَأَثَّ أَسَافِلَهُ شَمَخَتْ خِلَالَكَ أَنْ يُوَاسِيَكَ امْرُؤٌ أَوْ أَنْ تَذَكَّرَ فَاسِيَّاً أَوْ غَافِلًا إِلَّا مَوَاعِظُ قَادِهَا لَكَ سَمَاحَةٌ إِسْجَاجٌ لَبَكَ سَامِعًا أَوْ قَائِلًا هَلْ بَكَلْفُ الْأَيْدِي بَهْرَ مُهْنَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ الْحَسَامُ الْقَاصِلُ؟^(١)

وَقَالَ أَبُو الطَّيْبِ فِي مَرْثِيَّةِ بَطْفَلِ صَدَفِيرِ :

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِي الْجَهَاشَةِ
وَإِنْ تَكْ طِفَلًا فَالْأُمَى لَيْسَ بِالْطِفَلِ
وَمِثْلُكَ لَا يُبَكِّنَ عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ
وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْفِرَاسَةِ وَالْأَصْلِ
أَكْسَتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رِمَاحِهِمْ
أَذَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَهُ الْبُخْلِ؟
بِمَوْلَدِهِمْ صَمَتُ الْلَّاسَانَ كَغَيْرِهِ
تُسَلِّمُهُمْ عَلْيَاوَهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ
عَزَّلَكَ سَيْفَ الدُّوَلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ
تَخُونُ الْمَنَاهَا عَمْدَهُ فِي سَلَبِلِهِ وَتَفْصِرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

(١) ليست القصيدة بديوانه بشرح التبريزى ولا بطبعه محمد جمال تأوب طارقا : رجم زائرا . شمائل : طباع . موقر : رزبن . حلائل : رزبن . أو سيد شجاع . وهم : جعل ضخم قوى ذلول . بازل : جعل بلغ التاسعة من عمر فاكتمل . فنان : المراد ولدان . الأشاء : صفار النخل . انهل . اعتدل وانتصب . أث : التف وكفر . إسجاع : سماحة . المهد : الشيف . الحسام القاصل : السيف القاتم .

بَنْفِسِي وَلِيَدُ عَادِ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ إِلَى بَنْرَأْمٍ لَا تُطَرَّقُ بِالْحَمْلِ
 بَدَأَ وَلَهُ وَعْدٌ السَّحَابَةِ بِالرَّوْيِ وَصَدٌ وَفِينَا غَلَّهُ الْبَلْدُ الْمَهْلُ
 وَقَدْ مَدَتِ الْخَيْلُ الْمِتَاقُ عَيْوَاهَا
 إِلَى وَقْتِ تَبَدِيلِ الرَّكَابِ مِنَ النَّعْلِ
 وَرَبِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى
 وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْفَرْوَسُ وَمَا نَفَلَ^(١)

فَتَأْمَلُ أَبْهَا النَّاظِمُ إِلَى مَا صَنَعَ هَذَانِ الشَّاعِرَانِ فِي هَذَا الْمَفْصِدِ الْوَاحِدِ
 وَكَيْفَ هَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي وَادِ مَنْهُ ، مَعَ اتْفَاقِهِمَا فِي بَعْضِ مَعَانِيهِمْ ؟

وَسَأَبِينُ لَكُمْ مَا اتَّفَقَا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَا ، وَأَذْكُرُ الْفَاضِلَ مِنَ الْمُفْضُولِ ،
 فَأَقُولُ : أَمَا الَّذِي اتَّفَقَا فِيهِ فَإِنَّ أَبَا تَمَّامَ قَالَ :

كَلْفٌ عَلَى الْمَلِكِ الشُّوْهُدِ فِيهِمَا لَوْ أَخْرَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا
 وَأَمَا أَبُو الطَّيْبِ فَإِنَّهُ قَالَ :

مَوْلَدُهُمْ صَمْتُ لِلسانِ كَفِيرِهِ وَلَكِنْ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطَقُ الْفَصْلِ

(١) من مرثية لأبي الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة (الديوان ٤/٢٠٩) وبالديوان (الخيالة والأصل) و (الألى من رماهم). الفراسة: الخيالة. الأعطاف: جم عطف وهو الجاذب. منطق الفصل: القول الصائب الحاسم. مصابهم: لاصباتهم. الشغل: الاهتمام بما عدا كسب النساء والhammad. عزاءك: تعز عزاءك، أو الزم عزاءك. به: الضمير يعود على العزاء. نصل: سيف. الرجل: جم راجل وهو الماشي. تطرق بالحمل: لا تخرج الولد من بطنهما. الروى: الرواء والروى. غلة: عطش. المحيل: الجديب. التخييل المتافق: السترام. الركاب: ما توضم فيه الرجل من السرج. ريم: أخفيف. جاشت: غلت وهاجت. الضروس: الشديدة العض.

فأى بالمعنى الذى أنى به أبو تمام ، وزاد عاشه بالصناعة اللغوية ، وهى المطابقة
في قوله صمت اللسان ومنطق الفصل .

وقال أبو قتام :

نجمان شاء الله إلا يطلاها إلا ارتداد الطرف حتى يأنلا

وقال أبو الطيب :

بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرُّوْيِّ وَصَدَّ وَفِيمَا غَلَّ الْبَلْدُ الْمُحَلُّ

فوافقه في المعنى وزاد عليه بقوله (وصد وفينا غلة البلد محل) لأنَّه بين
قدر حاجتهم إلى وجوده واتفاقهم بمحيااته .

وأما ما اختلفنا فيه فإن أبي الطيب أشعر فيه من أنى تمام أيضاً ، وذاك
أن معناه أمقن من معناه ، وموقفه أحكم من موقفه .

وربما أكابر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان
وقدمه ، لامع فضيلة القول وتقدمه ، وأبو تمام وإن كان أشعر عندي من
أبي الطيب فإن أبي الطيب أشعر منه في هذا الموضوع .
وبيان ذلك أنه قد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى .

وأما الذي اختلفنا فيه فإن أبي الطيب قال :

عِزَّاكَ سَيفَ الدُّولَةِ الْمُقْتَدِيِّ بِهِ فَإِنَّكَ تَصْلُّ شَدَادَ النَّصْلِ

وهذا البيت بمفرده خير من بيتي أبي تمام الذين هما :

أن تُرْزَقَ طرفَيْ نَهَارٍ وَاحِدٍ رِزْأَنْ هاجا لوعة وبلا بلا

فالشُّفْلُ لِيُسْ مُضاعِفًا لِمُطَهِّرٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهُنَّا بِأَزِلا
فَإِنْ قَوْلَ أَبِي الطَّيْبِ (وَالشَّدَادُ لِلذَّصْلِ) أَكْرَمَ لِفَظًا وَمَعْنَى مِنْ قَوْلِ
أَبِي تَمَامَ (إِنَّ الشُّفْلَ إِنَّمَا يُضَاعِفُ لِلْبَازِلَ مِنَ الْمَطَابِيَا) .

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

تَخُونُ الْمَنَاهَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَهُصِّرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

وَهَذَا أَمْرَفُ مِنْ بَيْتِي أَبِي تَمَامَ الَّذِينَ هُمْ :

لَا غَرَّوْ إِنْ فَنَانَ مِنْ عِيْدَانَهُ لَقِيَا حِجَاماً لِلْبَرِّيَّةِ آ كَلَا
إِنَّ الْأَشَاءِ إِذَا أَصَابَ مُشَذِّبَهُ مِنْهُ أَنْهَمَلَ دُرَّاً وَأَثَّ أَسَافِلَا

وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الطَّيْبُ :

أَلْسَتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رِمَاحِهِمْ

نَدَاهُمْ وَمِنْ قَقَّالَاهُمْ مُهْبِجَةُ الْبُخْلِ
قُسْلَلِيهِمْ عَلْيَاهُمْ عَنْ مَصَابِهِمْ وَيَشْغُلُهُمْ كَثَبُ النَّاءِ عَنِ الشُّفْلِ

وَهَذَانِ الْوِيقَانِ خَيْرُ مِنْ بَيْتِي أَبِي تَمَامَ الَّذِينَ هُمْ :

شَمَّخَتْ خِلَالَكَ أَنْ يُواسِيَكَ امْرُقَ
أَوْ أَنْ تُذَكَّرَ نَاسِيَّاً أَوْ غَافِلًا
إِلَّا مَوَاعِظَ قَادِهَا لَكَ سَمَحَهُ إِسْجَاجُ لَبَّكَ سَامِعًا أَوْ قَاتِلًا

وَاعْلَمُ أَنَّ التَّفْضِيلَ بَيْنَ الْمَعْنَوَيْنِ الْمَقْتَدِيَيْنِ أَبْسَرَ خَطْبَهَا مِنَ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْمَعْنَوَيْنِ

الْمُخْتَلِفَيْنِ .

وقد ذهب قوم إلى مذهب المماضلة بين المعنيين المختلفين ، واحتجوا على ذلك
بأن قالوا : المماضلة بين الكلامين لا تكون إلا باشتراكهما في المعنى ، فإن
اعتبار التأليف في نظم الألفاظ لا يكون إلا باعتبار المعانى المدرجة تحتها ،
فالم يمكن بين الكلامين اشتراك فى المعنى فإنه لا يعلم موافق النظم فى قوله ذلك
المعنى أو ضعفه وإنما ذلك الافتراض أو اصطرابه ، وإلا فكل كلام له تأليف
يخصه حسب المعنى المدرج تحته ، وهذا مثل قولنا : العسل أخل من الخل ،
 فإنه ليس في الخل حلاوة حتى تفاس حلاوة العسل عليها .

وهذا القول فاسد ، فإنه لو كان ما ذهب إليه هو لاء من مذهب المماضلة
حقاً لو جَبَ أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورديه وحسنه وقيمه ،
وهذا محل .

وإذا خفي عليهم ذلك لأهم لم ينظروا إلى الأصل الذي تقع المماضلة فيه ،
سواء اتفقت المعانى أو اختلفت ، ومن هنا وقع لهم الغلط .

وسأبين ذلك فأقول : من المعلوم أن الكلام لا يختص بعزيزه من الحسن
حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة ، فثبتت بهذا أن النظر
إما هو في هذين الوصفين اللذين هما الأصل في المماضلة بين الألفاظ والمعانى على
اتفاقهما واختلافهما ، فمتي وجدَا في أحد الكلامين دون الآخر ، أو كاما أخص
به من الآخر ، حُكِّمَ له بالفضل .

وقرأت في كتاب الأغانى لأبي الفرج في تفضيل الشعر أشياء تتضمن خبطاً
كثيراً ، وهو مرءوى عن علماء العربية ، لكن قد رأته في ذلك ، فإن معرفة
الفصاحة والبلاغة شىء خلاف معرفة النحو والإعراب .

فَمَا وَقْتَ عَلَيْهِ أَنْهُ سَئَلَ أَبُو عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءَ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ : لَوْ أَدْرَكْ
يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا (١) .

وَهَذَا تَفْضِيلٌ بِالْأَعْصَارِ لَا بِالْأَشْعَارِ ، وَفِيهِ مَا فِيهِ ، وَلَوْلَا أَنْ أَمَا عَمْرُو عَنْهُ
بِالْمَكَانِ الْعَلَى لَبَسَطَ اسْنَانِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَسَئَلَ جَرِيرٌ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْفَرَزْدَقِ وَالْأَخْطَلِ فَقَالَ : أَمَا الْفَرَزْدَقُ فَنِي يَدْهُ
نَبْعَدَهُ مِنَ الشِّعْرِ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا ، وَأَمَا الْأَخْطَلُ فَأَشَدَّنَا اجْتِرَاءً ، وَأَرْمَانَا
الْفَرَائِصَ (٢) ، وَأَمَا أَنَا فَمَدِينَةُ الشِّعْرِ .

وَهَذَا القَوْلُ فِي التَّفْضِيلِ قَوْلٌ إِقْنَاعِيٌّ (٣) لَا يُحْصَلُ مِنْهُ عَلَى تَحْقِيقٍ ، لَكِنْهُ
أَفْرَبُ حَالًا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي عَمْرُو بْنِ الْعَلَاءِ .

وَسَئَلَ الْأَخْطَلُ عَنِ أَشْعُرِ النَّاسِ فَقَالَ : الَّذِي إِذَا مَدَحَ رَفِعَ ، وَإِذَا هَبَّا
وَضَمَّ ، فَقَيْلَ فِيمَنْ ذَاكُ ؟ قَالَ : الْأَعْشَى . قَوْلٌ : نَّمِ مَنْ ؟ قَالَ طَرَّافَةُ .

وَهَذَا قَوْلٌ فِيهِ بَعْضُ التَّحْقِيقِ ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَفِعَ بِمَدْحِهِ وَوَضَمَّ بِهِجَاؤِهِ
كَانَ أَشْعُرَ النَّاسِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى الْشِّعْرِيَّةُ كَثِيرَةٌ وَالْمَدْحُ وَالْهَبَّانُ مِنْهَا .

وَسَئَلَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ عَنْ أَبِي تَامَّ وَعَنِ الْبَحْتَرِيِّ وَعَنْ أَبِي الطَّيْبِ ،
فَقَالَ : أَمَا أَبُو تَامَّ خَطَّابٌ مِنْهُ ، وَأَمَا الْبَحْتَرِيُّ فَوَاصِفٌ جُؤُذَرَ (٤) ، وَأَمَا الْمَقْنَى
فَقَاتِلٌ عَسْكَرٌ .

(١) الأغاني ١٦٣/٧ وفيه تفضيل له على معاصريه

(٢) الفرائص : جمجمة فريضة وهي الاتجاهة بين الجنب والكتف ، والمراد المقاتل . وكانت
بالأصل (القرائض) ولعلها الفرائص كما رجعنا ، أو القرىض يعني الشعر

(٣) يربد أنه كلام خطابي لا دليل عليه .

(٤) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والمراد أنه صاحب غزل

وَهَذَا كَلَامٌ جَسْنٌ وَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ ، فَإِنَّهُ ، وَصَفَ كُلَّاً مِنْهُمْ بِمَا فِيهِ مِنْ
غَيْرِ تَفْضِيلٍ .

وَيَرَوْيُ عَنْ بَشَارَ أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِجُودَةِ الشِّعْرِ وَالْتَّقْدِيمِ عَلَى غَيْرِهِ فَقَبِيلُهُ لِهُ :
وَلَمْ ذَاكْ ؟ فَقَالَ : لَأَنِّي نَظَمْتُ أَثْنَيْ عَشْرَ أَلْفَ قَصِيدَةً وَمَا تَخْلُوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ مِنْ
بَيْتٍ وَاحِدٍ جَيِّدٍ ، فَيُكَوِّنُ لِي حِينَئِذٍ اثْنَا عَشْرَ أَلْفَ بَيْتٍ .

وَقَدْ تَأْمَلَتْ هَذَا الْقَوْلُ فَوْجَدَتْهُ عَلَى بَشَارِ لَاهِ ، لَأَنَّ بَاقِلًا الَّذِي يُضَرِّبُ بِهِ
الْمَثَلُ فِي الْعِيْنِ لَوْ نَظَمَ قَصِيدَاً لِمَا خَلَا مِنْ بَيْتٍ وَاحِدٍ جَيِّدٍ ، وَمِنْ الَّذِي يَنْظَمُ
قَصِيدَاً وَاحِدَا مِنَ الشِّعْرِ وَلَا يَسْلِمُ لَهُ مِنْهُ بَيْتٍ وَاحِدٍ ؟
لَكِنَّ كَانَ الْأُولَى بِبَشَارِ أَنَّهُ قَالَ : لِي اثْنَا عَشْرَ أَلْفَ قَصِيدَةً لَيْسَ وَاحِدَةٌ
مِنْهُنَّ إِلَّا وَجَيَّدَهَا أَكْثَرُ مِنْ رَدِّهَا ، وَلَيْسَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَا يَسْقُطُ ، فَإِنَّهُ
لَوْ قَالَ ذَاكَ وَكَانَ مُحِيقاً لِاسْتِحْقَاقِ التَّقْدِيمِ عَلَى الشِّعْرَاءِ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ وَصَلَ إِلَىْ
مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ شِعْرٍ مُفْصَدَأً وَمُفْقَطَماً ، فَمَا وَجَدَهُ بِتَالِكَ الْغَايَةُ الَّتِي ادْعَاهَا ،
لَكِنَّ وَجَدَتْ جَيِّدَهُ قَلِيلًا مَا الْنَّسْبَةُ إِلَى رَدِّهِ ، وَتَنَدرُ^(١) لِهِ الْأُبَيَّاتُ الْيَسِيرَةُ .

وَبِلِفْنِي عَنِ الْأَصْحَى وَأَبْيَى عَبِيدَةَ وَغَيْرَهَا أَنْهُمْ قَالُوا : هُوَ أَشْعَرُ الشِّعْرَاءِ
الْمَحْدُوبِينَ قَاطِبَةً ، وَهُمْ عِنْدِي مَعْذُورُونَ ، لَأَنَّهُمْ مَا وَفَفُوا عَلَىْ مَعْنَى أَبْيَى تَعَامَ ،
وَلَا عَلَىْ مَعْنَى أَبْيَى الطَّيْبِ ، وَلَا وَقَفُوا عَلَىْ دِيَمَاجَةِ أَبْيَى عِبَادَةِ الْبَحْرِيِّ .

وَهَذَا الْوَضْعُ لَا يُسْتَفَتِي فِيهِ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ وَإِنَّهُ يُسْتَفَتِي فِيهِ كَاتِبٌ بِلِفْنِي أَوْ شَاعِرٌ
مُفْلِقٌ ، فَإِنَّ أَهْلَ كُلِّ عِلْمٍ أَعْلَمُ بِهِ . وَكَذَا لَا يُسْأَلُ الْفَقِيهُ عَنْ مَسَأَةِ حَسَابِيَّةٍ فَكَذَا
لَا يُسْأَلُ الْحَاسِبُ عَنْ مَسَأَةِ نَقْمِيَّةٍ ، وَكَمَا لَا يُسْأَلُ أَيْضًا النَّحْوِيُّ عَنْ مَسَأَةِ طَبِيَّةٍ ،

(١) تَنَدرُ : هَذَا بَعْنَى تَظَاهِرُ وَتَشَهَّرُ مِنَ النَّدُورِ لَا مِنَ النَّدْرَةِ

فَكَذَلِكَ لَا يَسْأَلُ الطَّبِيبُ عَنْ مَسَأَةٍ نَحْوِيَةٍ . وَلَا يَعْلَمُ كُلُّ عِلْمٍ إِلَّا صَاحِبُهُ الَّذِي
قَلْبُ ظُهُورِهِ لِبَطْنِهِ وَبِطْنُهِ اَظْهَرَهُ .

عَلَى أَنْ عَلِمَ الْبَيَانُ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ مَحْبُوبٌ إِلَى النَّاسِ قَاطِبَةً ، وَمَا مِنْ
أَحَدٍ إِلَّا وَيُحِبُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهِ ، حَتَّى إِنِّي رَأَيْتُ أَجْلَافَ الْعَامَةِ مِنْ لَمْ يَنْخُطْ بِيَدِهِ ،
وَرَأَيْتُ أَغْتَامَ^(١) الْأَجْنَاسِ مِنْ لَا يَنْطَقُ بِالْكَلْمَةِ حَوْيَةً ، كُلُّهُمْ يَنْخُوضُ فِي فَنِ
الْكِتَابَةِ وَالشِّعْرِ ، وَيَأْتُونَ ذِيَّهُ بِكُلِّ مُضْرِبِهِ ، وَهُمْ يَظَانُونَ أَنَّهُمْ عَالَمُونَ بِهِ ،
وَلَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بِلَغْنِي عَنْ أَبْنَى الْأَعْرَابِ^(٢) — وَكَانَ مِنْ مُشَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ —
أَنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِ أَرْجُوزَةَ أَبْنَى تَمَامَ الْلَّامِيَةِ الَّتِي مَطَالِعُهَا :

(وَعَادِلٌ عَذْلُتُهُ فِي عَذْلِهِ)

وَقَبِيلُهُ هَذِهِ لِفْلَانُ مِنْ شُعُراءِ الْعَرَبِ ، فَاسْتَحْسَنَهَا غَایَةُ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَقَالَ :

هَذَا هُوَ الدِّيَاجُ الْخَسِرُ وَأَنِي^(٣) ، ثُمَّ اسْتَكَبَّهُ ، فَلَمَّا أَنْهَاهَا قِيلَ لَهُ :
هَذِهِ لَأَبِي تَمَامَ ، فَقَالَ :

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرَى عَلَيْهَا أُنْزِرَ الْكُلْفَةَ . ثُمَّ أَقْتَلَ الْوَرَقةَ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ :
يَا غَلَامُ خَرَقْ خَرَقْ^(٤) .

(١) الأَغْتَامُ : مِنْ لَا يَفْصِحُ شَيْئًا ، جُمِعَهُ عَثْمٌ عَلَى وَزْنِ قَلْ .

(٢) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ أُمَّةِ الْلِّغَةِ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ رَبِيبًا لِلْمُفْضَلِ
الْفَيِّ وَسَمِعَ هَذِهِ الْدُّوَوَيْنَ وَصَحَّحَهُمَا ، وَكَانَ مِنْ أَحْفَظِ النَّاسِ لِلْلِّغَةِ وَالْأَسَابِ ، تَوَفَّ سَنَةُ ٦٢٣١
(الفهرست ٦٩ وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/٤٩٢)

(٣) الْدِيَاجُ الْخَسِرُ وَأَنِي . الْمَرِيرُ الْفَارَسِيُّ الْفَاضِلُ

(٤) فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٤٤ أَنَّ أَبْنَى الْأَعْرَابِيَّ كَانَ يَأْمُرُ بِكِتَابَةِ جَمِيعِ مَا يَحْرُى فِي جَلْسَهِ .
فَأَنْشَدَهُ رَجُلٌ يَوْمًا أَرْجُوزَةَ أَبِي تَمَامَ فِي وَصْفِ السَّحَابَ ، عَلَى أَنَّهَا لِبَعْضِ الْعَرَبِ .
سَارِيَةٌ لَمْ تَكْتُمْ بِغَمْضٍ كَدَرَاءُ ذَاتِ هَطْلَانٍ مَحْضٍ

فإذا كان ابن الأعرابي مع علمه وفضله لا يكدرى أى طرف فيه أطول في هذا الفن ، ولا يعلم أين يضع يده فيه ، ويبلغ به الجهل إلى أن يقف مع التقليد الشنيع الذي هذا غايته ، فما الذي يقول غيره ؟ وما الذي يتسلّم فيه سواه ؟

والمذهب عندي في تفصيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولاً وآخراً ، ومن وقف على الأشعار ، ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ، علم ما أشرت إليه .

ولا ينبغي أن يُوقَفَ مع شعر امرئ القيس وزهير والذابحة والأعشى ، فإن كلا من أولئك أجاد في معنى أخص به ، حتى قيل في وصفهم : امرئ القيس إذا ركب ، والذابحة إذا رَهِب ، وزهير إذا رَغِب ، والأعشى إذا شَرِب .

وأما الفرزدق وجرير والأخطل فإنهما أجادوا في كل ما أتوا به من للعاني المختلفة ، وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرة ، وهم أبو تمام وأبو عبادة البحترى وأبو الطيب المتنبي^(١) ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يدائيم مدان في طبقة الشعراء .

أما أبو تمام وأبو الطيب فربما المعانى ، وأما أبو عبادة فربما الألفاظ في ديباجتها وسبّكتها . وبلغى أن أبا عبادة البحترى سأله ولده أبا الغوث عن الفرزدق وجرير أيهما أشعر ، فقال : جرير أشعر . قال : وبم ذلك ؟

.....

=

قال ابن الأعرابي . أكتبواها . فلما كتبواها قيل له : إنها لحبيب بن أوس ، قال : خرق خرق ، لا جرم أن أثر الصنعة فيها بين .

(١) لقد قال منه بضعة أسطر إن الفرزدق وجرير والأخطل هم أشعر العرب أولاً وآخراً . وهذا هو ما يقول إن أبو تمام والبحترى والمتنبي أشعر منهم ، فكيف ذلك .

قال : لأن حَوْكَه شَبِيه بَحْرِ كَانٍ^(١) . قال ثَلَاثَةُكْ أَمْك ، أَوْفِي الْحَكْم
عَصْبِيَّة ؟ قال يَا أَبْت فَمِنْ أَشْعَر ؟ قال : الْفَرْزَدْق . قال : وَبِمِذَاك ؟ قال :
لأن أَهْاجِي جَرِيرَ كَلْمَةً تَدُورُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءِ هِيَ : الْقَيْن ، وَالزَّنَّا ، وَضَرَبَ
الرُّومِي بالسَّيف ، وَالنَّفَقَ مِنَ السَّجْدَة ، وَلَا يَهْجُو الْفَرْزَدْق بِسُوَى ذَلِك .
وَأَمَّا الْفَرْزَدْق فَإِنَّه يَهْجُو جَرِيرًا بِأَحْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَفِي كُلِّ قَصْيدَةٍ يَرْمِيه بِسَمَامَ غَيْرِ
السَّامِ الَّتِي يَرْمِيه بِهَا فِي الْقَصْيدَةِ الْآخِرَة^(٢) . وَأَنَا أَسْتَكْذِبُ رَاوِيَ هَذِهِ الْحَكَائِيَّةِ ،
وَلَا أَصْدِقُهُ ، فَإِنَّ الْبَحْتَرِيَ عَنْدَهُ أَلْبَرٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ عَارِفٌ بِأَسْرَارِ الْكَلَامِ ،
خَبِيرٌ بِأَوْسَاطِهِ وَأَطْرَافِهِ وَجِيدُهُ وَرَدِيَّهُ ، وَكَيْفَ يَدْعُ عَلَى جَرِيرٍ أَنَّه لَمْ يَجِدْ
الْفَرْزَدْق إِلَّا بِتَلَكَ الْمَعْانِي الْأَرْبَعَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، وَهُوَ القَائِلُ :

لَمْ أَوْضَعْتُ هُنْيَ الْفَرْزَدْق مِيلَسِمِي وَعَلَى الْبَعِيشِ جَرَأْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ^(٣)

فَجَمِعَ بَيْنَ هَبَاءِ هُولَاءِ الْثَّلَاثَةِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ .

وَلَقَدْ تَأْمَلَتْ كِتابَ النَّقَائِضِ فَوُجِدَتْ جَرِيرًا رَبَّ تَعَزُّلٍ وَمَدِيجٍ وَهَبَاءٍ
وَأَنْتَخَارٍ ، وَقَدْ كَسَّا كُلَّ مَعْنَى مِنْ هَذِهِ الْمَعْانِي أَلْفَاظًا لَامِقةً بِهِ . وَيَكْفِيهِ مِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَعَادِ عَوَّى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَزَّيْتُهُ
بِقَارِعَةِ أَنْفَادِهَا تَتَنَظَّرُ الدَّمَّا
وَإِنِّي لَقَوْا إِلَّا لِكُلِّ غَرَبَيْتُهُ
وَرَوْدٌ إِذَا الْسَّارِي بِلَيْلٍ تَرَنَّمَا
خَرُوجٌ بِأَفْوَاهِ الرُّؤَاةِ كَأَهْمَا

(١) يُرْبِطُ أَسْلُوبَهُ وَتَعْبِيرَهُ .

(٢) فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٢٤ ذَكَرَ لَهُذَا التَّفَضِيلِ مُوجَزٌ

(٣) الْدِيوَانُ ٤٤٣ .

غرايْبُ الْأَلْفِ إِذَا حَانَ وِرْدُهَا أَخْدُنَ طَرِيقًا لِّتَصَائِدِ مُهْلِمًا^(١)

ولو لم يكن جرير سوى هذه الأبيات لتقدم بها الشعراء ، وصادف من هجائه لفرزدق ما ليس فيه شيء من تلك المعاني الأربع التي أشار إليها ، فمن ذلك قوله :

وقد زعموا أن الفرزدق حية وما قتَلَ الحياتِ من أحدٍ قُبْلِيَ
الم تَرَانِي لَا تُبَلِّي رَمِيَّتي فَمَنْ أَرِمَ لَا تُحْكِطِي مَقَاتَلَهُ تَبْلِي
رَأْيُكَ لَا تَخْمِي عِقاًلاً وَلَمْ تُرِدْ قَاتِلَاتِهِ لَا تَقْتَلِي^(٢)
وقوله :

أَبَاغَ هَدِيَّتِي الفَرَزَدَقَ إِمَاهَا عَبْءَ بُزَادٍ عَلَى حَسِيرٍ مُشَقَّلٍ
لَمْيَ انصَبَبْتُ مِنَ السَّهَاءِ عَلَيْكُمْ
حقَ اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزَدَقُ مِنْ عَلِ^(٣)

(١) كان بالأصل (بقافية أناذاها يقطار الدما) و (جروخ بأفواه الرواف) و (هر صمعها) . وبالديوان (قرأ . هندواني) الديوان ٤٤٤ أناذاها : أقطارها . ورود : كثيرة الورود يرى أنه قصائد هندوينة الديوع . خروج بأفواه الرواة : ذاتية على ألسنتهم لا يستطيعون كتمانها . شبا هندواني : حد سيف . صمم : قطم وأصاب المفصل . معهم : معلوم معروف

(٢) من هجائه للبيت والفرزدق (الديوان ٤٦٤) وترتيب الأبيات في الديوان أن الثالث هو الثاني ، وبين الأول والثاني ثلاثة أبيات ، وبين الثاني والثالث ستة أبيات . وبالأسأل (لا أبل رمي) فأصلاحناها من الديوان .

لاتبل رمي : لا ينجو من رمي ولا يشفى . العقال : القلوص الفتية والمراد المرأة

(٣) من هجائه لفرزدق (الديوان ٤٤٤ ، ٤٤٨) والبيت الثاني هنا قبل الأول في الديوان . وفي الديوان (عبء بزاد) حسبر : كليل مجده

وقوله :

زَهَمَ الفَرْزَدقُ أَنْ سَيِّدَةَ قُلُّ مِرَبَّعَ
وَرَأَيْتُكَ تَقْتَلَ يَا فَرْزَدقُ قَصْرَتْ
إِنَّ الفَرْزَدقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوْمَهُ
حِيثُ التَّقَتْ حُشَّشَاؤُهُ وَالْأَخْدَعُ^(١)

وقوله :

أَحَارَثُ خَذْهُ مَنْ شَاءَتْ مِنَّا وَمِنْهُمْ
طَبَّسْتُ سِلاْحِي وَالْفَرْزَدقُ أُعْبَهُ
وَنَسْتَ بِذِي عِزٍّ وَلَا ذِي أَرْوَاهُ^(٢)

وقوله :

لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنْ مُجَاشِعًا
لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخُورَةِ طَارُوا

(١) من هجائه للفرزدق (الديوان ٣٤٨ ، ٣٥١) والبيت الثاني هنا موضعه بالديوان بعد أبيات من الثاني . مربم : لقب لراوية جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقتله . الحششاء : العظم الثاني خلف الأذن . الأخدع : عرق في صفحة العنق . وبالديوان (ووجدت قوسك) صفرع : مد .

(٢) من هجائه للفرزدق (الديوان ٤٨٥) بالأصل (فضائله) والأبيات بالديوان حكنا ، مع تباعد ما بينها :

لَيْسَ أَدَائِي وَالْفَرْزَدقُ لَعْبَهُ
أَحَارَثُ خَذْهُ
وَنَسْتَ بِذِي دَرَءٍ وَلَا ذِي أَرْوَاهُ
كَرْجٌ : الْكَرْجُ الْمَهْرُ وَالْكَرْجُ الْمَخْنُ . الْجَلَاجِلُ : جمع جلجل وهو الجرس الصغير .

قَدْ يُؤْمِنُونَ فَلَا يُفْكِرُ أَصْرُهُمْ وَيُقْتَلُونَ فَتَسْلِمُ الْأُوتَارُ^(١)

وقوله :

بَنِي مَالِكٍ إِنَّ الْفَرِزَدَقَ لَمْ يَرِزَلْ
يُلْقَى الْخَازِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَيْفَعَا
مَدَدْتُ لَهُ الْفَيَاتِ حَتَّى تَرَكَهُ
قَوْدَ الْقَوَافِرِ ذَا عَلُوبٍ مَوْفَعَا^(٢)

وقوله :

أَلَا إِنَّمَا كَانَ الْفَرِزَدَقُ كَفَلْبَسَا
ضَعَفَا وَهُوَ فِي أَشْدَاقِ كَلْبِ ضَبَارِم^(٣)

وقوله :

مَهْلَا فَرِزَدَقُ إِنَّ قَوْمَكَ فِيهِمْ خَوَرُ الْقُلُوبِ وَخِفَةُ الْأَنْلَامِ
الظَّاهِرُونَ عَلَى الْعَمَى بِجَمِيعِهِمْ وَالظَّاهِلُونَ بِشَرِّ دَارِ مُقَامِ^(٤)

(١) من رثائه لزوجته (الديوان ٢٠٧) كان بالأصل (فتسلم الآثار) وبالديوان (فلا يفك)

(٢) من هجائه للفرزدق (الديوان ٣٣٤) كان بالأصل (أن تيفعا) والبيان بالديوان هكذا :

بنِي مَالِكٍ إِنَّ الْفَرِزَدَقَ لَمْ يَرِزَلْ فَلُو الْخَازِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَيْفَعَا
مَدَدْتُ لَهُ الْفَيَاتِ حَتَّى تَرَكَهُ جَرِيعُ الدَّنَابِيِّ فَإِنِّي أَسْنَ مَقْطَعًا
فَلُو الْخَازِي : رضيعها . ذُو عَلُوبٍ : المراد جروح . دَوْعَمٌ : هرمى من قرب أو مكرى
الدَّنَابِيِّ : المجز . مَقْطَعٌ : لا قدرة له على الضراب

(٣) (الديوان ٥٥٨) الضبارم : الأسد القوى الشديد . ضفافاً : صاح

(٤) هذان البيان كافٍ النقاوص بما هجا به جرير غسان بن ذهل السليمي ، ورواية
النقاوص للبيت الأول : (أَبْنَى أَدِيرَة إِنْ فِيكُمْ فَاعْلَمُوا) ولكنها في الديوان من هجاء جرير
لفرزدق (الديوان ٥٥٢).

وقوله :

إذا سَفَرْتَ يَوْمًا نَسَاءٌ مُجَاشِعٌ
بَدَأْتَ سَوَادَةً مَا تُحِبُّ الْرَّاقِعُ
مَبَاشِيمُ عَنْ غَبَّ الْخَزِيرِ كَأَنَّمَا تُصَوَّتُ فِي أَغْفَاجِهِنَّ لِلضَّفَادِعِ
رَأَتْ مَالِكُ نَبْلَ الْفَرْزَدِقَ قَصَرَتْ

عَنِ الْعُلُوِّ لَا يَأْبَى عَنِ الْعُلُوِّ بَارِعٌ
أَتَعْدِلُ أَحْسَابَا كَرَامَا حَاتَّهَا بِأَحْسَابِكُمْ أَنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ
إِذَا قِيلَ أَئِ النَّاسُ نَسَرٌ قَبْلَهُ^(١) وَأَعْظَمُ عَارِأْ قِيلَ : تَلَكَ مُجَاشِعُ^(١)

وقوله :

عَلِيقَ الْأَخْيَطَلُ فِي حِبَالِي بَعْدَمَا عَثَرَ الْفَرْزَدِقُ ، لَا كَمَا لَعَانِرِ
لَقِيَ الْفَرْزَدِقَ مَالِقِيتَ وَقَبْلَهُ طَاحَ الْبَعِيثُ بِغَيْرِ غَرِضٍ دَافِرٌ
وَإِذَا رَجَوْنَا أَنْ يَنْقُضُوا لِي مِرَّةً
مَرَّسَتْ قُوَّايِّ عَلَيْهِمْ وَمَرَّاُرِي^(٢)

وَلَجُورِيَّ مَوَاضِعُ كَثِيرَةٍ فِي هُجَاءِ الْفَرْزَدِقِ غَيْرُ هَذِهِ ، وَلَوْلَا خَوْفُ الإِطَالَةِ

(١) من هجائه لـ الفرزدق والبيت (الديوان ٤٦٢) وترتيبها هنا يخالف ترتيبها في الديوان . والبيت الأول بالديوان هكذا :

رَأَتْ مَالِكُ نَبْلَ الْفَرْزَدِقَ قَصَرَتْ عنِ الْمَجْدِ إِذْ لَا يَأْتِي الْغَلُو نَازِعٌ
وَكَانَ بِالْأَصْلِ (رَأَتْ مَلَامِيلَ) وَ (غَبَ الْهَرِيرَ)

نبْلَ الْفَرْزَدِقَ : شعره . لَا يَأْتِي : لا يقتصر . الْغَلُو : رفع اليدين بالسمم إلى أقصى غاية
مباشيم : متخفات . الْخَزِيرَ : حساء من دسم . الْأَعْنَاجَ : الأمعاء . بجاشم : قوم الفرزدق

(٢) من هجائه الأخطل (الديوان ٣٠٧)

كان بالأصل (التعيس) بدلاً من البيت . ورواية الديوان (لقى الأخطل ما لقيت)
و (أن ينقضوا مني قوي) لالله : لا انتعاش له من سقطته .

لاستهانة بها، جهينا .

ولو سلمتُ إلى البحترى ما زعم من أن جريراً ليس له في هجاء الفرزدق
إلا تلك المعانى الأربع لاعتراضت عليه بأنه قد أقر بجرير بالفضيلة .

وذاك أن الشاعر المفارق أو السكائب هو الذى إذا أخذ معنى واحداً
تصرف فيه بوجه التصرفات ، وأخرجه في ضروب الأسايب ، وكذلك فعل
جريرو ، فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالآفئتين كل غريبة ، وتصرف فيه تصرفاً
 مختلف الأنحاء ، فمن ذلك قوله :

**أَلَّهِي أَبَاكَ هُنَّ لِلْكَارِمِ وَالْمُسْلَمِ
كُلُّ الْكَتَائِفِ دَارِ تَفَاعُّ الْمِرْجِلِ** ^(١)

وقوله :

**وَجَدَ الْكَتَيْفُ ذَخِيرَةً فِي قَبْرِهِ وَالْكَلَيْفَانِ جُمِنَ وَالْمَشَارِ
يَبْكِي صَدَاهُ إِذَا تَصَدَّعَ مِرْجَلُهُ أَوْ إِنْ تَقْلَقَ بُرْمَةً أَعْشَارُ
قَالَ الْفَرْزَدقُ رَفِيْقِي أَكِيْـارِنَا**

قالت : وكيف ترجم الأكيار ^(٢) ؟

وقوله :

إِذَا آبَاؤُنَا وَأَبُوكَ عَدُوا أَبَانَ الْمُقْرِفَاتُ مِنَ الْعِرَابِ

(١) من هجائه للفرزدق (الديوان ٤٤٧) ارتفاع المرجل : إصلاحه ، لى الكتايف :
إصلاح الصباب لأن الكتيبة الضبة ، أو الكتيبة كلبتا الحداد يعبره في الحالين بالحدادة
(٢) من قصيدة في رثاء زوجته (الديوان ٢٠٢) بالأصل (الكتيف . والمشار)
وبالديوان (تلهم برمدة) الكتيف : الضبة وكلبتا الحداد . المشار : هو المنشار . تغلق بrama
أعشار : تكسير قدر أجزاء عشرة . الأكيار : جم كبير .

فَأَوْرَثَكَ الْعَلَةَ وَأُورَثُونِي رِبَاطَ الْخَيْلِ أَنْفِيَةَ الْقِبَابِ
وَسَيْفُ أَبِي الْفَرْزَدِ قَدْ عَلِمْتُهُ قَدْ دُومَ غَيْرُ ثَابِتِ النَّصَابِ^(١)

فَانظُرْ أَيْمَانَ الْوَاقِفِ عَلَى كِتَابِي هَذَا إِلَى هَذِهِ الْأَسَالِيبِ الَّتِي تَصْرِفُ فِيهَا
جَرِيرُ وَأَدَارُهَا عَلَى هَجَاءِ الْفَرْزَدِ بِالْقَيْنِ، فَقَالَ أَوْلًا : إِنَّ أَبَاهُ شَغَلَ عَنِ الْمَكَارِمِ
بِصَنَاعَةِ الْقَيْوَنِ، ثُمَّ قَالَ ثَانِيَّا : إِنَّهُ يَبْكِي عَلَيْهِ وَيَنْدَبُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ الْمِرْجَلُ وَالْبُرْزَمَةُ
الْأَعْشَارُ الَّتِي يَصْلَحُهُمَا، ثُمَّ قَالَ ثَالِثًا : إِنَّ أَمَاهُ أَوْرَثَكَ آلةَ الْقَيْوَنِ، وَأَوْرَثَنِي
أَبِي رِبَاطِ الْخَيْلِ.

وَقَدْ أَوْرَدَ جَرِيرُ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَلَا حَاجَةٌ
إِلَى التَّطْوِيلِ بِذَلِكَ هَاهُنَا، وَهَذَا الْقَدْرُ فِيهِ كَفَايَةٌ.

وَحِيتَ اتَّهَى بِنَا القَوْلُ إِلَى هَاهُنَا فَلَمْ يَرْجِمْ إِلَى النَّوْعِ الَّذِي نَحْنُ بِهِ صَدَدْدَ ذَكْرَهُ،
وَهُوَ اتِّحَادُ الطَّرِيقِ وَالْخَتْلَافِ الْمَقْصِدِ، فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ النَّافِعَةِ :

إِذَا مَا خَرَّأَ بِالجَيْشِ حَلَقَ فَوَّهَ عَصَابَ طَيرَ تَهْرِيدِي بِعَصَابَ
جَوَانِحَ قَدْ أَكْيَنَ أَنْ قَبِيلَةَ

إِذَا مَا التَّقَى الْجَمَانَ أَوْلَى غَالِبِ

وَهَذَا الْمَعْنَى قَدْ تَوَارَدَ عَلَيْهِ الشِّعْرَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيمًا، وَأَوْرَدُوهُ بِضَرُوبِ
الْعَبَاراتِ.

(١) الْدِيْوَانُ ٢٧ ، ٢٩ - كَانَ بِالْأَصْلِ (جَدُوا بِأَنَّ الْمُفْرَقَاتِ مِنَ الْفَرَابِ) وَفِي
الْدِيْوَانِ (الْفَرْزَدِقِ) قَدْ عَلِمْتُمْ. الْمُفْرَقَاتُ : الْمُقْرَفُ وَالْمُقْرَفَةُ مِنَ الْفَرَسِ وَغَيْرُهُ مَا يَدْعُونَ الْمُجْنَةَ
أَيْ أَمَهُ هَرَبَيْةٌ لَا أَبُوهُ. أَبَانُ : اسْتِبَانُ. الْمَرَابُ : الْخَالِصَةُ الْمُرْوَبَةُ. الْعَلَةُ : السَّنْدَانُ.
الرِّبَاطُ : الْخَيْلُ أَوْ الْخَمْسُ مِنْهَا أَوِ الْمَكَانُ الْمَعْدُ لِلْمَرَابِطَةِ

(٢) (الْدِيْوَانُ ٤٣) مِنْ مَدْحُوَهِ لَعْمَرُو بْنِ الْمَارِثِ الْأَصْفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَعْرَجِ بْنِ
الْمَارِثِ الْأَكْبَرِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْفَسَانِيِّ حِينَ هَرَبَ إِلَى الشَّامِ وَنَزَلَ عَنْهُهُ. جَوَانِحُ : مَائِلَاتُ
اللَّوْقَعِ وَالْاتِّقْصَاصُ.

قال أبو نواس :

نَقْعَدُ الظَّاهِرَ عَزَّوَتِهِ رِفَةً بِاللَّاحِمِ مِنْ جُزُرِهِ^(١)

وقال مسلم بن الوليد :

فَهُنَّ يَتَبَعَّنَهُ فِي كُلِّ بُرْ تَحْلِ^(٢)

وقال أبي تمام :

وَقَدْ ظَلَّتْ أَهْنَاقُ أَعْلَامِهِ ضُحْىَ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّأْيَاتِ حَقِّ كَانَهَا
مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقْاتَلِ^(٣)

وقد ذكر هذا المعنى غير هؤلاء ، إلا أنهم جاءوا بشيء واحد لا تفاصيل
يبيّنون فيه ، إلا من جهة حسن السبك ، أو من جهة الإيجاز في النّفظ .
ولم أر أحداً أغرب في هذا المعنى فسلّك هذه الطريقة مع اختلاف مقصداته إليها
إلا مسلم بن الوليد فقال :

أَثْرَبْتَ أَرْوَاحَ الْعِدَا وَقُلُومَهَا خَوْذًا فَأَنْسُمُهَا إِلَيْكَ تَطِيرُ

(١) من قصيدة في مدح العباس بن عبيد الله (الديوان ٤، ٣١) وزهر الآداب ٤/١٣٤
رواية الديوان (تألق الطير فهوته) ومعنى تألقى تقصى . الجزر : جمجمة جوز وهو البعير
أو الناقة المحجزورة ، والمراد قتلى الحرب .

(٢) من قصيدة في مدح يزيد بن مزيد الشيباني (الديوان ١٢)

(٣) من قصيدة في مدح المعنصم والأفقيين (الديوان ٨٢) وفي الديوان (عقبان أهلاء)
شبه الأحلام بالعقبان ، وجعل عقبان للطير آلة لها لما اعتادت من أكل لحوم الأهداء . وفي
أخبار أبي تمام للصولي حدث عن هذا المعنى قال فيه الذي سبق إليه مسلم وأبو نواس ، وسبقاً لهم
جميعاً إليه النابغة ، ثم قال إن معنى النابغة من قول الأفوه الأودي الشاعر الماهلي :
فترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن سمار

(أخبار أبي تمام ١٦٤) ومثل هذا بالصناعتين ٢٢٥

لَوْ حَاكَمَتْكَ فِطَا أَبْنُوكَ بِذَخِيلِهَا شَهِدَتْ عَلَيْكَ ثَعَالِبُ وَأَسْوَرُ^(١)

فهذا من الملاييع البديم الذي فضل به مسلمٌ غيره في هذا المعنى .

وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سالك هذه الطرائق التي سلكها من تقدمه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصود الذي قصدوه ، فأغرب ، وأبدع ، وجاز الإحسان بحملته ، وصار كأنه يبتدع لهذا المعنى دون غيره .

فهابجاء منه قوله :

وَتَنْدَى أَئْمَمُ الطَّيْرِ عُزْمَ سِلاَحَةَ نَسُورُ الْمَلَأَ أَخْدَانُهَا وَالْقَشَاعِيمُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلَقَهُ بِفَيْرِ مَخَالِبِ وَقَدْ خَلَقَتْ أَمْيَادَهُ وَالْقَوَافِيمُ^(٢)

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال :

سَحَابٌ مِنْ الْعِقْبَانِ تَرْجُفُهُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَقَتْ سَقْنَاهَا صَوَارِيهُ^(٣)

وهذا معنى قد حوى طرف الإغراب والإعجاب .

(١) من قصيدة في مدح منصور بن يزيد (الديوان ٢٢٠) بالديوان (ملحمة وسور)
ذخيلها : ثعاليبها

(٢) من مدحه لسيف الدولة بقصيدة له التي مطلعها :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمِ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَسَكَارِمِ
(الديوان ٤/١٢٢) أَخْدَانُهَا وَالْقَشَاعِيمُ : صغارها وكبارها . القوائم : مقابر السيف
(٣) من قصيدة في مدح سيف الدولة (الديوان ٤/٥٥) ورواية الديوان (يزحف تحتها)

وقال في موضع آخر :

وَدِي لَجَبٍ لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَةٌ
بَنَاجٌ وَلَا الْوَحْشُ أُمَّارُ بَسَالِمٍ
تَمَرٌ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ دِيشِ الْقَشَاعِمِ
إِذَا ضَوَّفَهَا لَا فِي مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةٌ
(١) تَذَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

وهذا من إعجاز أبي الطيب المشهور ، ولو لم يكن له من الإحسان في شعره
إلا هذه الأبيات لاستحق بها فضيلة التقدم .

وما ينظام بهذا النوع مأثوره عليه أبو عبادة البختري وأبو الطيب المتنبي في
وصف الأسد ، وقصيدة تاما مشهورة ، فأول إحداهما :

(أَجِدْكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِى لِزِينَبَها)
وأول الأخرى (في الخد إن عَزَمَ الْخَلِيلُ رِحْيلًا).

أما البختري فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة في أبياته الرائية
التي أولها :

أَقَاطُمُ لَوْ شَهِيدَتِ بَيْطُنٌ خَبَتِيْ
وَقَدْ لَاقَ الْهَزَّرُ أَخَاكَ بِشَرَا^(٢)

وهذه الأبيات من النبط العالي الذي لم يأت أحد به مثله ، وكل الشعراء لم
تُسمِ قراناتهم إلى استخراج مَنْفَى ليس بذكر فيها ، ولو لا خوف الإطالة
لأوردتها بجملتها ، لكن الفرض إنما هو المفاضلة بين البختري وأبي الطيب

(١) من قصيده في مدح الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طفج (الديوان ٤ / ٣٠)

ذو لجب : ذو جلب ، يصف الجيش . القشاعم : النسور . البيض : جم جبضة وهي الخوذة .

(٢) من مقامات بديم الزمان الهمذاني : وأغلبظن أن بشرأ هذا شخص اخترعه البديم وأجرى على لسانه الأبيات .

فيها أوراده من المعانى في هذا الفصل المشار إليه .

فما جاء للباحثى من قصيدة :

وَمَا تَنْقِمُ الْحَسَادُ إِلَّا أَصَاهَ لَهِيكَ وَعَزْمًا أَرْبَحِيَا مَهْدَبًا
وَقَدْ جَرَبُوا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةَ
غَدَاءَ لِقَيْتَ الْلَّيْثَ وَاللَّيْثُ مُخْدِرَه
إِذَا شَاءَ غَادَى عَانَهُ أَوْغَدَأَ عَلَى
شَهِيدَتْ أَقْدَ أَنْصَافَتْهُ حِينَ تَنْبَرِي
فَلَمْ أَرْجِرْ غَامِينَ أَصْدَقَ مَنْكَا
هَزَبَرَأَ مَشَى يَبْغِي هَزَبَرَأَ وَأَغْلَبَأَ
أَدَلَّ بِشَغْبِ نَمْ هَالَّهَ صَوْلَهَ
فَأَلْجَمَ أَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَمَهَ
فَلَمْ يُغْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوكَ مَقْبِلَهَ
حَمْلَتَ عَلَيْهِ السِيفَ لَا عَزْمُكَ اِنْتَنَى
وَمَا جاء لأبي الطيب المتنبي في قصيدة :

أَمْفَرَ الْلَّيْثِ الْهَزَرِ بَسَوْطِهِ
لَمْ ادْخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْفُولَهُ
وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيرَهَ شَارِبًا
وَرَدَّ الفَرَاتَ زَئِرَهُ وَالنَّيلَهُ

(١) من قصيده في مدح عبد الله بن دينار ووصف مبارزته للأسد (الديوان ٥٥)
بالديوان (وماتنقم الحсад) و (يوم تنبري) . أربحى : الأربحى الواسع العناق . مخدر : ملازم الأجهزة .
غادى عانة : باكر قطيعا من حر الوحش . عقائل سرب : ظباء نفيسة . تقنص ربربا : افترس
قطيعا من بقر الوحش . مقضب : قاطم . ضرغامين : أسدين . النكس : الجبان . هزبر :
أسد . أغلب : ضخم العنق والأسد يوصف بذلك . أدل بشغب : انهسط بالهياج . أمضى
جنانا : أقوى قلبا .

مَتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يُسْ فِيلًا
 مَا قُوبَكَتْ عَيْنَاهُ الْأَظْفَنَةَ نَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولًا
 فِي وَخْدَةِ الرُّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
 يَطْأُ الْثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ زَيْوَرِ
 وَبَرَدٍ غُرْسَهُ إِلَى يَافُوخِيهِ
 قَصْرَتْ مُخَاوَةَ الْخُطَا فَكَانَهَا
 أَلْفَى فَرِيسَةً وَزُبْجَرَ دُونَهَا
 فَشَابَهَ الْقُرْبَانِ فِي إِقْدَامِهِ
 أَسَدٌ بَرِي عُضُوَّيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
 مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
 وَكَانَهَا غَرْبَتْهُ عَيْنَ فَادِئِي
 أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّرِيَّةِ قَارِئَ
 وَالْعَارُ مَهْضَاضُهُ وَلَيْسَ بِخَافِ
 خَذَلَهُ قَوْتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ
 سَمِيعُ أَبْنَ عَمِّهِ بِهِ وَبِحَانِهِ
 وَأَمْرُهُ مَا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ
 قَلَافُ الْفَى اتَّخَذَ الْجَرَاءَ خَلْلَهُ^(١)

(١) من قصيدة في مدح بدر بن عمارة لما خرج إلى أسد فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجمه عن بكرة افترسها بعد أن شبع وقتل، فتواب إلى كفل قوسه، فأخذ جله عن سل سيفه، فضربه بالسوط ففرغه في التراب، فأحاط به الجيش فقتله (الديوان ٤٣٤/٣)
 = بالديوان (وبربر دونها) و (فتشهـة الخلـان)

وَسَأْحِكْ بَيْنَ هَاتِينَ الْقُصُيدَتَيْنِ ، وَالَّذِي يَشَهِدُ بِهِ الْحَقُّ وَتَقْيِيَةُ الْعَصَبِيَّةِ
أَذْكُرُهُ ، وَهُوَ أَنْ مَعَانِي أَبِي الطَّيْبٍ أَكْثَرُ عَدْدًا ، وَأَسَدُّ مَقْصِدًا ، أَلَّا زَرِي
أَنَّ الْبَعْتَرِيَّ قدْ قَعَرَ مَجْمُوعَ قُصِيدَتِهِ عَلَى وَصْفِ شَجَاعَةِ الْمَدْوُحِ فِي تَشْبِيهٍ
بِالْأَسْدِ مَرَةً وَتَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ أُخْرَى ، وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ سَوْيَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا أَبُو الطَّيْبِ فَإِنَّهُ
أَنَّ بِذَلِكَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ وَهُوَ قَوْلُهُ :

أَمْغَرَّ الْيَثِ رَاهْزِبْرُ بَسْوَطَهُ لَمْ اَخْرَجَ الصَّارَمَ الْمَصْقُولَا ؟

ثُمَّ إِنَّهُ تَفَنَّنَ فِي ذِكْرِ الْأَسْدِ ، فَوَصَفَ صُورَتَهُ وَهِيَّةَهُ ، وَوَصَفَ أَحْوَالَهُ
فِي اِنْفَرَادِهِ فِي جَنْسِهِ ، وَفِي هِيَّةِ مَشِيهِ وَأَخْتِيَالِهِ ، وَوَصَفَ خَلْقَ بَخْلَهُ مَعَ شَجَاعَتِهِ ،
وَشَوْهَ الْمَدْوُحِ بِهِ فِي الشَّجَاعَةِ ، وَفَضَلَّهُ عَلَيْهِ بِالسَّخَاءِ ، ثُمَّ إِنَّهُ هَطَافٌ بَعْدَ ذَلِكَ
عَلَى ذِكْرِ الْأَنْفَةِ وَالْمَحِيَّةِ الَّتِي بَعَثَتِ الْأَسْدَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ بِلَقَاءَ الْمَدْوُحِ ، وَأَخْرَجَ ذَلِكَ
فِي أَحْسَنِ مُخْرَجٍ ، وَأَبْرَزَهُ فِي أَشْرَفِ مَعْنَىٰ .

وَإِذَا تَأْمَلَ الْمَعْرُوفُ بِهَذِهِ الصِّدَاعَةِ أَبْيَاتُ الرَّجُلَيْنِ عُرِفَ بِبَدِيهَةِ النَّظَرِ
مَا أَشْرَتَ إِلَيْهِ .

وَالْبَعْتَرِيُّ وَإِنَّ كَانَ أَفْضَلُ مِنْ الْقَنْبِيِّ فِي صَوْغِ الْأَفْاقَاظِ وَطَلَاؤِ السِّبَكِ ، فَالْقَنْبِيُّ
أَفْضَلُ مِنْهُ فِي الغُوصِ عَلَى الْمَعْانِيِّ .

== معغر : محرغ في التراب . المهزبر : الأسد الشديد . الصارم : السيف القاطم . ورد : لونه
عمر . البجيرة : بحيرة طيرية . الفرات والنيل : نهران بالعراق ، والنيل أيضاً نهر يحصر
لِكَنْ المبالغة على هذا تكون قد جاوزت الفلو . الغيل : الأجرة . البدة : الشعر المجتمع على
كتف الأسد . الفريق الحلو : الجماعة النازلة بعكان . الغفرة : الشعر المجتمع على قفاه .
الياقوخ : الرأس . الإكليل : الناج . السكمي : البطل المستدر في مصالحة . مشكول : مقيد .
ز مجر : صاح ، وكذلك برب . تطفيل : تطفل أى دخول على الآكل من غير دعوة . تشابه
القربان أو الخلقات أى تشابههما في الجرأة والإقدام ، وتخالفتها في أنَّ الأسد يخيل بطعمه
وأنَّ جواده . متن : جانب الصلب . أزل : قليل لحم المجز والفخذين مقتول : مندمج شديد .
زوره : وسط صدره . ادنى : قرب . مضاض : مؤلم . التجديل : الانطراح على الأرض .
ابن عمته : الأسد الذي هرب من بدر بعد ذلك

وما يدلّك على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الرائية ، أعلمه أن
بشرًا قد ملك رقاب ذلك المعانى واستحوذ عليها ، ولم يترك لغيره شيئاً يهوله فيها ،
ولفطانه لأنّي الطيب لم يقع فيها وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل بشر ، لأنه
قصره عنه تقصيرًا كثيرًا ، ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك
الطريق ، وسلك غيرها خجاء فيها أورد مبرزاً .

واعلم أنّ من أبيين للبيان في المفاصلة بين أرباب الفطم والنثرأن يتوارد
أئمان منها على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معانٍ كتoward البحترى
والمعنى هنا وعلى وصف الأسد ، وهذا أبين في المفاصلة من التوارد على معنى
واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتهين ، ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فإن
بعد المدى يُظْهِرُ ما في السوابق من الجواهر^(١) . وعند هذه بيتهين ربح الراوح وخسر
الخامس . فإذا شئت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر إلى قصيدة تها
في مرأى النساء التي مفتتح إحداها :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كنایة بهما عن أكرم العرب^(٢)

وهي لأنّي الطيب

ومفتتح الأخرى

غروب دمع من الأجنان ينهمِل^(٣) وحرقة بغليل الحزن تشتعل

وهي للبحترى ، فإنّ أبا الطيب انفرد بابتداع ما أتى به في معانٍ قصيده ،
والبحترى أتى بما كثره نَفَثَ بارد ، والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء
امرأة ورجل .

ومن الواجب أنه إذ سلك الفاظم أو النائز مسلكًا في غرض من الأغراض

(١) السوابق : الخيل الجياد السباق . يزيد أن بعد ال نهاية يظهر ما في الخيل المتسابقة من كرم ونفقة

(٢) مطلع قصيده في رثاء أخت سيف الدولة (الديوان ١/٩٩)

(٣) ليست بديوانه

الابخرج عنه ، كالفى سلكه هذان الرجلان فى الرثاء بأمرأة ، فإن من حذاته الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل .

وهذا الموضع لم يأت فيه أحد بما يثبت على الحكم إلا أبو الطيب وحده ، وأما غيره من مقلق للشعراء قد يدعاً وحديثاً فإنهم قصروا عنه .
وله في هذا المعنى قصيدة أخرى مفتحها :

نُعِدُّ المَشْرِفَةَ وَالْعَوَالِيَّ وَتَقْتُلُنَا الْمُؤْنُّ بِلَا قِتَالَ ^(١)

وكم يجيء شاهداً على ما ذكرته من انفراده بالإبداع فيما أني به .
والفتيا عندى بيده وبين البحترى أن أبو الطيب أخذ في المضيق ، وأعرف باستخراج المعنى الدقيق ، وأما للبحترى فإنه أعرف بصوغ الألفاظ ، وحوكديها جتها .
وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتفاقهما في المعنى أين من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه ، لأنهما مع الانفاق في المعنى يتبعين قولاهما ويظهران ظهوراً يعلم بعيديه النظر ، ويتسارع إليه فهم من ليس بثاقب الفهم ، أما اختلافهما في المعنى فإنه يجتاز في الحكم بينهما فيه إلى كلام طويل يعز فهمه ، ولا يتفطن له إلا بعض الناس دون بعض ، بل لا يتفطن له إلا الفذ الواحد من الناس .

ولى في هذا مقالة مفردة ضمنتها الحكم بين للعنين المختلفين ، وتكلمت عليه كلاماً طويلاً عريضاً ، وأقت الدليل على مانصحت عليه ، وما معنى من إيرادها في كتابي هذا إلا أنها ستحت لي بعد تصنيفه وشيوشه في أيدي الناس وتفاصل للأفسخ به .

وصلى هذا الأسلوب توارد البحترى والشريف الرضى على ذكر الذئب ، في قصيدة للبحترى دالية أولها .

(١) في رثاء والدة سيف الدولة (الديوان ١٧٠/٣)
المشرفة : السبوف . العوالى : الرماح .

(سلام عليكم لا وفاء ولا عهد) ^(١)

وَمَقْطُوعَةُ الشَّرِيفِ الرَّحْمَى أَوْلَاهَا :

وَعَارِيُ الشَّوَّى وَلِلنَّكَبَينِ مِنَ الطَّوَى

أَتَيْحَ لَهُ بِاللَّيْلِ عَارِيُ الْأَشَاجِمِ ^(٢)

وقد أجاد البحترى في وصف حاله مع الذئب ، والشريف أجاد في وصف

الذئب نفسه .

الممدح

وأما الممدح ، فهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ، والقسمة تقتضى
أن يقرآن إليه ضيوفه ، وهو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة .
فالأول كقول أبي تمام :

وقول أبي الطيب المتنبي :

فَقِ لَابَرَىْ أَنَّ الْفَرِيْصَةَ مَتَّلَىْ وَلَكِنْ يَرَىْ أَنَّ الْعَيْوبَ مَقَاتِلَ ^(٣)

(١) من قصيده في وصف الذئب حين لقبه (الديوان ١/١٨٠)

(٢) من قصيده في وصف الذئب (الديوان ٢/٥٠٢)

الشوى : جسم شواة وهي جلدة الوأس أو اليدان أو الرجلان أو الأطراف . الطوى :
الجوع الأشاجم : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، المفرد أشجم
(٣) من قصيده في مدح محمد بن عبد الملك الزيات

مطلعها :

مَنْ أَنْتَ هُنْ ذَهَلْيَةُ الْحَىِّ ذَاهِلٌ وَقَلْبُكَ مِنْهَا مَدَةُ الدَّهْرِ آهَلٌ
(الديوان ٣/١٢٦)

الفرىصة : عرق في العنق ، واللحمة التي بين العجب والشكف لائزال ترعد

وقول أبي الطيب المتنبي :

يرى أن ماماً بانَّ منك لضاربِ بآفَلَّ مما بانَّ منك لعائب^(١)
 فهو وإن لم يشوء المعنى فقد شوه الصورة ، ومثاله في ذلك كمن أودع
الوَثْنَى شُمُلاً وأعطى الورد جُعلًا^(٢) وهذا من أرذل الاصنافات .

وعلى نحو منه جاء قوله عبد السلام بن رُغْبان :

نَحْنُ نُعَزِّيكَ وَمِنْكَ الْهُدَىٰ مُسْتَخْرِجٌ وَالصَّبْرُ مُسْتَقْبِلٌ
تَقُولُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الَّذِي أَؤْمِنُ إِلَيْكَ وَبِهِ كَفِيلٌ
إِذَا عَفَّا عَنْكَ وَأَوْدَى بِنَا الدَّهْرَ هُرْ فَذَاكَ الْمُحْسِنُ الْمُجْرِمُ^(٣)
أخذ أبو الطيب فقام أعلاه أسفه فقال :
إن يكن صبر ذي الرَّزْيَةِ فضلاً تكن الأفضل الأعز الآجلَّ
أنت يا فوقَّاً أنْ تَعْزِي عنَّ الْأَخْسَابِ بَابٍ فوقَ الذِّي يُعَزِّيكَ عَقْلًا
وبالفاظك اهتدى فإذا عزًا كَقَالَ الذِّي لَهُ قُلْتَ قَبْلًا^(٤)
والبيت الأخير من هذه الأبيات هو الآخر قدرًا ، وهو المخصوص بالمسخ .
وأما قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقه ، بل يسمى
إصلاحاً وتهذيباً

(١) من قصيده في مدح أبي القاسم طاهر بن الحسين مطلعها
أعبدوا صباحي فرو عند الكواكب وردوا رقادى فهو لحظ الحبائب
(الديوان ١/١٨٣)

المعنى أنك ترى أن الذي ظهر من الإنسان لضاربه بالسيف كالعنق ليس بأقتل بما ظهر
للماءب ، فالعيب أشد من القتل .

(٢) الشمل : الشمال على وزن كتاب شىء مثل الخلابة يغطى به ضرع الشاة إذا ثقلت
أو خاص بالعنز ، والجمل شمل . الجمل : دويبه تشبه الخنفساء .

(٣) الأغاني ١٤٢/١٤ من قصيده في تعزية جعفر بن علي الهاشمي . وقبل البيت الأخير
نحن فدى لك من أمة الأرض والآخر والأول

(٤) من قصيده في تعزية سيف الدولة في أخيه الصغرى وتسليمه عن أخيه الكبير
مطلعها :

فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

لوكان ما تعطيمهم من قبلي أن تعطيمهم لم يُعرفوا التأمينلا^(١)

وقول ابن فباتة السعدي :

لم يُبق جودك لي شيئاً أَوْمَلَه تركتني أصعب الدنيا بلا مُأْمِل^(٢)

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس في أرجوزة بصف فيها الاعب بالسكرة
والصوongan ، فقال من جملتها .

جِنْ هَلِّي جِنْ وَلَانْ كَانُوا بَشَرْ كَانُوا خَيْرُهُوا عَلَيْهَا بِالْإِبْرِ^(٣)

ثُمَّ جاء للقذبي فقال :

فَكَانُوا نَتَجِتْ قِياماً تَخْتَمْ وَكَانُوهُمْ وُلْدُوا عَلَى صَهْرَوَاتِهَا^(٤)

وبين القولتين كما بين السماء والأرض ، فإنه يقال ليس الأرض إلى السماء
نسمة محسوسة ، وكذلك يقال لها هنا أيضاً ، فإنه بقدر ما في قول أبي نواس من
النزول والضيق ، وكذلك في قول أبي الطايب من العلو والقوة .

== إن يكن صبر ذي الرزية فضلاً تسكن الأفضل الأعز الأجلاد
(الديوان ٣٠١ / ٣) يريد أن المعزى لسيف الدولة يهتدى بالفاظه ، ويخاطبه بما تعلم
من قوله ، فقدره مرتفع عن التعزية .

(١) من مدحه لسيف الدولة (الديوان ٤ / ٤٤٩)

(٢) الديوان ١١٤ ويتيمه الدهر ٢ / ٣٨٨ من مدحه لسيف الدولة بن حدن

(٣) ليست بالديوان . وهي أرجوزة مطلعها .

قد أشهد المهو بفتیان غرر من ولد العباس سادت البشر

(٤) من قصيدة في مدح أبي أويوب أحد بن عمران (الديوان ١ / ٢٥٥) تتجهت :

ولدت . الصهوات : المراد مقاعد الفرسان على ظهور الخيل .

القصيدة مطلعها :

سراب محاسنه حرمت ذاتها داني للصفات بعيد موصفاتها

فهرس القسم الثالث من كتاب

الله سلام

فِي أَدْبَرِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ لِضَيَاءِ الدِّينِ بْنِ الْأَشْيَرِ

1

النوع السابع عشر

فِي الْكَار

٤ . وكل منها : تكرار مفيد ، و تكرار غير مفيد
٣ . دون اللفظ
٢ . حده . قسمها : تكرار في اللفظ والمعنى . تكرار في المعنى

الذكر في اللفظ والمعنى

ينقسم إلى مفيد وغير مفيد :

١ - المفید فرعان : (١) مقصود به غرضان مختلفان . أمثلة له .

(۲) مقصود به غرض واحد. أمثلة له

فائدة تكرر (أن) في قوله تعالى : « فلهمَا أَنْ أَرَادَ

لوم النحاة في قولهم بزيادة الحروف

من هذا القسم الثاني إضافة المعنى إلى نفسه مع اختلاف الفظ ١٥

أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان الفائدة من هذه الإضافة	١٦
اعتقاد المؤلف بأنه أول من نبه على هذا النوع	١٦
قد يدخل في التكرير ما ليس بتكرير . اعتقد المؤلف بأنه أول من تنبه إلى ذلك	١٦
أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان السبب في التكرير بها	١٧
التكرير لطول الفصل بين اسم إن وخبرها	١٧
التكرير إذا كان خبر إن عاملاً في معمول يطول ذكره	١٨
الذكرير للإضافة	١٩
التكرير للتذبيح	١٩
الذكرير لتمداد الفعل	٢٠
التكرير إنما كيد المدح	٢٠
دفاع عن بيت المتنبي	٢١
نقد آخر للبيت	٢١
(٢) التكرير غير المفيد	٢٣
أمثلة له من الشعر	٢٣
التكرير في المعنى دون اللفظ	٢٥

ضرباء : مفيدة وغير مفيدة

(١) المفید نوعان : الأولى الدلالة على معنيين مختلفين	٢٥
أمثلة له من الفثر والقرآن والشعر	٢٦
النوع الثاني : الدلالة على معنى واحد	٢٩
أمثلة له من القرآن والشعر	٢٩

الصفحة

- تفصيل القول في الآية الكريمة (فصيام ثلاثة أيام في الحج
وسبعة إذا رجمتهم ، تلك عشرة كاملة)
٣٠
- (٢) غير المفيد
٣٥
- أمثلة له من الشعر
رأى بعض البلاغيين في أنه لا عيب فيه إذا تفاوت
الألفاظ
٣٥
- رأى ابن الأثير أنه معيب في صدور الأبيات الشعرية .
٣٦

- النوع الثامن عشر
في الاعتراض
- (٤٠ - ٤٩)
- حده
٤٠
- قسمان : قسم يأتي لفائدة ، وقسم لغير فائدة
٤٠
- (١) القسم المفيد
٤٠
- أمثلة له من القرآن الكريم ، وبيان فائدته
٤٢
- أمثلة له من الشعر وبيان فائدته
٤٣
- (٢) القسم غير المفيد : ضربان :
٤٦
- الضرب الأول لا يكسب الكلام قبحا ولا حسنا
٤٧
- أمثلة له
٤٧
- الضرب الثاني يفسد الكلام
٤٧
- أمثلة له
٤٧

الفروع التاسع عشر في الكتابة والتعريف

خلط علماء البيان بين السكانية والتمريض ٤٩

الفوج العشرون

في المغالطات المعنوية

٧٦	حقيقة هذا المزوع
٧٦	(١) المغالطة المثلية أو التورية بعاليه مثل في الألفاظ المشتركة
٧٦	أمثلة لهذا المزوع من الشعر ومن الحديث النبوي . . .
٧٩	كتاب لابن الأثير في وصف البرد والثلوج . . .

الصفحة

كتاب له في وصف كريم	٨٠
كتاب إلى بعض إخوانه	٨٠
كتاب له في وصف شخص بعمالي الأمور	٨١
كتاب إلى بعض إخوانه	٨١
كتاب له في وصف الحمى	٨١
(٢) المغالطة الفقيضية أو التورية بالفقيض	٨٢
أمثلة لها	٨٢
كتاب لابن الأثير في وصف فتح	٨٢

النوع الحادى والمشرون

في الأجاجى

مماها	٨٤
أمثلة لها	٨٤
الفرق بين الأجاجى والمغالطة والتعریض والکفایة . .	٨٥
أنواع الأجاجى : المصحف ، المعكوس	٨٦
فائدة الأجاجى والألفاظ	٨٦
أمثلة أخرى من الشعر	٨٦
مسألة ملغزة من مقامات الحريري ، وحل ابن الأثير إياها .	٨٨
الحسن من الأجاجى والألفاظ	٩٠
القبيح منها	٩٠
أمثلة من الشعر	٩٠
خلو القرآن السكريم من هذا النوع	٩١
أمثلة أخرى من الشعر	٩٣

الفوج الثاني والعشرون

فِي الْمَادِيِّ وَالْأَفْتَاحَاتِ (٩٦ - ١٢٠)

٩٦	· · · · ·	حقيقة هذا النوع
٩٦	· · · · ·	فائدة
٩٦	· · · · ·	واجب الشاعر في الافتتاح
٩٨	· · · · ·	الابتداءات في أوائل السور القرآنية
٩٨	· · · · ·	أمثلة من قبيح الابتداء
١٠٣	· · · · ·	أمثلة للابتداءات الحسنة من شعر أبي تمام والقيني
١٠٦	· · · · ·	أمثلة من شعر غيرها
١٠٨	· · · · ·	ملاءمة التعبيدات في أوائل السكتب السلطانية ل موضوعها
١١٠	· · · · ·	تحميد لأبن الأثير في تولية ولاية
١١٠	· · · · ·	نهرته بفتح
١١٢	· · · · ·	نهرنة بمولد
١١٢	· · · · ·	كتاب له إلى ديوان الخلافة
١١٣	· · · · ·	« إلى بعض الإخوان
١١٤	· · · · ·	كتاب آخر إلى بعض الإخوان
١١٤	· · · · ·	« إلى بعض إخوانه
١١٥	· · · · ·	كتاب إلى بعض إخوانه
١١٥	· · · · ·	« « «
١١٦	· · · · ·	كتاب عن الملك نور الدين إلى الملك الأفضل
١١٧	· · · · ·	كتاب إلى بعض إخوانه
١١٧	· · · · ·	كتاب إلى بعض إخوانه
١١٧	· · · · ·	كتاب له في القمزية

三

١١٨	من محسن هذا الباب الافتتاح بآية أو بحديث أو بشعر
١١٨	كتاب اه في البشري بفتح
١١٨	كتاب له في التقليد بالحسبنة
١١٩	كتاب له في رجاء
١٢٠	توقيع له

النوع الثالث والمشرون

في التخلص والاقتضاب

١٢١ - - - - - الخلاص والافتخار

الخاص

أمثلة لبراعة المحدثين في التخلص ١٢٢

١٢٦ اقتضاب المحتوى

الرد على الغانمي في قوله إن القرآن خال من التخلص ١٢٨

١٢٨ مثلاً للختام من القرآن الكريم .

عاذج لـ خلص ابن الأثير في رسائله ١٣٣

· · · · · أمثلة أخرى من التخلص الحسن في الشعر · · · · · ١٣٥

الافتراض

أمثلة له: أبا بيد، لفظة هنا

أمثلة له من جيد الشعر ١٤١

الفوج الرابع والعشرون
في التناسب بين المعانى
(١٤٢ - ١٧٧)

أقسام هذا النوع :

١٤٣	(١) المطابقة أو المقابلة
١٤٣	حقيقة المطابقة والأراء فيها
١٤٣	رأى ابن الأثير
١٤٤	(٢) المقابلة في اللفظ والمعنى
١٤٤	أمثلة لها
١٤٦	أمثلة من ثور ابن الأثير
١٤٦	أمثلة أخرى من الشمر
١٥١	(٣) المقابلة في المعنى دون اللفظ
١٥١	مقابلة الشيء بما ليس بضده
١٥٣	المواخاة بين المعانى
١٥٦	المواخاة بين المعانى
١٥٩	(٤) مقابلة الشيء بمثله
١٥٩	مقابلة المفرد بالمفرد
١٦٢	مقابلة الجملة بالجملة
١٦٦	(٥) صحة التقويم وفساده
١٦٦	أمثلة له
١٧٣	ترتيب التفسير

النوع الخامس والعشرون

في الاقتصاد والتغريط والإفراط (١٩٥-١٧٧)

حقيقة كل منها ١٧٧

التغريط

أمثلة من التغريط ١٧٩

عيوب ذكر أمم الأمم في المدح ١٨٠

عيوب التعليق على شرط لا يليق ١٨٣

أغلاظ في المدح ١٨٥

دفاع عن بيت لحسان بن ثابت ١٨٦

خطاب المدوخ بكاف الخطاب جائز ١٨٧

أمثلة من القرآن الكريم ، والشعر الجيد ١٨٨

تجنب الخطاب بالأمر والنهي في المدح ١٨٩

ألفاظ تليق بالمدح وأخرى تليق بالodium ١٩٠

الإفراط

جواز استعماله ١٩١

أمثلة له ١٩١

الاقتصاد

توسيطه بين التغريط والإفراط ١٩٤

أمثلة له من القرآن الكريم والشعر ١٩٤

الفوج السادس والعشرون

(199 - 190)

في الإشتقاق

١٩٥ الفرق بينه وبين التحنيس

أمثلة المصادر

الاشتقاء الكبير ١٩٨

النوع السابع والعشرون

$$(\gamma_0 - \gamma_+)$$

في التضليل

التضمين الحسن

نوعاه: کل و جزئی

التصميم المكاني

جواز التضمين الكلوي من القرآن الكريم ٢٠٠

التضمين المعيب عند بعض البلاغيين

حوازه في رأي ابن الأثير

أمثلة له

تضمن الغرض منه تأكيد المغ

أمثلة له

الفوج الثامن والعشرون

(۲۰۶-۲۱۲)

في الإرشاد

الصفحة

- أمثلة له
٢٠٦
- قصمية أبي هلال له بالتوشیح
٢٠٧
- خلط علماء البيان في المصطلحات
٢٠٨
- بعض ألاعيب الحريري ليست من علم البيان
٢١٠
- الرد على ابن سنان في حظر استعمال المصطلحات الفحويين
والمتكلمين والمهندسين ومعانيهم :
٢١٢
- أمثلة من جيد الشعر في الرد عليه
٢١٤

النوع التاسع والعشرون

في التوشیح
(٢١٧-٢١٦)

- حقيقة له
٢١٦
- أمثلة له
٢١٦

النوع الثلاثون

في السرقات الشعرية
(٢٩٢-٢١٨)

- فائدة دراسة هذا النوع
٢١٨
- وسيلته
٢١٨
- لامعنى لنفاذ المعنى لأن الابتداع ممكن
٢١٩
- المعنى الشائع لا ابتداع فيها
٢١٩
- لا صرفة في المعنى الشائع
٢٢٠
- أمثلة لمعان متعددة
٢٢٠

الصفحة

أقسام المعرقات الشعرية

- النسخ ، والسلوخ ، والمشيخ ، وأخذ المعنى مع الزيادة عليه ،
وعكس المعنى إلى ضده ٢٢٢
- وسيلة الوقوف على المعرقات حفظ الأشعار ٢٢٣
- أمثله مما حدث المؤلف ٢٢٣
- اعتماده في هذه الدراسة على شعر أبي عام وبعترى والمتني ٢٢٥
- رأيه في كل منهم ٢٢٧

النسخ

- ٢٣٠ حقيقةه
- ٢٣٠ نوعه
- ٢٣٠ ١ - وقوع الحافر على الحافر
- ٢٣٠ بين طرفه واصرىء القيس
- ٢٣٠ بين جرير والفرزدق
- ٢٣٢ بين أبي نواس والحسين بن الصعاك
- ٢٣٣ ٢ - أخذ المعنى وأكثر اللفظ
- ٢٣٣ بين أبي عام وبعض المقدمين

السلوخ

أقسامه :

- ١ - أخذ المعنى واسعة خراج ما يشبهه ٢٣٤

三

الصفحة

- ٤ - أخذ المعنى ثم قلبه وعكسه
 ٢٤٤
 بين مسلم بن الوليد وأبي نواس
 ٢٤٤
 بين شاهر وعلي بن جعفر
 ٢٤٥
 بين المتنبي وأبي الشيص
 ٢٤٥
 بين ابن الأثير وأبي تمام
 ٢٤٥
- ٥ - أخذ بعض المعنى
 ٢٤٦
 بين أبي تمام وعبد الله بن جدعان
 ٢٤٦
 بين المتنبي وعلي بن جبلة
 ٢٤٧
 بين البحترى وأبي تمام
 ٢٤٧
 بين البحترى وشاعر مقدم
 ٢٤٨
 بين المتنبي وابن الرومي
 ٢٤٨
- ٦ - أخذ المعنى ثم الزيادة عليه
 ٢٤٩
 بين مسلم بن الوليد والأخنس بن شهاب
 ٢٤٩
 بين أبي تمام وجرير
 ٢٤٩
 بين أبي تمام ووله مسلمة بن عبد الملك
 ٢٥٠
 بين أبي تمام وابن المعدل
 ٢٥٠
 بين البحترى وأبي نواس
 ٢٥١
 بين البحترى ومسلم بن الوليد
 ٢٥١
 بين أبي نواس وجرير
 ٢٥٢
 بين أبي نواس والفرزدق
 ٢٥٢
 بين المتنبي وأبي نواس
 ٢٥٢
 بين ابن الأثير والمتنبي
 ٢٥٤

٧ - أخذ المعنى والتعبير عنه بعبارة أحسن من الأولى . ٢٥٤

٨ - أخذ المعنى وسبكه سبكاً موجزاً

٢٥٨	•	•	•	•	•	•	•	بين سلم الخامر وبشار
٢٥٨	•	•	•	•	•	•	•	بين ابن الرومي وأبي تمام
٢٥٩	•	•	•	•	•	•	•	بين ابن الرومي وأبي نواس
٢٥٩	•	•	•	•	•	•	•	بين ابن قسيم الحموي وابن الرومي
٣٦٠	•	•	•	•	•	•	•	بين أبي تمام وأبي العقادية
٣٦٠	•	•	•	•	•	•	•	بين المتنبي وأبي تمام
٣٦١	•	•	•	•	•	•	•	مثال آخر لهما
٣٦١	•	•	•	•	•	•	•	بين المتنبي وشاعر سابق

٩ - تخصيص العام وفهم الخاص

الصفحة

١٠ - أخذ المعنى وزيادته بياناً بمثال يوضحه ٢٦٣

٢٦٣ بين المتنبي وأبي تمام

٢٦٤ مثال آخر من شعرها

٢٦٥ بين البحترى وأبي تمام

١١ - أحاديث الطريق واختلاف المقصود ٢٩٥

٢٦٥ المراد بهذا الضرب

٢٦٥ موازنة بين قصيدةتين في الثناء لأبي تمام والمتنبي

٢٦٧ المعانى التي اتفقا فيها

٢٦٨ المعانى التي اختلفوا فيها

استطراد إلى الرد على من منعوا المفاضلة بين المعانى

٢٧٠ المختلفة

الرد على الذين فضلوا بعض الشعراء بأحكام خطابية

٢٧٠ عامة

٢٧٢ الرد على بشار في تفضيل نفسه

٢٧٣ مثال من التمثيل لقدماء

٢٧٤ رأى ابن الأثير في المفاضلة بين الشعراء

٢٧٤ الفرزدق وجريير والأخطل أشعر العرب

٢٧٤ أبو تمام والبحترى والمتنبي أشعر منهم

الرد على دعوى أن جريراً اقتصر في هجاء الفرزدق على

٢٧٥ أربعة معانٍ

٢٧٦ أمثلة شتى من هجائه بمعانٍ أخرى

٢٨٠ قدرة جرير على التصرف في المعنى الواحد

الصفحة

عوده إلى النوع الحادى عشر من الصلح

- أمثلة من أحاديث الطريق واختلاف المقصود
٢٨١
٢٨١ بين الفابعة وأبي نواس ومسلم وأبي تمام والمتنبي
٢٨٤
٢٨٤ موازنة بين قصيدة بهما في وصف الأسد
٢٨٨
٢٨٩ بين الشريف الرضي والمعتري

المدخن

- تعريفه
٢٩٠
٢٩٠ بين المتنبي وأبي تمام
٢٩١ بين المتنبي وابن رغبان

قلب الصورة القبيحة إلى حسنة لا يسمى سرقة

- بين ابن نباتة السعدي والمتنبي
٢٩٢
٢٩٢ بين المتنبي وأبي نواس

—————



www.lisanarb.com

[ثم القسم الثالث من كتاب المثل السائر لابن الأثير]

يليه القسم الرابع ، محتواه على :

١ - نكمة المثل السائر .

٢ - كتاب الغلظ الداير على المثل السائر لابن أبي الحديد .

٣ - فهارس الكتاب متنوعة ومفصلة .



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com رابط بديل

مطبعة الشاعر
٤ شارع حلموده المقاول - عابدين

